المُعجَم المُفصَّل بأسْماء

الملابس عند العرب

رينهارت دوزي

المستشرق الهولندي






الدار العربية للموسوعات



المعجم المفصل بأسماء

الملابس عند العرب

اسم الكتاب: المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب

المؤلف: رينهارت دَوزي المُستَشرق الهُولَندي

الطبعة الأولى: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

ISBN 978-9953-563-38-1



الدار العربية للموسوعات

المدير العام: خالد العاني

الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١ - بيروت - لبنان
ص.ب. ٥١١ الحازمية - هاتف: ٩٥٢٥٩٤ ٥ ٠٠٩٦١ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢ ٥ ٠٠٩٦١
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣ ٣ ٠٠٩٦١ - ٥٢٥٠٦٦ ٣ ٠٠٩٦١
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب

تأليف

رينهارت دوزي
المستشرق الهولندي

ترجمة

د. أكرم فاضل

الدار العربية للموسوعات

كلمة المترجم

لا أدري هل أحمد نفسي أم ألحاها على القيام بترجمة هذا المعجم. إذ لم أكد أخطو في شعابه بضع خطوات، حتى قامت بوجهي عقبات لا حصر لها: فمن لغات أجنبية قد يبلغ تعدادها العشرين، غربية وشرقية، قديمة وحديثة... والحديثة: كالفرنسية والهولندية والألمانية والأسبانية، مكتوبة بلغة قديمة، والقديمة مكتوبة بلغة أقدم، كاللاتينية واليونانية. وهناك الآرامية والسريانية والعبرانية والقبطية والحبشية. وثمة كلمة يقول عنها المؤلف إنها كلدانية، في حين ظهر بعدئذ إنها عبرية. وهو يستطرد استطرادات عجيبة، يهواها الطبع العربي، ولا يستنكرها الطبع الجرماني، ولكن السليقة اللاتينية تعافها وتستنكرها. ولو أن دوزي كان يعمل تحت إشراف أستاذ فرنسي لنسف كتابه نسفاً!

ودوزي لا يكتفي بالاستطراد، بل يفسر بعض النصوص تفسيراً خاطئاً، ويبني على ذلك التفسير حكماً خاطئاً. ويوصي بإضافة التصريف الفلاني الذي ابتدعه إلى المعاجم العربية والتصريف الآخر إلى القواميس الفارسية. وهو يدحرج الحوادث التاريخية دحرجة سريعة في تعليقاته، حتى يكاد ينسيك الموضوع الأصلي.

وشهدته مرة يضيف ثلثين من التعليقات إلى الثلث الثالث وهو النص، دون ضرورة ملحة.

ويضرب صفحاً عن ذكر المصادر أحياناً: فهناك اسم بدون مؤلف ومؤلفات بدون مؤلف.

لم أذكر هذه المآخذ لأقدح في قيمة هذا الكتاب وخطر شأنه، لأننا يجب أن نتذكر أن المؤلف ألفه بين الأعوام ١٨٤١ - ١٨٤٣م، في قلة من المصادر التي بعضها لم يطبع حتى يومنا هذا. والكتاب ليس كله ملابس، بل فيه تاريخ وأدب وفولكلور.

وهو يتناول الأزياء في جميع الأقطار العربية، شرقيها وغربيها. ولكن هذه المواد تخص أكثر ما تخص الأندلس وأقطار المغرب العربي ومصر.

وإذا أردنا أن نقع على سائر أسماء الملابس العربية، فإننا سنصاب بخيبة أمل. ولكننا نرى طريقة للبحث ونماذج مدروسة ومحاولة جليلة يؤسفني أن أقول أن عربياً واحداً لم يحاول مثلها.

والأنكى من ذلك أن الكتاب ظل أكثر من قرن قابعاً في نصه الأول.

وقد اهتديت إلى الكتاب بحكم تعييني مديراً للفنون والثقافة الشعبية في وزارة الإعلام العراقية، إذ وجدت من الخير نقله إلى لغة الضاد، لأنه مصدر عالمي يراجع في فرنسا وانكلترا ومصر، وأخيراً في العراق. ولأننا نعاين في العالم كله فورة فولكلورية جامحة.

أما الطريقة التي سلكتها فهي الاحتفاظ بأسلوب المؤلف، لأنني أرجو من القارىء أن يقرأ دوزي كما كان يشاء دوزي أن يقرأه. وأما النصوص العربية فقد حققتها ما وسعني التحقيق. الا أن بعضها مسطر بالعامية، فكان لا مناص من إبقاء الوضع على ~ . ولكنني من جهة

أخرى صححت رواية الأبيات الواردة في الكتاب دون الإشارة إلى هذا التصحيح، لأنني لا أريد أن أتحذلق على حساب دوزي. على أنني قد أشير إلى التصوير في بعض الأحيان، على سبيل التنبيه على وجود هفوات.

مقدمة المؤلف دُوزي

مهما تكن الخطوات، التي خطاها الأدب العربي في مجال التقدم والرقي، واسعة في هذه الأزمنة الأخيرة، فليس بمقدورنا أن ننكر أن علم فقه اللغة لم يقطع نفس الأشواط التي قطعتها العلوم التاريخية والجغرافية. بل أُرانا مرغمين على الاعتراف بأننا، في حلبة علوم اللغة، لم نندفع إلى أبعد مما اندفع إليه الباحثون في عهد گوليوس Golius.

فالحقيقة إننا ما زلنا، في الحالة الراهنة للعلم، غير قادرين على التفكير تفكيراً جدياً بوضع معجم عربي شامل. فإن مكتبات أوروبا وآسيا وأفريقيا ما تبرح تطوي أضالعها على الآلاف من المجلدات المخطوطة، التي ما انفكت حتى عناوينها مجهولة لدينا. ذلك لأن مخطوطات أعرق الكتب كلاسيكية في الأدب العربي لم تتناولها يد التحقيق والتدقيق، بالعناية اللازمة، حتى يومنا هذا، ولم يعارض بعضها ببعض.

وإن القيام بطبع خمسين مؤلفاً من الطراز الأول لا يعد عمراً كبيراً، إذا وازناه بالعدد الهائل من الكتب الذي ينتظر بلهفة نشره على الكافة.

وإنني إذ أتحدث عن معجم عربي أعني بذلك قاموساً يأخذ على عاتقه - إلى جانب اهتمامه، بكل ما لديه من طاقة، بالمعنى الدقيق



الذي كانت تعنيه كل كلمة لدى نشأتها - مهمة جعلنا نعلم بصورة محكمة واضحة مختلف المفاهيم التي تلقتها كل كلمة في الجزيرة العربية وفي فارس وفي سورية وفي أفريقيا، إلخ. . . وأخيراً نناشد هذا القاموس أن يكتشف لنا عن كل المعاني التي عبرت عنها الكلمات في جميع الأقطار التي تألفت منها هذه الامبراطورية العربية المترامية الأطراف، التي امتدت من الهند حتى حدود فرنسا.

وإنني أتحدث عن هذا المعجم المنشود الذي انتظر منه أن يستند على الدوام إلى نصوص المؤلفين، فيخط لنا، إذا صح التعبير، تاريخ كل كلمة، وقصة كل جملة. هذا المعجم المفقود الذي يميز، بوضوح وجلاء، المعاني الخاصة لكل كلمة في قطر معين من الأقطار العربية، من المعاني التي كانت تعرف عنها الكلمة في قطر معين آخر: القاموس الذي يجب أن يميز معنى كل كلمة لدى الشعراء، من معناها الخاص لدى كتاب النثر.

وختاماً، إنني أحلم بالقاموس المنطوي على كل التعابير العلمية والفنية، المشروحة شرحاً منهجياً. ولكنني أكرر القول أن الأزمنة التي يستطاع أن يؤلف خلالها هذا المعجم ما انفكت بعيدة كل البعد عنا. وبوسعنا ونحن نرقب هذا العهد المرموق، أن ندفع عجلة علوم اللغة إلى الأمام بثلاث طرق. الطريقة الأولى تنحصر في تدبيج تعليقات وملاحظات من صميم فقه اللغة على هيئة كتاب لمؤلف من المؤلفين، أو بإضافة ملحق يشرح الكلمات التي أوردها المؤلف في كتابه وذلك حين يقدر نشر ذلك الكتاب. وهذا القاموس الصغير هو بمثابة تكملة للمعجم موضوع البحث.

وهذا النهج هو الوسيلة المتبعة بصورة عامة حتى هذا اليوم. أما الطريقة الثانية فهي جمع الكلمات التي تؤلف، صنفاً من الأصناف. وأما

الطريقة الثالثة فهي الاقتصار على لغة قرن واحد أو على لغة قطر واحد. ولكن هذه الطريقة لم تتبع حتى هذه اللحظة.

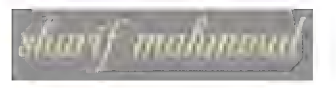
لن أتوقف هنا لمناقشة مختلف المنافع التي تجنيها كل طريقة من هذه الطرق، ولكنني سأحملكم فقط على ملاحظة أن الطريقة الثانية التي كنت أول من اتبعها في هذا الكتاب انصياعاً لبرنامج المعهد، هي التي تنفحنا بفوائد حقيقية، لا سيما إذا كانت الكلمات المطلوب شرحها تتعلق بالأخلاق والعادات.

فاسمحوا لي إذن أن أقول كلمة واحدة عن الخطة التي رأيت من المحتم عليّ أتباعها.

لقد آمنت بأهمية تحقيق الوقائع في عمل له هذه الطبيعة، وأن أقرّب بين شهادات واستشهادات المؤلفين، وإن أعارض بعضهم ببعض. ولم أجرؤ على المجازفة وركوب متن الشطط في متاهات من التخمينات الاشتقاقية، التي لو عرضها شخص آخر غيري لبدت مقبولة رائعة بارعة، ولكن هذه الظنون لن تأتي بنتيجة يطمأن إليها مطلقاً.

إن المخطوطات التي ذكرتها تعود ملكيتها إلى مكتبة ليدن. وقد أخذت على عاتقي تنبيه القراء دوماً حين تؤلف هذه المخطوطات شطراً من مكتبات أخرى. وأرى لزاماً علي أن ألفت الأنظار إلى إنني حرصت كل الحرص بنشري نصوصاً لمؤلفين من العصر الوسيط للأدب العربي على إيرادها كما كانت مرسومة في المخطوطات. وإن قواعد النحو التي اتبعها هؤلاء المؤلفون تشذ بعيداً عن القواعد التي نحاها نحاة البصرة ونحاة الكوفة، فوجب عليَّ ألا أمسخ المؤلفين بإعارتهم نحواً لم ينحوه.

لقد شملني دي گايانگوس De Gayangos بلطفه فأعارني بضع مخطوطات من مخطوطاته. وسترون على وجه التخصيص أن النسخة



النفيسة لرحلة ابن بطوطة، التي يقتنيها هذا العلّامة، هي التي أفادتني إفادة بالغة لا مثيل لها. وإن هذا السفر هو كتاب من النسق الرفيع من عدة وجوه. أما المختصر المترجم من قبل لي Lee، فإنه لا يهبنا إلا فكرة ضعيفة كل الضعف عن أهمية الكتاب الأصلي.

فأرجو من دي گايانگوس أن يأذن لي بتقديم فروض الحمد والامتنان إليه، وإزجاء عواطف الاعتراف بالجميل لشخصه الكريم على الإحسان الذي خصني به.

وإنني لأجسر على أن أؤمل العفو عن بعض الهفوات التي وقعت في لغة هذا الكتاب الفرنسية، إذ يكاد يكون أمراً مستحيلاً على أجنبي مثلي أن يتجنبها. وربما كان أهون عليَّ أن أكتب الكتاب باللغة اللاتينية، ولكن الموضوع يتعارض وهذه اللغة، ذلك لأنني لو استعملت هذا اللسان لأرغمت إرغاماً على تفسير الكلمات العربية بتعابير مستعارة من اللغة الرومانية العتيقة، التي لم تعد مدلولاتها معروفة لدينا بصورة دائمية.

المَدخَل

في العهود الإسلامية الأولى، يوم كان الناس جميعهم على وجه التقريب بداة، وكانت المدن صغيرة ضئيلة الشأن، كاد فن الخياط يكون مجهولاً، فقد كانت الشملات البسيطة، المنسوجة قطعة واحدة، كافية لضمان وقاية المشتملين بها من صبارة القر وحمارة القيظ. وليس بوسعنا أن نتصور استطاعة خياطة الألبسة وفق طراز أنيق، وكان الحائك وحده يقوم بهذه المهمة. ولكن العرب باستيلائهم الخاطف على شط كبير من آسيا ومن أفريقيا ومن أوروبا، وجدوا أنفسهم مرتبطين بعلاقات وثيقة مع شعوب تلك المناطق التي قهروها واستولوا على ديارها، في حين أن هذه الشعوب كانت تفوق العرب الفاتحين مدنية وحضارة، فلم يكن بد للعرب من هجر حياتهم البدوية شيئاً فشيئاً، والشروع في الاستقرار الدائمي في المدن[1] فأدركوا يومذاك أن في مقدورهم عمل ثياب أشد أناقة من

(١) راجع ابن خلدون (المقدمة، مخ - ٣٥٠ (أ)، ص١٥٨ و١٥٩ - الفصل الخاص بصناعة الحياكة والخياطة: أعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لا بد لهم من الفكر في الدفء كالفكر في السكن. ويحصل الدفء باشتمال المنسوج للوقاية من الحر والبرد. ولا بد لذلك من الحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً، وهو النسج والحياكة. فإن كانوا بادية اقتصروا عليه وإن كانوا إلى الحضارة فصلوا تلك =



الشملات التي كانوا يلتفون بها، فاستعاروا طرزاً كثيرة من طروز الشعوب المغلوبة على أمرها معهم. ولما كان الترف والبذخ والنعيم قد خطا كل منها خطوات واسعة في أبهة الفرس، فإن بلاط بغداد قد طفق يتفاقم لديه شعور تأثره الذي وقع تحت سطوته من احتكاكه واختلاطه بجيرانه ورعاياه. وكان لانتعاش الحضارة وازدهارها وتقدم التجارة وانتشارها إن أنشئت مصانع من كل نوع، كانت تنسج فيها الأقمشة الحريرية الفاخرة وطرائف الديباج التي لا سبيل إلى حصرها، وقد أحرزت بغداد العديد منها.

أما في الغرب فكانت الحالة على النقيض من ذلك، فإن العرب قد اختلطوا بالمغاربة والبربر. وكانت هذه الشعوب غليظة مخشوشنة.

= المنسوجة قطعاً يقدرون منها ثوباً على البدن بشكله وتعدد أعضائه واختلاف نواحيها. ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصائل حتى تصير ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها.

والصناعة المحصلة لهذه الملاءمة هي الخياطة. وهاتان الصناعتان ضروريتان في العمران، لما يحتاج إليه البشر من الرفه. فالأولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداء في الطول وإلحاماً في العرض وأحكاماً لذلك النسيج بالالتحام الشديد. فيتم منها قطع مقدرة: فمنها الأكسية من الصوف للاشتمال، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس. والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الإشكال والعوائد، تفصل أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية، ثم تلحم تلك القطع بالحياكة المحكمة وصلاً أو حبكاً أو تنبيتاً أو تفتيحاً على حسب نوع الصناعة. وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتمالاً. وإنما تفتيل الثياب وتقديرها وإلحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها. وتفهم سر هذا في سر تحريم المخيط في الحج، لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع إلى الله تعالى.



وكانت أوطأ من قاهريها في سلم الحضارة، فكان الترف مجهولاً لديها، وحين اختلط العرب بهذه الأقوام، استعار هؤلاء من العرب لباسهم الخشن ولكن بصورة جزئية.

أما في أسبانيا، فإن العرب، وعلى وجه التخصيص خلال فترة امبراطوريتهم الأخيرة، قد استعاروا الشطر الكبير من أزياء الفرسان النصارى. ويؤكد ابن سعيد[١] بصورة قاطعة أن أقبية العرب أسبانية كانت تماثل أقبية المسيحيين ويقول ابن الخطيب[٢] في معرض حديثه عن محمد بن سعد بن محمد بن أحمد بن مردنيش الذي توفى في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ما يلي: «وآثر زي النصارى من الملابس والسلاح واللجم والسروج».

ونتيجة لاختلاط العرب بالأجانب، كان هناك تباين كبير على الدوام بين أزياء الشعوب المختلفة التي كانت تتألف منها الامبراطورية العربية المترامية الأطراف.

وبوسعنا أن نميز بسهولة بين عربي من الشرق وعربي من الغرب. ويقول ابن إياس[٣] وهو يحدثنا عن المؤرخ المشهور ابن خلدون: «واستقر لما تولى القضاء وهو بزي المغاربة فعد ذلك من النوادر». ويقول النويري[٤] وهو يخبرنا عن وفاة الملك القاهر بهاء الدين أبي محمد عبد الملك بن الملك المعظم: «وكان يلبس ملابس العرب ويتزيا بزيهم ويركب كمركبهم ويتخلق بأخلاقهم في كثير من أفعاله». وحتى أولئك

(١) ابن سعيد لدى المقري (نفح الطيب، مخ غوتا ص٤٥).

(٢) الإحاطة، مخ دي گايانگوس، ص١٨٦.

(٣) تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٢٠٢.

(٤) النويري تاريخ مصر، مخ٢، ص٢٧٠، حوادث عام ٦٧٦.



الذين كانوا يقطنون في المدن متقاربين بعضهم من بعض، كانوا يرتدون الأزياء المختلفة. ويوم حظر فيليب الثاني على مغاربة أسبانيا ارتداء زيهم القومي عبّرَ أحدهم المسمى مارمول فرانسيسكو مولاي مؤنس Francisco NunezMuley عن هذه الحالة بالكلمات التالية: «إن أزياء نسائنا ليست أزياء مغربية. إن أزياءهن هي أزياء قشتالة».

وفي الأقطار الأخرى كانت الشعوب الإسلامية تتباين في عمائمها وثيابها وأحذيتها، فهل بوسع أحد أن ينكر أن أزياء النساء المغربيات الأفريقيات وأزياء النساء التركيات تختلف كل الاختلاف عن الأزياء التي ترتديها نساؤنا في غرناطة؟ كما أن أزياء الرجال تختلف كذلك، ذلك لأن أزياء فاس ليست شبيهة بأزياء تلمسان، وكذلك أزياء تونس ليست مثل أزياء مراكش، وكذلك تنطبق الحالة على تركيا والامبراطوريات الأخرى[١].

وبالإضافة إلى ذلك فهناك بون شاسع بين أزياء الطبقات المختلفة التي يتألف منها المجتمع الإسلامي. ويبدو الاختلاف أشد ما يبدو في شكل العمامة التي تميز النبيل عن ابن الشعب والجندي، هذه العمامة التي قد يعرف الناس عن طريقها المركز الذي يشغله الرجل الذي يصادفونه[٢] ولكن يجب علينا ألا نلجأ إلى تطبيق هذه الطريقة بصورة عامة إلا على سكان المدن، لأن البدو يكادون يحتفظون بالزي العربي القديم، وهم يراعون أوامر الدين ونواهيه أكثر مما يراعيها سكان المدن.

وقد نطق الرسول محمد ﷺ بالعديد من الأحكام في سبيل منع تفشي

---

(١) مارمول، ثورة الموريسكيين (المتنصرين)، ص٣٨، مج٣.

(٢) انظر كوتوفيك، رحلة إلى أورشليم، ص٤٨٦. وراجع بارثي رحلة عبر صقلية والشرق، ج٢، ص٧٤، ٧٥).

الأزياء المترفة الباذخة بين ظهراني أشياعه. واستنبط فقهاء الشريعة الإسلامية من هذه الأحاديث نظاماً يضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء، وهي التي سنعرضها مقتفين آثار خطى المؤلفات في الفقه الحنفي والمالكي.

يقول صاحب ملتقى الأبحر[١]: إن الملابس تستعمل في ستر العورة، وفي اتقاء غائلة الحر وصولة البرد[٢] والخير كل الخير أن تكون الألبسة مصنوعة من القطن أو الكتان، لا هي زاهية باهية للغاية ولا هي أسمال بالية إلى ما لا نهاية. ولا يحرم التزين إذا كانت الغاية منه إظهار نعم الله وآلائه التي منَّ بها علينا، ولكن يحرم إبداء الزينة إذا كان الباعث على إرتدائها منبعه الزهو والخيلاء والكبرياء. وإن التواضع في هيئة اللباس هو في غالب الأحيان موصى به من قبل أعظم حكماء شبه جزيرة العرب وفارس. فيقول النويري مثلاً[٣] وهو يكيل المديح لصلاح الدين: «وكان لا يلبس إلا ما يحل كالكتان والقطن والصوف». ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر[٤]، بمناسبة وفاة الأمير جمال الدين آيد غدي العزيز: «وكان مقتصداً على ملبسه. يلبسن ثياب القطن من الهندي والبعلبكي وغيره مما يباح ولا يكره لبسه».

وارتداء الحرير حلال على النساء، ولكن هذا القماش محرم على الرجال. فلا يحل لهؤلاء سوى أن يكون لهم في ملابسهم حاشية من

---

(١) مخ٨٧١، ص١٠٦، مخ١٠٨١، ص٢١١، مخ١٢١١، ص٦٤.

(٢) راجع مرجيّ دوسون Mouradgea d'Ohsson (السحنة العامة للامبراطورية العثمانية، ح٢، ص١٣٠).

(٣) تاريخ مصر، مخ٢ك (٢) ص٢٥٤.

(٤) المرجع السابق، مخ٢، ص١٨٠.

الحرير. هذه الحاشية التي يجب ألا تتجاوز الأربع أصابع عرضاً[١] أو يجب ألا تتجاوز الأصبعين[٢] كما يقول الآخرون.

ويرى المالكيون أن هذه الحاشية يجب أن تكون أقل من أصبع عرضاً[٣].

وقد تحدث الرسول ﷺ في كلمات على درجة كبيرة من العنف والشدة حول الألبسة الحريرية. فقال: «من لبس الحرير في الدنيا فلن يلبسه في الآخرة»[٤]. وقال كذلك: «إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة»[٥].

ويجيز الحنفيون للرجال ارتداء الألبسة التي لحمتها من الحرير وسداها من نسيج آخر. وعلى النقيض من ذلك لا يجوز ارتداء الأقمشة التي سداها من الحرير ولحمتها من نسيج آخر إلا في أوقات الحروب.

أما المالكيون فلم يسد الاتفاق بين صفوفهم، فهم مختلفون بشأن جواز ارتداء القماش المسمى (خزا) وهو النسيج الذي سداه من الحرير

(١) يحل للنساء لبس الرحير ولا يحل للرجال إلا قدر أربع أصابع كالعلم. (ملتقى الأبحر).

(٢) صحيح البخاري، جـ٢ مخ٣٥٦، ص١٦٩.

(٣) ابن أبي زيد، الرسالة، مع شرح أبي الحسن علي الشاذلي، مخ١١٩٣، ص٧٤٦.

(٤) صحيح البخاري، ح٢، مخ، ص١٦٩.

(٥) ابن أبي زيد، الرسالة، مخ١١٩٣، ص٧٤٥، مع الشرح: «واختلف في لبس الخزبخاه وزاء معجمتين وهو ما سداه حرير ولحمته صوف مثلاً على أقوال أشار إلى اثنين منها بقوله فأجيز وكره صحح في القبس الأول واستظهر ابن رشد الثاني. والثالث يحرم لبسه القرافي وهو ظاهر مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام في حلة عطارد وكان يخالطها الحرير: إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة».

ولحمته من الصوف ولكن الكثرة الكاثرة من (دكاترة المسلمين) فقهاء المسلمين تشجبه وتحرمه[١].

أما الألوان المستحبة إلى أبعد الحدود فهما الأبيض والأسود[٢]. يستحب اللون الأبيض لأن الرسول ﷺ قال: إن الله يحب الثياب البيض وإنه خلق الجنة بيضاء. وقال مؤرخ أفريقي[٣] وهو يغدق الثناء على عبد الرحمن الأول، أول ملوك الأندلس: «كان يلبس البياض ويعتم به». واللون الأسود مستحب لأن الرسول ﷺ كان يرتديه في يوم فتح مكة، إذ كان كاسياً بجبة سوداء ومعتماً بعمة من نفس اللون[٤]. أما الشيعة فيمقتون اللون الأسود، على الضد من ذلك، لأننا نقرأ في رحلات شاردان[٥]: «لا يلبس الناس اللون الأسود في الشرق، لا سيما في إيران، فإن هذا اللون هو لون تشاؤمي وكريه، بحيث لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم إليه وهم يسمونه لون الشيطان». أما اللون الأحمر واللون الأصفر فهما لونان غير شرعيين[٦].

ونحن نجهل سر هذه الكراهية، ولكنني افترض أن اللون الأصفر (المعصفر) هو لون غير شرعي لأنه لو الكراهية[٧]، وإن اللون الأحمر

---

(١) ويستحب الأبيض والأسود (ملتقى الأبحر).

(٢) مجمع الأنهر، ط القسطنطينية، ح٢، ص٢٥٨: لقوله ﷺ: «إن الله يحب الثياب البيض وإنه خلق الجنة بيضاء».

(٣) لدى المقري، تاريخ مصر، مخ دي غوتا، ص٣٥٣.

(٤) المجمع (الكتاب القيم).

(٥) شاردان، ح٣، ص٦٩.

(٦) ملتقى الأبحر (ويكره الأحمر والمعصفر).

(٧) راجع كتابي (تاريخ بني عباد، ج١، ص٣٢، ت١٠٥).

مقيت لأنه لون الدم. وبالرغم من ذلك فإن المسلمين يرتدون في أغلب الحالات ثياباً معصفرة أو حمرا».

وإذا آمنا بما يقوله ابن جني[1] وكذلك الواحدي[2] في الموضوع نفسه، فإن الشواب اليوافع كن يرتدين الأردية الحمر عادة. أما الثياب الخضر فلم يكن بوسع أحد أن يتزيا بها سوى الإشراف أو عترة الرسول محمد ﷺ وذرياتهم.

ويبدو بخصوص موضوع الأزياء عدم وجود اختلاف كبير بين الحنفيين والمالكيين والشافعيين، ولكن يخيل إليَّ أن طائفة أحمد بن حنبل - وهي أشد الطوائف الإسلامياً تزمتاً - قد أمعنت في الجمود إلى قرار سحيق في هذا المجال. **وإليكم ما نقرأ في تاريخ مصر للنويري**[3]: «وفي هذه السنة فوض قضاء قضاة الحنابلة بدمشق إلى شمس الدين أبي عبد الله محمد - ووصل إليه بتقليد القضاء من الأبواب السلطانية في يوم السبت ثامن صفر وقرىء بجامع دمشق بحضور القضاة والأعيان وخرج القاضي شمس الدين المذكور من الجامع ماشياً إلى دار السعادة[4] فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلعة السلطانية وتوجه إلى جبل الصالحية وجلس للحكم في سابع[5] صفر وما غير هيئته ولا عادته في مشيه وحمل

---

(١) شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص١١٠٣.

(٢) شرح ديوان المتنبي، مخ٥٤٢، ص٣٣.

(٣) مخ٢، ورقة ٨٧، حوادث عام ٧١٦.

(٤) دار السعادة هي بلاط النائب في دمشق، لأننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص١٠٩): «وفي عاشر شهر رمضان أمر نائب السلطنة بدمشق بهدم العمائر على حبس باب الجديد إلى باب الفرديس (الفراديس؟). (ذكر الإدريسي هذا الباب، ح١، ص٣٥٢) وفي التاسع والعشرين من شهر رمضان جمع القضاة والفقهاء بدار السعادة في مجلس نائب السلطنة».

(٥) هذا هو معنى كلمة «هيئة» أحياناً. ويروي ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس ص١٦٣) =

حاجته ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط بل يضعه في يده ويجلس عليه ويكتب في محبرة زجاج[١] نعله بيده فيضعه على مكان وإذا قام من مجلس الحكم حمله أيضاً حتى يصل آخر الإيوان فيلقيه ويلبسه. هكذا أخبرني من أثق بأخباره واستمر على ذلك وهذه عادة السلف».

وأنا في جهل مطبق ما إذا كان هذا التواضع المفرط من شنشنة كافة مشايعي مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أم من شيمة القضاة لوحدهم، فيؤسفني كل الأسف إنه لم يكن بمقدوري حتى مراجعة إحدى أمهات الكتب في الفقه الحنبلي حول هذه النقطة، إذ يبدو أن هذه الأسفار نادرة الوجود في أوروبا.

وسنقارن بغية تكوين فكرة لأنفسنا عن التغيرات التي طرأت على الأزياء العربية، بين أزياء المحمديين وبين زي رجل من الطبقة المترفهة في القاهرة في القرن السادس عشر، بعد الغزو التركي.

كان الرسول ﷺ يرتدي بادىء الأمر قميصاً من القطن الأبيض[٢] ينسدل ردناه إلى معصميه[٣]، وكان يضيف إلى هذا القميص سروالاً منسوجاً[٤]. ويخيل إليَّ أن النبيّ ﷺ كان لا يرتدي على القميص

= إن سلطان الهند منح كل مدينة «صاحب الخبر» أي مستخدماً يعلمه عن وصول الغرباء. ويضيف بهذه المناسبة: «وكتبوا اسمه ونعته وثيابه وأصحابه وخيله وخدامه وهيئته من الجلوس والمأكل». ونجد بعد ذلك حول كلمة مئزر الجملة التالية، المستعارة من كتاب لابن إياس: «ومئزر صوف أبيض تردى به كهيئة الصوفية».

(١) راجع لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٣): «كان الكتبة المصريون القدماء ورجالات الأدب وكثيرون غيرهم، يحمل كل منهم دواة من الفضة أو النحاس أو الصفر».

(٢) راجع معجمي حول كلمة القميص.

(٣) النووي، تهذيب الأسماء، ص٣٣.

(٤) راجع معجمي حول كلمة السروال.

والسروال إلا رداء واحداً هو الجبة، وهي عبارة عن رداء طويل من الصوف مطرزة بالحرير ومفتوحة من الأمام[١]. وكان لهذا الرداء ردناه الضيقان، أو كان بالأحرى قباء[٢] وهو كساء طويل مرصع بالأزرار من الجهة الأمامية. وكان الرسول في مناسبات أخرى يرتدي بدل هذه الثياب شملة من النسيج الخشن، وهي ما نسميه عادة بالبردة[٣] المكونة من قطعة كبيرة من النسيج الصوفي السميك، وهي شهباء اللون مجزعة تلف جسده الكريم كله. وكان الرسول محمد ﷺ يرتدي العمامة البيضاء أو السوداء، ويرسل إحدى نهايتها على ظهره[٤]. أما حذاء الرسول فكان يتألف من (صندل) نعال معمول من جلد البعير[٥] ومربوط بشراكين يرتمي أحدهما على منتصف القدم ويمر الآخر بين الأصبع الكبرى والثانية، وكان في بعض الأحيان ينتعل الخف العالي الرقبة[٦].

وهكذا نرى أن ملابس الرسول ﷺ كانت من البساطة في الذروة، وهي نفسها بساطة ملابس سكان الصحراء في يومنا هذا[٧].

ولا يرتدي البداة في عصرنا الحالي إلا قميصاً من القطن وثوباً طويلاً، أو رداء من الصوف بدلاً من هذا الثوب، اقتداء بالرسول محمد ﷺ.

---

(١) راجع معجمي حول كلمة الجبة.

(٢) انظر النووي (الكتاب القيم السابق ومعجمي حول كلمة القباء).

(٣) راجع معجمي حول كلمة البردة.

(٤) راجع معجمي حول كلمة العمامة.

(٥) النووي (الكتاب القيم السابق).

(٦) راجع معجمي حول كلمة النعل.

(٧) راجع معجمي حول كلمة الخف، والنووي (الكتاب القيم السالف).

يتألف زي رجل من سكان القاهرة في القرن السادس عشر من عدد من الملابس العديدة، ولم نعد نلاحظ في هذه القطع تلك البساطة التي كانت تميز زي النبي، وما زالت بادية للعيان في أزياء البدويين، فكانوا يرتدون فوق القميص والسروال ثوباً طويلاً اسمه (قفطان) وهو نسيج من الحرير، على ألوان مختلفة مختلطة ببعضها[١]، وهذا الثوب كان له ردنان في غاية الطول[٢]. وكانوا يشدون على القفطان حزاماً طويلاً من الحرير أو من الليف أو من الصوف[٣]، وتلي ذلك الجبة، أو الرداء الطويل المفتوح من الجهة الإمامية، التي كان ردناها قصيرين ولا تصل تماماً إلى المعصمين بحيث يمكن رؤية ردني القفطان الطويلين وقد تجاوزا الأصابع.

إن هذا الرداء كان أكثر قصراً في الجهة الإمامية منه في الجهة الخلفية، وكان يعمل من القماش الأحمر أو الأزرق أو الأشهب[٤]. وكانوا يلبسون فوق الجبة ثوباً فضفاضاً يدعى (فرجية) تعمل من المواد الرديئة عادة وقد تبطن أحياناً بالفرو أو بغيره[٥]. أما الاعتمام فكان يتألف بادىء الأمر من طاقية صغيرة من النسيج القطني[٦] ثم تلاها الطربوش الأحمر[٧] المصنع من القطن المضغوط، وأخيراً جاء دور القطعة

(١) انظر بركهارت، ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٦ ومعجمي حول كلمة الغنباز.

(٢) انظر معجمي حول كلمة الخفتان.

(٣) انظر معجمي حول كلمة الحزام.

(٤) انظر هيلفرتش، قصة رحلة مختصرة حقيقية، ص٣٩٣، ومعجمي حول كلمة الجبة.

(٥) معجمي - الفَرَجية.

(٦) معجمي - الطاقية والقبع.

(٧) معجمي - الطربوش.

القماشية من الموصلي المحيطة بالرأس[١] إحاطة السوار بالمعصم ألا وهي العمامة. وكانت الأحذية تعمل من الجلد المراكشي[٢].

إن جمال وكمية الثياب تخلع في الشرق الأبهة والوجاهة على مرتديها. ويقول المثل الفارسي: «قربت بلباس»[٣]. ومعنى ذلك كما يقول تافرنييه: «يحسن استقبالك وتكريمك وقبولك لدى البلاط وفي أوساط العظماء بقدر ما يكون هندامك حسناً». أما في مصر، فإننا نقرأ في وصف مصر (الأطلس، الجزء الثاني، الصفحة ٢٤)[٤]: «كلما زاد تكديس الوجهاء للملابس على أبدانهم زاد اعتبارهم وفاض عليهم الاحترام الذي ينشدونه».

إذن فلا غرابة ولا عجب إذا رأينا الشرقيين يعنون كل العناية بنظافة ملابسهم وتعطير أجسامهم بالروائح العطرية الفواحة. ونجد في كتاب الأغاني[٥]: «ملاءة مطيبة». ونقرأ في تاريخ مصر للنويري[٦] إنه وجد بين كنوز أحد العظماء: «لعبة من العنبر على قدر جسده برسم ثيابه توضع ثيابه عليها لتكتسب رائحتها»[٧] ونقرأ كذلك هذا البيت في كتاب ألف ليلة وليلة[٨]:

وتميس بين مزعفر ومعصفر ومعنبر وممسك ومصندل

---

(١) معجمي - العمامة.

(٢) معجمي - المركوب.

(٣) راجع شاردان، الرحلات، ج٣، ص٧٢، تافرنييه، الرحلات، ج١، ص٦٣١، ريجاردسون، حول كلمة القربة.

(٤) الأطلس، ح٢، ص٢٤.

(٥) ح٢، ص٤١. (النويري، مخ ك (٢) ص١٥٤، حوادث عام ٥١٥.

(٦) مخ، ل، ص٦٦.

(٧) ترجمة النص الخاص باللعبة.

(٨) ط مكناگتن، ح١، ص١٦٩.

ونعثر في مكان آخر من الكتاب نفسه على هذه العبارة: «لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة»[١]. ونقع في الكتاب ذاته أيضاً على هذه الجملة: «فقعدت تبخره (القناع) فطارت شرارة فأحرقت طرفه»[٢].

ويقول بركهارت عن وهابيي نجد أنهم يعطّرون بعناية كوفياتهم بعطور من المسك والورس وكذلك أردان ثيابهم بصورة خاصة[٣].

ونقرأ في كتاب «قلائد العقيان» للفتح بن خاقان، هذين البيتين لابن زيدون:

أعبّاد يا أوفى الملوك لقد سطا   عليك زمان من سجيته الغدر
فهلا عداه ان علياك حليه   وذكرك في أردان أيامه عطر[٤]

وفي قصيدة للمتنبي:

أتت زائراً ما خامر الطيب ثوبها   وكالمسك من أردانها يتضوع[٥]

وهو بيت ينظر إلى بيت لامرىء القيس:

ألم ترياني كلما جئت طارقاً   وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وقد جرت العادة في تكريم ذات من الذوات أن تخلع عليه ثياب التشريف، وهي عادة قديمة في الشرق. ومع ذلك نرى إذا ملنا إلى تصديق ما يقوله المقريزي إن أول من مارس هذه العادة من أمراء المسلمين هو هارون الرشيد بخلعه ثياب الشرف على نديمه جعفر بن

---

(١) ج١، ص٥٦٨.
(٢) ج٣، ص١٨٢.
(٣) ملاحظات على البدو والوهابيين، ص١٣١.
(٤) ابن زيدون، لدى ابن خاقان، ص٣٨.
(٥) الديوان، مخ٥٤٢، ص٢٢. راجع الواحدي وابن جني.

يحيى البرمكي. قال المقريزي[١] بالحرف الواحد في الجزء الثاني من مخطوطة «وصف مصر»: «وأول من علمته خلع عليه من أهل الدولة «جعفر بن يحيى البرمكي».

إن لباس التشريف يسمى خلعة ويدعى في العصور الأحدث من العصور القديمة تشريفاً. وكان من الأمور المعروفة يوم دخول هذه العادة أن يخلع الأمير الرداء الذي يرتديه ويكسو به الشخص الذي رام تشريفه أو مكافأته، ولكن لا يبدو في أعقاب ذلك أن الأمراء كانوا لا يهبون إلا الثياب التي كانت في خزائن ملابسهم الخاصة، أو الثياب الجديدة، ولكن خلع الثياب كان دائماً دلالة على التشريف بأن يلبس المرء الثياب التي كان يرتديها الأمير نفسه، ولم يغفل المؤرخون ذكر هذه الظاهرة[٢].

ويقول النويري: «أنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بشربوش كان قد لبسه».

ولو أردنا أن نقرر على وجه الدقة من أي ملابس كانت تتألف الخلعة أو التشريف في مختلف الأحقاب لواجهنا مشكلة عويصة للغاية بالإضافة إلى أنه يخيل إلينا أن الثياب التي كانت تؤلف الخلعة خلال حكم بعض السلالات كانت تتوقف على اختيار الأمير التحكمي. ومع ذلك فإن فيرس[٣] يخيل إليه أن الخلعة تنحصر في الأغلب الأعم أو في الحالات الخاصة بالقباء، ولكن يجب على أن أبرهن هنا أن هذا الرأي غير قائم على

(١) وصف مصر، ح٢، مخ١٧٢، ص٣٥١: وأول من علمته خلع عليه من أهل الدول جعفر بن يحيى البرمكي.

(٢) تاريخ مصر، مخ٢م، ص٢١٥.

(٣) في تعليقه على تاريخ اليمن، رتجرس، ص١٤٠.

أساس. صحيح أن ملابس التشريف في عهد حسن باشا الذي كان يحكم اليمن كانت تقتصر على الأقبية[١]، ولكن لم تكن الحالة في بغداد وفي مصر مثلاً على هذه الشاكلة. وكانت الخلعة وكان التشريف مؤلفين من مختلف الملابس. ويعلمنا النويري[٢] أن لباس التشريف الممنوح من قبل خليفة بغداد الملك الناصر داود كان يتألف من قباء أطلس ومن شربوش. ويروي لنا المؤرخ نفسه في مكان آخر أن الخلعة المعطاة من قبل الخليفة العباسي المعتصم بالله[٣] كانت مؤلفة من عمامة سوداء وفرجية مزينة بالذهب. ونقرأ في أسفل هذا الخبر أن لباس التشريف الموهوب من الخليفة كان مكوناً من عمامة من الديباج الأسود ومن دراعة. والخلعة التي كانت تمنح في مصر إلى أحد الوزراء كانت تتشكل من الجبة ومن فرجية ومن طرحة[٤]. وكان التشريف ينحصر كذلك في مختلف الملابس. وأخيراً هناك كلام آخر للنويري[٥] يدل دلالة واضحة على أن حلل التشريف كانت تتباين بالنظر للقماش المصنوعة منه[٦] وللأجزاء التي تتألف منها[٧] وذلك حسباناً للطبقة التي ينتمي إليها الرجل موضوع التشريف والمكافأة، أو حسب الخدمات التي كان قد أداها للأمير[٨].

---

(١) راجع تاريخ اليمن، مخ٤٧٧، ص١٨، ٣٤، ٦٠، ٦١، ١١٢، ١٧٦، ٢٨٤، ٢٩٨، ٣١٩.

(٢) تاريخ مصر.

(٣) المرجع السابق، ص٨٢، حوادث عام ٦٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٤.

(٥) النويري، المرجع السابق، مخ٢ن، ص٣٢.

(٦) راجع النويري، المرجع السابق، مخ٢و، ص٥٨، ٧٥، ٨٣، ١١٦، مخ١٩ب، ص٢٢ و٢٣، ١٣٥.

(٧) المرجع السابق، مخ١٩ب، ورقة ٢٥، ص٣٠.

(٨) راجع النويري، المرجع السابق، مخ٢، ص٤٩، ٨٢، ١٤٤، مخ١٩ب، ص٣. كامفر، التحف النادرة، ص٦٥، وتعليقة سمليه على كلستان سعدي، ص٤٦.

أما لباس الشرف المعطى من قبل الخلفاء العباسيين فقد كان على وجه التأكيد أسود اللون[١]. ولا تستعمل الألبسة في الشرق لسوء الحظ كأداة للزينة فقط، فإن شيطان الكره أو الانتقام يستخدمها لينتزع من العدو الحياة بصورة دنيئة. ونحن الغربيين نعلم أن الملابس كانت تستخدم في العصر الوسيط للغرض نفسه. وإن قلة من الأمثلة المقتبسة من التاريخ الإسلامي لكافية للبرهنة على أن هذا الثأر الخسيس لم يكن غير معروف في الشرق. ويقص علينا النويري[٢] إن السلطان الأيوبي الملك المعظم كان قد أضمر في نفسه حقداً عنيفاً لقاضي القضاة، لأن هذا القاضي كان قد أقنع أخت صلاح الدين (ست الشام بنت أيوب) أن توصي بأموالها إلى المؤسسات الخيرية. ولما كان الملك المعظم يطمح هو نفسه إلى إحراز هذه الأموال فإن آماله قد خابت نتيجة لحمية القاضي. فبحث الأمير خلال بعض الوقت عن ذريعة يتذرع بها للانتقام من القاضي ولكن دون جدوى. وأخيراً اهتدى إلى هذه الذريعة فأرسل رسولاً إلى القاضي وهو في مجلس حكمه يحيط به جماعة كبيرة من العدول والمتحاكمين. **ويمضي المؤرخ في قصته فيقول**[٣]: «فجاء الرسول وقال للقاضي»: «السلطان يسلم عليك ويقول لك: الخليفة سلم الله عليه إذا أراد أن يشرف أحداً من أصحابه خلع عليه من ملابسه. ونحن نسلك طريقه. وقد أرسل إليك من ملابسه وأمر أن تلبسه في مجلسك هذا وأنت تحكم بين الناس. وكان الملك المعظم أكثر ما يلبس قباء أبيض وكلوته صفراء. وفتح الرسول البقچة[٤]. فلما نظر القاضي إلى ما فيها وجم»[٥].

---

(١) راجع النويري مثلاً، تاريخ مصر، مخ٢ن، ص٢٨.

(٢) النويري، تاريخ مصر، مخ٢، ص٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر حول كلمة البقچة أو البقشة التعليقة حول كلمة التحتانية.

(٥) وضعت وجم محل وحم الواردتين في المخطوطتين.

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة: «فأخبرني الرسول الذي أحضر هذه الخلعة والرسالة بذلك قال: وكان السلطان قد أمرني أن ألبسه إياها بيدي أن امتنع أو توقف. فأشرت عليه بلبسها وأعدت عليه الرسالة. فأخذ القباء ووضعه على كتفه ووضع عمامته بالأرض ولبس الكلوتة الصفراء على رأسه. ثم قام ودخل بيته». وتضيف المخطوطة: «ومرض أثر هذه الحادثة ورمى كبده ومات». ويقال أن ذلك كان في يوم الأربعاء سابع عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة وسبع مائة (النص كما هو - المترجم). ومات ملك قشتالة (دون أنريك) مسموماً، طبقاً لما تقوله بعض التواريخ الأسبانية، وذلك لأن ملك غرناطة محمد كان قد أهدى إليه حذاء طويل العنق مشبعاً بالسموم[١].

وكان الرجال والنساء يرتدون الثياب السود على حد سواء في العهود القديمة علامة على الحداد، وذلك لأننا نعلم أن زي الخلفاء العباسيين الأسود كان قد قد اتخذ كشارة من شارات الحداد بسبب وفاة الإمام إبراهيم بن محمد. ونقرأ كذلك في تاريخ مصر للنويري ما يلي: «شق القاهرة وهو لابس السواد وإعلامه كذلك حزناً على الظاهر». ولكن لم تعد ألبسة الحداد تلبس بعد هذه العصور من قبل الرجال، وذلك لأن هذا يعني عدم الخضوع لمشيئة القدر والحكمة الإلهية[٢]. ومع ذلك فإن النساء ما زلن يرتدين ألبسة الحداد في الشرق، ولكن بمناسبة وفاة الأزواج والأقرباء. فنحن نقرأ في الإحاطة لابن الخطيب، إن الشاعرة الشهيرة حفصة عشيقة أبي جعفر أحمد بن سعيد الشاعر الذائع الصيت ووزير حاكم غرناطة، لبست الحداد لدى علمها بقتل حبيبها. ولكن هذه الحالة ولا ريب استثناء من القاعدة.

(١) مؤلف كتاب الروضتين الشهير (تاريخ نور الدين وصلاح الدين).

(٢) راجع كونده، تاريخ حكم العرب في أسبانيا، ح٣ وكوباروفياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، حول كلمة Barzeqoi.

وينحصر الحداد في أن تصبغ النساء القميص وخمار الرأس وحجاب الوجه والمنديل باللون الأزرق الغامق أو باللون الأسود على وجه التقريب، مضافاً إلى اللون النيلي. وفي أن يرتدين ملابس الحداد سبعة أيام أو خمسة عشر يوماً أو أربعين يوماً أحياناً[١].

أما في الأندلس أثناء حكم الخلفاء الأمويين فإن ملابس الحداد كانت بيضاً، لأننا نقرأ في تاريخ الأندلس (نفح الطيب؟) للمقري: «عليهم الظهائر البيض شعار الحزن».

والعرب يرتدون الملابس الحمر أو الصفر (المعصفرة) حين يريدون إظهار أنهم في أوج سورة الغضب. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة: «لبس بدلة الغضب وهي بدلة حمراء». ولكن ربما كانت هذه العدة شنشنة تركية[٢].

وفي المغرب يشير اللون الأصفر إلى الغضب، ذلك لأن (بيدرو دي سان اولون)[٣] و(وندس) يلاحظان أن ملوك مراكش، إذا نووا سفك الدماء، فإنهم يرتدون في معظم الحالات الملابس الصفر.

---

(١) بركهارت، أسفار في الجزيرة العربية، ج٢، ص٢٧٤، لين ألف ليلة وليلة، ج١، ص١٣٤، ٥١٨. مقتبسات من قصة عنترة، ص٩٢، ١٥٤ ألف ليلة وليلة، ط مكناگتن، ج١، ص٣٣٩.

(٢) لاحظ تعليق لين، ج١، ص٣٢٦، ٣٢٧.

(٣) الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص٦٣، ١٧٢. ورحلة إلى مكناس، ص١٣٣.

الملابس عند العرب

الإِتْب والمِئْتَبَة

وبعد فإننا نقرأ لدى الجوهري (ج١، مخـ٨٥، ص٢٨) إتب: «الإتب البقير وهو ثوب أو برد يشق في وسطه فتلقيه المرأة في عنقها من غيركم ولا جيب والجمع أتوب. وفي القاموس المحيط (ط كلكتا ص٤٤٣): الإتب بالكسر والمئتبة كمكنسة برد يشق فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين، والبقيرة، ودرع المرأة، وما قصر من الثياب فنصف الساق، أو سراويل بلا رجلين، أو قميص بلا كمين. وقد وجدت في مجمل اللغة لابن فارس «مخـ٤٨٥»: الإتب كالبقيرة. وينتج من هذه الشروح، التي قدمها اللغويون العرب، إن الإتب والمئتبة يعملان بصورة عامة من قطعة قماش[1]، وبصورة خاصة من قطعة قماش

---

(١) إن كلمة ثوب تعني أيضاً قطعة قماش، فنحن نطالع في ألف وليلة: فمضيت وعمدت إلى ثوبين من الديباج الرومي وجئت بهما إليه وقلت للخياط فصل هذه أربعة ملابس اثنين مفرجة واثنين غير مفرجة. ونقرأ في مكان آخر من ألف ليلة وليلة أيضاً: «اقطع لها من هذا الثوب كسوة وخيطها. وقال والله ما أرضى لنفسي =

مخططة، تشق من وسطها، وحينئذ تدخل المرأة رأسها من الفتحة المعدة لهذا الغرض. وهذا الثوب محروم من الكمين، وغير مفتوح من جهة الصدر. ويخيل إلينا إن بساطة هذا الثوب تشير إلى أن هذا اللباس كان يرتدي في العهود الإسلامية الأولى، وما زال النساء - حتى يومنا هذا - يرتدينه في شبه الجزيرة العربية، لأن علي بيگ يقول في (الأسفار، ج٢، ص١٠٦) وهو **يتحدث عن نساء مكة**: «إنهن ما يفتأن يلبسن» القميص، على هيئة عجيبة غريبة للغاية لا نكاد نتصورها. ويتألف هذا القميص من قطعتين مربعتين من القماش طول كل منهما ست أقدام وعرضها خمس أقدام مخيطة بصورة مجتمعة من الأعلى، حاشا فتحة في الوسط ينساب منها الرأس. أما الزوايا السفلية فمقورة بمقدار سبع بوصات تقريباً، وكأنها جزء من دائرة، بحيث إن ما كان في بدايته زاوية يصبح تقويرة محفورة. وهاتان التقويرتان مخيطتان معاً، ولكن الجزء السفلي والجوانب تبقى مفتوحة من الأعلى إلى الأسفل. وترتدي موسرات النساء هذه الأقمصة المعمولة من النسيج الحريري المخطط تخطيطاً خفيفاً دقيقاً. وهو رقيق رقة الگاز ويجلب من مصر. والنساء المذكورات يصففنه طيات طيات على الأكتاف، ويعلقنه حول أجسامهن بمعونة حزام». والإتب بصورة عامة يعني كافة الملابس القصيرة، التي لا تصل إلى أكثر من منتصف السيقان، كما أن الإتب يعني - أيضاً - نوعاً من السراويل القصيرة، السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان، أو أنه قميص لا كم له.

= من جميع ما معي كفناً أكفن فيه فتصدق عليَّ بكفن». فبعث إليه نصف ثوب بغدادي ومائتي درهم فكفنوه بهما. (تاريخ مصر للنويري (مخطوطة ٢).

المِئْتَب

لا وجود لهذه الكلمة لدى الجوهري. ولكن تشير هذه الكلمة حسب رأي القاموس (ط كلكتا، ص٤٣) إلى نفس اللباس المشار إليه بكلمة مشمل، وهو رداء يشتمل به (المئتب كمنبر. المشمل) راجع كلمة مشمل.

الأُخْروق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن يخيل إليَّ إنها تعني ضرباً من ضروب تيجان الرأس المستعملة في المغرب. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخطوطة دي گايانگوس) في مقاله عن بلغار الڤولگا: وعلى رأسها البغطاف وهو أخروف (كذا) مرصع بالجوهر وفي أعلاه ريش الطواويس. ويقول بعد ذلك: وعلى رأس كل واحدة من البنات (الخادمات) الكلا (كلاه بالفارسية) وهو شبه الأخروف (كذا) وفي أعلاه دائرة ذهب مرصعة بالجوهر وريش الطواويس من فوقها. ويستخلص من الفقرات السالفة إن كلمة أخروق كانت تعني في المغرب: «نوعاً من التيجان الصغيرة». (راجع ألف ليلة وليلة ت لين، ج١، ص٤٢٤) المعمولة من الذهب، المرصعة بالأحجار الكريمة، التي يستعملها النساء أغطية لرؤوسهن وتحلياً بها. ولعلها نفس الزينات الرأسية التي تحمل في أقطار الشرق الأخرى اسم تاج[١].

---

(١) إن كلمة بغطاف التي يستعملها هنا ابن بطولة (بالفارسية بغتاف) وجدت مشروحة بعد ذلك على هذه الشاكلة: «وعلى رأس الخاتون البغطاف وهو مثل التاج الصغير، مكلل بالجوهر وبأعلاه ريش الطواويس».

الإزار والإِزْرُ وفي اللَهجَة المصريَة الإِيزار

كان يبدو في العهود الإسلامية الأولى أن كلمة إيزار قد استعملت لتعني ثوباً بصورة عامة مهما كان شكل هذا الثوب. فالبخاري (صحيح، ج٢، مخ٣٥٦) عنده باب يحمل عنوان: باب الإزار المهدب[1] يقول فيه: ويذكر عن الزهري وأبي بكر بن محمد وحمزة بن أبي أسيد ومعاوية بن عبد الله بن جعفر أنهم لبسوا ثياباً مهدبة. والمسألة في هذا الكلام هي مسألة ثياب بصورة عامة، وينبغي أن نضيف إلى ذلك أن القاموس (ط كلكتا. ص٤٥١) قال في ضمن ما قاله إن كلمة إزار تعني كل ما سترك. ومع ذلك فمن المحتمل أن المؤلف أراد أن يشير بصورة خاصة إلى الأردية المسمى واحدها إزاراً، وهي الإزر التي كان يشتمل بها الرجال في عهد محمد ﷺ. ويخيل إلينا أن رجال عمان كانوا مشهورين بهذه الأزياء. لأننا نقرأ في عيون الأثر (مخ٣٤٠). إن الرسول قد ترك يوم وفاته، فيما تركه من ثياب أخرى إزاراً عُمانياً. وهذا ما يجعلني أعتقد جازماً أن المعنى في الكلام السالف بالإزار هو الرداء، ذلك لأن المؤلف أبا الفتح محمد أو بالأحرى مستنده ابن فارس قد ذكر بالإضافة إلى ذلك ثوبين من تلك الثياب التي يسمى مفردها حبرة. (راجع كلمة حبرة في موضعها من هذا المعجم). ونجد كذلك كلمة إزار مستعملة في محل كلمة بردة بالمعنى نفسه. وقد ترك محمد ﷺ كذلك إزاراً آخر، سأتحدث عنه في موضع من المواضع التالية.

أما في العصور المتأخرة، فيبدو أن كلمة إزار لم تعد تستعمل لتعيين رداء من أردية الرجال، ولكن هذه الكلمة قد استعملت طوال عهود

---

(١) الصيغة الثانية من فعل هدب لا وجود لها في القاموس.

الإسلام، منذ عهد محمد ﷺ حتى أيامنا هذا، للدلالة على هذا الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به نساء الشرق. ولننظر أول ما ننظر إلى لين كيف يصف هذه اللفافة ولنجاهد بعد ذلك في البرهنة باستشهادات عديدة على ما قدمناه نحن من رأي. أما المحقق الانكليزي - وهو مشهور بجدارة واستحقاق بنفاذ بصيرته فيصف الإزار على الهيئة التي ترتديه بها النساء المصريات في يومنا هذا (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٢١٠). وراجع كذلك كتاب (المصريون المحدثون، ج١، ٦٣) إذ يقول: «الإزار هو قطعة من النسيج تلتف بها النساء العربيات عادة عندما يبرزن للجمهور. عرض هذا الإزار ذراعان أو أكثر من ذلك (حسب طول المرأة المشتملة به). وطوله ثلاث أذرع، وتسحب النساء من قسمه الخلفي حاشية على الجزء العلوي من الرأس وعلى الجبين: ويعلقن هذه الحاشية حينئذ بشريط مخيط من الداخل. أما البقية فتتدلى إلى الخلف وإلى كل جهة حتى تبلغ الأرض أو تكاد تمسها، وهذا الإزار يلف الجسم كله تقريباً، لأن المرأة تمسك بنهايته بصورة تجعله يلفها من الجهة الإمامية أيضاً، وهكذا تغيب في هذا الكيس. وعلى هذه الهيئة يخفي هذا الثوب كل قطع الحلل الأخرى الملبوسة عدا جزءاً صغيراً من الثوب الواسع الفضفاض (ثوب أو سبلة) هو جزء آخر من اللباس الغرض منه تمكين المرأة من التجول أو من ركوب الخيل أو ركوب الحمار). وهناك خمار الوجه. وهو يصنع الآن بصورة عامة من الخام الأبيض. وهذا النوع من الإزار كان مستعملاً في عهد محمد ﷺ. ففي صحيح البخاري (ج٢، مخ٢٥٦) في الباب الذي سبق لنا ذكره عن الإزار المهدب، **نقرأ القصة التالية، مستندة إلى رواية عائشة** رضي الله عنها: قالت: «جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة وعنده أبو بكر فقالت: يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني وبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه

والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة وأخذت هدبة من جلبابها، فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له. قالت فقال خالد: «يا أبا بكر ألا تنهي هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ» فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم. فقال لها رسول الله ﷺ: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة، حتى لا يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته» فصار سنة بعد. وكلمة جلباب حسب رأي الجوهري (ج١، مخ٨٥) هي كلمة ملحفة. والملحفة طبقاً لآراء المؤلفين الأندلسيين الذين سنجد كلامهم فيما بعد هي الإزار نفسه[1]. ولنمض الآن من شبه الجزيرة العربية إلى مصر. وإذ نصل إلى وادي الكنانة نقرأ في النويري تاريخ مصر، (مخ٢) إن العلماء قرروا، في مجمع من مجامعهم أن النساء اليهوديات والنصرانيات سيكن مجبرات على التمنطق بالزنار تحت الإزار أو حسب رواية أخرى - يبدو إنها أكثر احتمالاً لدى النويري - يشد الزنار فوق الإزار لا تحته. (وأما المرأة فتشد الزنار من تحت الإزار وقيل من فوق الإزار وهو الأولى. ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ١١٣): وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة أمر بأن يكون إزار النصرانية أزرق وإزار اليهودية أصفر وإزار السامرية أحمر. وبهذه الطريقة كان الناس يستطيعون لأول وهلة التفريق بين هذه المرأة وتلك من جهة ممارسة هذا الدين أو ذاك في حين أن المرأة المسلمة كانت ترتدي الإزار الأبيض فهي متميزة في كل الأحوال. ونجد لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٣٩٨): «وكانت الغاسلة إذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة في إيزارها حتى يعلم أنها

---

(١) يخلط المستشرق الطائر الصيت سيلفستر دي ساسي بين الزنار والحزام. فالزنار في مصر هو حزام الشعوب دافعي الجزية (اليهود والمسيحيين والسامريين) أما زنار المسلمين فهو الحزام!

غاسلة» (إذ في عام ٨٤٠ حرم السلطان على النساء الخروج من منازلهن). ونجد في ألف ليلة وليلة - (ط مكناگتن ج٢، ص١٢١): عليها ثياب مشرمطة وإزار وسخ قديم. وفي مكان آخر من الكتاب المذكور ص١٢٤: ثم إني غطيت عيني وداريت بطرف إزاري من الناس. وحط فمه تحت إزاري على خدي. وفي موقع آخر ص٢٢٩: كشفت نقابها عن وجهها وقلعت إزارها. وفي موضع آخر (ج٢، ص٢٢٨): وضعت على رأسها إزاراً عسلياً. وأخيراً نقرأ في (ج٣، ص٥٤٠): وهي ملفوفة في إزار من حرير مزركش بذهب (والحديث عن جارية تجري عملية بيعها).

ويطيب لي أن أقر هنا إن أهل مصر اليوم لم يعودوا يسمون الآن هذا الرداء أو الشملة إذا كانا مصنوعين من الحرير إزاراً، إذ أن هذا الإزار الحريري يطلق عليه اليوم اسم حبرة.

وإن الرحالة الأوروبيين، الذين زاروا مصر في مختلف الأزمان، يتحدثون أيضاً عن هذا اللباس، ولكن معظمهم لا يوردون اسمه. فنحن نقرأ في قصة هيلفريش ما يلي: «إن النساء كن يرتدين حين يخرجن إلى مدينة القاهرة أردية متماثلة. وأعني بذلك إنهن ساعة يزمعن البروز من منازلهن تلتحف أجسامهن بقماش أبيض بديع ناعم الملمس، وإنهن يسحبن أرديتهن من الجهة الخلفية على الرأس، وإنهن يعلقن ملابسهن من الجهة الأمامية تحت العنق. وبعد ذلك يلففن أنفسهن بدقة وإحكام بهذا الرداء الذي يغطين ذواتهن به حتى مواقع أقدامهن. وإن هذه الأقمشة التي يستعملنها كأردية لها من الحاشية العليا نوع من الهدب الحريري الأحمر المرصع بالذهب». ونقرأ في رحلة منتيكازا ص٩٠ إن النساء إذا عزمن على الخروج من بيوتهن غطين أنفسهن تغطية تامة برداء أبيض من القطن المنفوش، وهو نسيج يسميه الأهالي بافتة، وهم يجلبونه من الهند،

ويغطين أنفسهن به من سمت الرأس إلى أخمص القدم[١] ولعل وايلد أيضاً يتحدث في كتابه (ص٢٠٤) عن الإزار حين يقول عن نساء مصر: «إن النساء المصريات - أثناء سفرهن أو ساعة خروجهن من منازلهن - يرتدين لباساً أبيض على رؤوسهن ليستترن به». ويتحدث كورني (ص٢١٨) في رحلته عن النساء العربيات في القاهرة فيعبر على هذه الصورة: «إنهن حين ينطلقن خارج دورهن يضعن على رؤوسهن وعلى أجسادهن لباساً من القماش الأبيض يغطيهن تغطية شاملة بحيث لا يدع لهن شيئاً يفلت من هذه الظلمة سوى عين واحدة تستطيع أن تهدى كل امرأة إلى طريقها. إن هذه الأغطية تشبه تلك التي يستعملها الأسبان».

ويجب علي أيضاً أن ألفت النظر إلى أن كلمة إزار في مصر تلفظ وتكتب كذلك (أيزار). ولقد رأينا سالفاً أن هذه الصيغة استعملت من قبل ابن إياس. وهي بعد ذلك ليست نادرة الوقوع في نص ألف ليلة وليلة الذي نشره هابيخت. راجع مثلاً الجزء الأول الصفحات ١٩٤، ٣١٠، و٣٥٢ مكررة و٣٥٦. وراجع أيضاً بركهارت (الأمثال العربية رقم ٥٦) فهو يكتب هذه الكلمة على نفس الهيئة حين يروي المثل التالي: «إن لقيتها قطّع إيزارها قال الدورة على لم الشمل». **وترجمتها عندي**: «إذا وجدتها فاشطر إزارها شطرين» فيجيبه الآخر: «المهم في اللحظة الراهنة هو إيجاد الفرصة لملاقاتها». (ومع ذلك فبركهارت يتوهم حين يقول: «إن الإيزار هو شملة المرأة المصنوعة على وجه العموم من الحرير الأسود أو من القطن من نفس اللون. فإذا كانت الشملة التي نتحدث بشأنها فتسمى حبرة. وأخيراً فإن لين يجزم بصراحة بأن الناس في مصر يقولون (إيزار).

---

(١) يبدو إذن أن الكلمة الفارسية بافتة كانت مستعملة في مد . أيضاً. ففي كتاب آيين أكبري (ج١ ص٩٨) إن البافتة هي اسم من بين أسماء مسوجات القطنية.

فإذا تركنا مصر أيضاً وعبرنا إلى بلاد البربر وجدنا الإزار في القرنين السادس عشر والسابع عشر في مراكش وفي فاس. إذ يقول دييكودي توريس في (قصة الشرفاء، ص٨٦) **في معرض الحديث عن سيدات مراكش**: «إنهن يرتدين فوق فساتيهن لباساً طويلاً يسمينه إزاراً، وهو الذي يسمونه في غرناطة ملحفة، وهي مصنوعة من الحرير أو من الصوف مع زركشات وحواشي من الجوانب مطوية طيات غاية في الذوق والإبداع بحيث تتعلق بالصدر بالإضافة إلى ترصيعها ببعض الحلقات والأقراط ومواد الزينة ويخترقها دبوس. وهذه التحليات - ذهبية كانت أم فضية - إنما هي لدى الأغنياء. أما لدى الطبقات الأخرى فهي من المعدن. **ونقرأ كذلك في موضوع النساء في فاس في كتاب دي مارمول** (وصف أفريقيا ج٢): «إن النساء على جانب مفرط من الجمال ولو أنهن لسن متعففات في أغلب الحالات وهن يرتدين الألبسة بأناقة رائعة للغاية ويتزين لدى خروجهن من منازلهن بالملابس البيض الفاخرة المصنوعة من الذهب ومن الحرير، وتلتف فوق هذه الملابس الملاحف أو الإزر المعمولة من النسيج الهولندي الفاره، المزينة من نهايتها بالحرير الملون. وهذه الأردية طويلة طول أغطية السرر ولكنها ليست واسعة سعتها وعليها في حواشيها شرائط من الحرير الأبيض أو من لون آخر وكلها منسوجة في نفس الإزار. وبعد أن تلتف النساء بهذه الإزر يشددنها إلى الصدر بحلقة ضخمة من الفضة أو الذهب أما في الصيف فهو الزي الاعتيادي للنساء النبيلات. ويخبرنا داپر في كتابه عن أفريقيا ص٢٤١ إن الخادمة التي وجدت ضمن أعضاء سفارة ملك مراكش وفاس في امستردام عام ١٦٥٩ - كانت ترتدي إزاراً مصنوعاً من القطن الأبيض الدقيق. ويبدو لنا أن الإزار لم يعد مستعملاً في يومنا هذا في فاس ومراكش، ذلك لأن المحقق المدقق الدانمركي هوست لم يتحدث عنه.

أما في مالطه فيكتبون ويلفظون كلمة ليزار وكلمة ليزور. فالكلمة الأولى في حالة الأفراد والكلمة الثانية في صيغة الجمع. وهذه الكلمة تعني في هذه الجزيرة أيضاً شملة واسعة (راجع فاسالي اللغة المالطية، المجموعة ٤٤٢).

كان الإزار مستعملاً في سورية أيضاً وما برح مرتدي في تلك الربوع حتى يومنا هذا. ونحن نقرأ في رحلة هيلفريش أن النساء في أورشليم يتكيسن في شملة بيضاء بدلاً من الرداء الذي يلف رؤوسهن وكافة ثيابهن، بحيث أنك لا تستطيع تمييز هذه المرأة من المرأة الأخرى وهي الحالة السائدة في القاهرة. ويقول لويس دي فارتما أن النساء في دمشق مرتديات أفخر الحلل، أما ملابسهن الفوقانية فهي من القطن الأبيض الناعم، وهذه الملابس لينة الملمس دقيقة الصنع كأنها قدت من الحرير. ويروي داندينى في (رحلة من جبل لبنان، ص٤٦) إن نساء طرابلس في سورية يلتحفن - لدى خروجهن - التحافاً تماماً في شرشف من الكتان الأبيض أو من القطن بحيث أن الناظرين إليهن لا يرون حتى أيديهن بالرغم من تملكهن حرية تحريك أذرعتهن وأيديهن. أما دارفيو في كتابه (مذكرات، ج٦ ص٤٣٦) **فيقول أن النساء الحلبيات** يرتدين فوق ثيابهن «دثاراً واسعاً من القماش الأبيض يغطيهن من رؤوسهن إلى أقدامهن». ويقول فون ريشتر وهو في صدد الحديث عن عرائس التجار الأفرنج في حلب: «إن زي السيدات هو الزي العام السائد على الساحل السوري - فهن حين يخرجن يرتدين شملة بيضاء يدفعنها من الوراء على الرأس ويعقدنها من الأمام تحت الأنف، بحيث إنك إن لم تكن على معرفة خاصة بالأنوف لن تستطيع التعرف على المتنكرات في هذه الهيئة». وأخيراً يقول المقدم نابييه، **وهو يتحدث عن نساء بيروت** (ذكريات عن سورية، ج١ ص١١٧): «إنهن ملتفات التفافاً تاماً بالإزار

أو بالشملة الطويلة البيضاء التي تلف الرأس فتخفي الوجه وتسقط على الأرض في طيات عديدة، بحيث أنهن لا يكدن يعرفن من قبل أصدقائهن أو من قبل ذويهن الأدنين». (راجع الكتاب نفسه، ج١ ص١٣٣ و١٤٣).

ويخيل إلي أن الإزار كذلك دائم الاستعمال لدى النساء المارونيات. (راجع لايت. رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص ص٢٢٠ ودقق الصور).

أما في الجزيرة فيبدو أن الإزار هناك نادر الوجود.

ومع ذلك فإننا نقرأ في أحد كتب بكنكهام (رحلات إلى بلاد ما بين النهرين ج١، ص٣٩٢) إن النساء في ديار بكر يرتدين أحياناً إزرهن المصنوعة من الموصلي الأبيض كتلك الإزر التي ترتديها النساء في إزمير وفي دمشق.

ليس في مقدوري أن أدع هذه المادة دون أن أترجم بعض فقرات مارمول (وصف افريقيا، ج٣٣) ذلك الكتاب الغامض المغمور. إذ يقول الرجل في معرض كلامه عن النساء المصريات: «إنهن يرتدين الشملات الواسعة البيض المصنوعة من القطن الناعم الدقيق الذي يجلب من الهند، وهذه الأغطية مفصلة تفصيلات مختلفة، فبعضها يشبه أزر بلاد البربر وبعضها يسمى في مصر ليسيا (هي كلمة عربية تعني غطاء أو خماراً) فهل أراد بليسيا الإزار الذي أعرفه؟ لا أدري».

ولا بد من جهة أخرى أن يكون مارمول قد زار مصر في عهد قريب كل القرب من كتابه ألف ليلة وليلة، وقد رأينا في السطور السالفة إن كلمة إزار تظهر أحياناً في هذا الكتاب. وأخيراً فإن الوصف المعطى من قبل مارمول عن ليسيا النساء المصريات ينطبق كل الانطباق على أوصاف الإزار التي فرغنا تواً من قراءتها. لذلك أرى أن مارمول واهم وأنه قد أساء الفهم

ولكن مارمول كاتب مرموق بحيث لا يسعنا السكوت عن ملاحظاته ولو كانت خاطئة.

أما صيغة إزارة فهي نادرة، ولم أقع عليها إلا في هذا البيت المنسوب للأعشى الذي نقله الجوهري (ج١، مخ٨٥) (الكامل):

كتميلّ النشوان يرفل في البقير وفي الإزارة

إن كلمة إزار - التي تشير إلى الغطاء الواسع الذي تلف المرأة به جسمها كله - قد استعملت من قبل الشعراء للدلالة على المرأة نفسها. فنحن نقرأ هذا البيت الذي يرويه الجوهري (ج١، مخ٨٥): (الوافر):

ألا أبلغ أبا حفص رسولاً فدى لك من أخي ثقة إزاري

ويضيف اللغوي: قال أبو عمرو الجرمي يريد بالإزار هاهنا المرأة: (راجع القاموس، ط كلكتا، ص٤٥١)، ولكن لكلمة إزار معنى آخر أيضاً. فهي تعني نوعاً من التبان لتغطية الأرداف والأعضاء الطبيعية (العورة). فنحن نقرأ في عيون الأثر (مخ٣٤٠) إن الرسول ترك بين مخلفاته: إزاراً طوله خمسة أشبار. وقد حرم رسول الله على المؤمنين ارتداء التبابين أو السراويلات خلال أيام الحج، وأمر بالتعويض عنها بالإزار. ولكنه قال: «من لم يجد إزاراً فليلبس سراويل». (راجع صحيح البخاري، ج٢، مخ٣٥٦). وراجع باب البرانس وباب العمائم. ويقول النويري في (تاريخ مصر، مخ٢): فأعطاني هذا الإزار وقال: «قد أحرمت فيه عشرين حجة، وأخيراً يعلمنا وايلد Wild في أحد كتبه (ص٦٤) ما يلي: وفي تلك الأمسية، واصل الحجاج سفرهم لدى غروب الشمس، فلم يرتدوا ألبستهم، ولكنهم اكتفوا بستر أعضائهم الطبيعية فقط بنسيج وبلف أجسامهم عموماً بالإحرام الذي هو قطعة من القماش المصنوع من الشعر. (راجع كذلك في الصحيح، الكلم النوابغ، ص١٢١).

ويروى الرواة أن النبي ﷺ قال: «إنها ستفتح عليكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار». (الرسالة لابن زيد، مخ١١٩٣، ص٧٤٧).

ويبدو أن صيغة إزر نادرة الوقوع. فنحن نقرأ في الميداني (مخ٢٣٢ ص١٦) المثل التالي: «إن كنت بي تشد أزرك فأرخه». ويشرح الميداني هذا المثل فيقول: «أي أن تتكل عليَّ في حاجتك فقد حرمتها». ويظهر أن كلمة إزر معناها هنا حزام، كما قال فريتاگ في (الأمثال العربية، ج١، ص٢٥) أو بالأحرى هي كما يقول أُزْرَكَ بعد ضم همزة الكلمة محل وضع حزامك، أي وسط الجسم. ولكن الجوهري لم يورد معنى لكلمة حزام وكذلك فعل القاموس، ولكنني أنبه إلى الحماسة (ط فريتاگ، ص٦٥٧) قد فسرت معنى كلمة مؤزر على هذا النحو: «قوي من الإزر وهو موضع عقد الإزار من الحقو».

المِئْزَر، المِئْزَرة، المِئْزار

تعني كلمة مئزر تباناً Caleçon. وهذا ما يقطع به لين في ترجمته لألف ليلة وليلة (ج٢، ص٣٩٨) حيث يقول إن كلمة ميزر أو مئزر تستعمل حالياً (في مصر) للدلالة على: زوج من سراويل. ونجد هذه الشرعة في الفقه المالكي: «لا يدخل الرجل الحمام إلا بمئزر» (ابن أبي زيد، الرسالة، مخ١١٩٣، ص٧٤٧). ولدى النويري أن الحاكم بأمر الله (تاريخ مصر، مخ٢ك). (٢) ص٩٨ أمر «أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر». ذاتها يرويها المقريزي، ويوردها سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج١، ص٥٥ النص العربي). ونقرأ لدى ابن أياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٢٤٩، في حوادث عام ٨٢٤): «قيل لما أرادوا غسل الملك

المؤيد لم يجدوا له إلا إناء صغيراً يصبون به عليه الماء ولا وجدوا له منشفة ينشفون بها لحيته حتى أخذوا منديل بعض من حضر غسله ولا وجدوا له مئزراً يسترون به عورته حتى أخذوا مئزر بعض الجواري النائحات وهو مئزر أسود سعيدي خشن **فسبحان من يعز ويذل**».

إن كلمة مئزر التي لا يمنحها فريتاگ إلا معنى كلمة پاليم (Pallium) أي صدرة الكاهن أو المشمال أو اللفاع الأفريقي، تعني كذلك قطعة القماش التي تستر العورة، والتي تلبس من السرة إلى أسفل. ونحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص٢٢٦، ٢٢٧): «وبها زاوية حسنة فيها شيخ حسن الصورة والسيرة يسمى بمحمد العريان لأنه لا يلبس عليه إلا ثوباً من سرته إلى أسفل وباقي جسده مكشوف وهو تلميذ الصالح الولي محمد العريان القاطن بقرافة مصر. حكاية هذا الشيخ: وكان من أولياء الله تعالى قائماً على قدم التجريد يلبس مئزرة وهو ثوب يلبسه من سرته إلى أسفل». وتعني كلمة مئزرة كذلك: كساء. فنحن نقرأ لدى ابن عباس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٢٨١، حول حوادث عام ٨٢٢): «وكان السلطان لابس جبة صوف أبيض وعلى رأسه عمامة صغيرة بعذبة مرخاة على كتفه ومئزر صوف أبيض تردى به كهيئة الصوفية». ونجد في ألف ليلة وليلة (نشر مكناگتن، ج١، ص١٥٨): «وضع عليهم ميزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت الميزر». ويقول فيما يقوله (فان سليب) (تقرير جديد عن رحلة إلى مصر، ص٣٠٧) - وهو يصف أزياء رهبان القديس أنطوان على سفح جبل كولزم - المئزر الذي هو في اللغة القبطية أحياناً (ميزروس) وأحياناً (بلوز) هو رداء كبير من قماش أسود بطانته بيضاء، شبيه بأردية الآباء اليسوعيين، إلا أنه بلا ياقة. ولكنهم في غير حالات السفر لا يستعملونه إلا في حالات نادرة جداً». أما في يومنا هذا فإن كلمة ميزر لم تعد تستعمل - كما يبدو - بهذا المعنى في مصر. راجع لين (ألف ليلة

وليلة، ح٢، ص٣٩٨) أما القاموس فيقول أن كلمة مئزرة لها معنى كلمة باليوم (Pallium) أي صدرة الكائن أو المشمال أو اللفاع الأفريقي. ولعل المستشرق (فان سليب) كان ينظر إلى هذه الصيغة حين كتب كلمة الميزر.

وأخيراً فإن كلمة مئزر تشير إلى نوع توك Toque (قطعة خرقة أو مئزر أو قلنسوة أو طاقية القاضي). ذلك لأننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس): «ومن غريب ما اتفق لي يومئذ إني دخلت فرأيت القضاة والخطباء والشرفاء (ص٨٠) قد استندوا إلى حيطان المَشْوَر[1] وهو

---

(١) تعني كلمة مَشْوَر في لغة عرب المغرب قاعة في قصر. راجع: مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ح٢ ص٢١، مجـ٢) حيث يروى لنا أن قصر امبراطور مراكش يحتوي على قاعتين فخمتين، تسميان Mexuars حيث يجلس السلطان، فيعقد في إحدى القاعتين المجلس العام الذي يوسع الناس كافة أن يشهدوه، ويعقد في القاعة الأخرى المجلس الذي يشهده خواص البلاط، إذ يجتمعون للتشاور وتبادل وجهات النظر في المسائل المهمة بحضور الملك. ويسمى المشور الخاص، في رسائل ابن الخطيب.

ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) مجلس الملك بـ: Consejo real ويترجم Chancelleria إلى مَشْوَر. وsecretario إلى صاحب المَشْوَر. ويذكر دييكو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء ص٢٠٣) كلمة Mesuar، حيث يعقد الملك مجلسه. وفي مكان آخر (ص١٦٣) يقول: وكان الرؤساء والشيوخ في «Mezuar، وهو المحل الذي اعتادوا الاجتماع فيه مع الملك أثناء بحث الشؤون العامة». وفي جهة أخرى يورد المؤلف بعض الكلام (ص٣١٧) فيقول: يبدو أن الملك يتناول طعامه في المشور، ويؤكد نفس هذه الواقعة مارمول (ح٢، ص١٠٣، مجـ٢). وأن مؤلف الكتاب الذي عنوانه (مهمة تاريخية في مراكش، ح٢، ص٥٠) يكتب Mexuar مثل مارمول، ويفسر هذه الكلمة بأنها قاعة مخصصة للجلسات العامة. ونحن نقرأ في رحلة ابن جبير (مخ، ص١٩٠): «وبهذا المشور يجلس السلطان الجلوس العام». ويبدو أن هذا النوع من القاعات كان معظمه مكشوفاً إن لم يكن كله. إذ يقول جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش، ص١٢١) إنه يوجد قرب القصر في مدينة مراكش المشور M'shoar أو محل عقد المجلس، وهو بناية =

غاص بهم من جميع جهاته وهم بين باك ومتباك ومطرق وقد لبسوا فوق

= واسعة على شكل مربع، محوطة بجدران، ولكنها مكشوفة، ويعقد الامبراطور هناك جلساته لسماع أفراد رعيته وإقامة ميزان العدالة. وفي كتاب آخر هو (تقرير عن تمبكتو، ص١٣٨) يقول نفس الرحالة ما يلي: رفعت خيامنا الخاصة في المشور mushoir أي في محل عقد الجلسات، على أرض منبسطة محاطة بسور، حيث يجتمع الشيخ إلى مختلف عشائر سوس فيعظها. ويقول بيدو دي سان أولون في كتابه (حالة امبراطورية مراكش الراهنة، ص١٧٥) إن المشورة mishuart هي رحبة مكشوفة، مزدانة بأعمدة ونقوش بارزة من الرخام. ويكتب لمبريير في تابه (ولة في مراكش، ص٢٤٦) machoire ويشرح هذه الكلمة بأنها جزء مكشوف من القصر. وتدل كلمة مشور كذلك على جزء من قصر منفصل عن بقية العمارة. ويقرر جارنت في كتابه (رسالة جواباً على أسئلة غريبة مختلفة، ص٤٨): «يوجد قرب قصر مدينة مراكش عمارة فخمة، تدعى michouar يقطنها العلوج أو المرتدون الذين يرافقون الملك على الدوام لدى خروجه». ونقرأ في كتاب (رحلة في ولايات البربر عام ١٧٨٥، ص٤٨) ما يلي: «يوجد عدد هائل من المشاور أو المساكن المنفصلة، بحيث يستحيل تعدادها». وبعد ذلك نقرأ (ص٥١): «يوجد مشور عام عظيم بجوار الأماكن التي تسكنها النساء الواتي هن في خدمته، هناك حيث تقع أربعة ينابيع وحمامات مزوقة بالمرمر. ويقتصر المشور على أربع مقاصير يتوسطها فناء وحديقة. وهذا المشور قريب الشبه بالدير».

لقد رأينا أعلى كلامنا هذا أن كلمة مشور تدل بصورة خاصة على القاعة المعدة للاجتماعات. ولهذا السبب فإن هذه الكلمة تطلق كذلك على الاجتماع العام نفسه، كما يؤكد ذلك بصورة قاطعة هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١٦٩) وكذلك كرابردي همسو في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية لامبراطورية مراكش، ص١٩٨). وتعني كلمة مشور في أيامنا هذه حصناً أو قلعة. راجع: العقيد سكوت (يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري (اسم الله) ص٧١، ١٦٠، ٢٣٦، ٢٤٢، ٢٦٠).

ولعل لكلمة مشور نفس المعنى في كلام ابن بطوطة (المخطوطة، ص٢٦٨): «والمشور في وسط هذه المدينة وهو كبير جداً ودار الإمارة في وسطه وهو يحف به من جميع الجهات».

ثيابهم ثياباً خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة بطائنها إلى أعلى ووجوهها مما يلي أجسادهم وعلى رأس كل واحد منهم قطعة خرقة أو مئزر أسود وهكذا يكون فعلهم إلى تمام أربعين يوماً وهي نهاية الحزن عندهم وبعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة». حدث هذا عقب وفاة ابن الملك ايذج. ونجد في تاريخ مصر لابن إياس (مخـ٣٦٧، ص٢٨٨): «وكان السلطان لابس جبة صوف أبيض وعلى رأسه مئزر أبيض ملفوفاً عمامة صغيرة بعذبة مرخاة». وبهذا المعنى عبرت كلمة المئزر إلى أسبانيا تحت صيغة الميزر Almaizar ويقرر معناها كوباروڤياس في كتابه (كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، فيقول الميزر Amaizar عبارة عن لفافة رأس أو برقع مراكشي يشبه الطرحة. وهذه اللفافة مصنوعة من الحرير الخالص الموشى بضروب الألوان مع هدبات وعذبات. ويقول ديكودي أوريا أن هذه الكلمة بصيغتها العربية تنطق على هذا المنوال: إزار Yzarum هي الأداة، وما – كما قلنا في مواضع أخرى – هي علامة اسم أداة: Al-ma-yzerum, almaizar, couverture ويلف المغاربة هذا الإزار حول الرأس، ويدعون نهايات الحواشي تتدلى على الأكتاف». وبهذا المعنى توجد كلمة الميزل Almaizal أو الميزر almaizar في عدة كتب أسبانية قديمة. وكانت تلبس هذه اللفافة من قبل الرجال والنساء على حد سواء. راجع (أغاني الموريسكيين الشعبية، ص٢٣٧ و٢٣٩ إلخ –، وحروب غرناطة الأهلية، ص٢٣٧ و٢٣٩). وقد عبرت كلمة مئزر كذلك إلى إيطاليا، ففي جنوه تطلق كلمة ميزارو Mezzaro على قطعة كبيرة من القماش ملونة مزخرفة تغطي المرأة بها رأسها وكتفيها. راجع: (أوصاف جنوه، عام ١٧٨١، مع الصورة). أما كلمة مئزار فلا أتذكر إنني صادفتها.

الأُشاح

انظر كلمة وشاح.

الأُصْدَة، الأصيدة، المُؤَصَّد، المُؤَصَّدة

يبدو أن هذه الكلمة لم تكن مستعملة إلا في العهود الإسلامية الأولى، وذلك لأن علماء أجلاء من العرب لم يكونوا يعرفون على وجه الضبط والدقة أي نوع من الملابس تدل عليه هذه الكلمة. فنحن نقرأ لدى ابن فارس (مجمل اللغة، مخ٤٨٥): «الأصدة قميص صغير يلبسه الصبيان». ونقرأ كذلك لدى الجوهري (مخ٨٥، ص١٩٢): «الأصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب». قال الشاعر (البسيط):

ومرهك سال أمتاعاً بأصدته لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

ويضيف الجوهري: «وتلبسه أيضاً صغار الجواري. وتقول أصدته تأصيداً».

قال كثيراً (الطويل):

وقد درعوها وهي ذات مؤصد مجوب ولما تلبس الدرع رئدها

ولا وجود لكلمة مؤصد في قاموس فريتاگ. ولكننا نجد في القاموس (ط كلكتا، ص٣٤٠): «الأصدة بالضم قميص قصير صغير للصغيرة أو يلبس تحت الثوب كالأصيدة والمؤصدة». ويقول التبريزي في شرح الحماسة (ص٢٢٣) في معرض حديثه عن البقعة المسماة ذات الأصاد عن كلمة أصدة ما يلي: «فأما الأصدة فهي ثوب لم تتم خياطته. وقيل هي البقيرة. وقيل بل هي الصدرة».

قال الشاعر (البسيط):

مثل البرام غداً في أصدة خلق   لم يستعن وحوامي الموت تغشاه

وهذا البيت نفسه موجود في هامش الجوهري مع التعليق التالي: «لم يستعن أي لم يحلق عانته. والبرام القراد. وأراد حوائم الموت فهي أسباب الموت».

وإنني متأكد من سرقة هذا البيت من البيت الذي سبق أن قرأناه: فإن كلمتي (لم يستعن) قد استعملتا كذلك من قبل السارق، كما نرى في معنى آخر، بالإضافة إلى إننا نعلم أن حلق العانة عادة متبعة لدى الرجال المسلمين والنساء المسلمات.

الإلطماق جمعه الإلطماقات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد شوه عرب الأندلس الكلمة التركية طوماق على هذه الشاكلة. ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) الكلمة الأسبانية borzegui بالطماق، وجمعها الطماقات، ويترجم Calçada cosa de borzguies إلى ملابس الإلطماق وجمعها إلى ملابسي الإلطماق. وافترض أن العرب قد أضافوا أداتهم إلى الكلمة التركية (الطوماق) وبعد ذلك اعتبروا ال وكأنها جزء لا يتجزأ من الكلمة، وبعد مضي ردح من الزمن، خلعوا على كلمة الطاق الحروف الصائتة لمصدر من الصيغة الثامنة، الذي كان في مقدورهم، بل كان واجباً عليهم، إضفة أداتهم إليه أيضاً. ولما كنت لا أعتقد بوجود فارق كبير بين كلمة التماك Iltimâk المغاربة وبين كلمة le toumâk توماك الأتراك في مدينة الجزائر، في القرن السادس عشر، فإنني سأترجم هنا ما قاله ديكو دي هيد في كتابه

(خطط مدينة الجزائر، ص٢٠، مجـ٢) عن الكلمة الأخيرة «إنهم يسمون جزماتهم tumaques (sus borzequies) وهذه تكون صفراء فاقعة الصفرة أو برتقالية، أو ذات ألوان أخرى. وهناك قلة من الناس تحتذي هذه الأحذية إذا كانت سودا أو بيضا.

الأَنتاري أو الأَنطاري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويكتب منينسكي Meninski وهندوگلو في كتابهما (مجموعة كلمات وتعابير جوهرية باللغات التركية واليونانية الحديثة والألمانية، ص٨٠) أنطاري. ولكن الفارس آميديه جوبير Amédée Jaubert في كتابه (النحو التركي، ص٣٢٦) ولين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص١٥٢) كتبا: أنتاري.

ولما زار الرحّالة نيبور الشرق وكتب كتابه (وصف الجزيرة العربية، ج١، ص١٥٢) كان سكان القاهرة من الطبقة العليا ومن الطبقة المتوسطة يرتدون الأنتاري، وهو اللباس الذي كانوا قد استعاروه من الأتراك دون ريب. ويقول نيبور: «كان القوم يلبسون فوق القميص والشكشير (الجقشير) Schakschîr الأنتاري، المبطن بالقماش الذي يعلو الركب بشبرين تقريباً».

أما اليوم فإن هذا اللباس لم يعد يرتدي من قبل الرجال في مصر، ولكن السيدات يستعملنه في بعض الأحيان. وإن أنتاريهن هذا يختلف بالرغم من ذلك مع أنتاري الرجال من ناحية الشكل. وإليكم وصفه من قبل لين في (كتابه القيم): «إنه كالسترة القصيرة، يعلو قليلاً وسط الجسم، وهو يشبه تمام الشبه اليلك الذي اقتطع منه الجزء الأسفل.

ويلبس الناس أحياناً هذه السترة القصيرة بدلاً من اليلك، إذن فهو مصنوع من قماش مخطط بالألوان، منسوج من الحرير، أو من القطن أو بالأحرى من الموصلي المنقوش أو المحوك من خيوط ملونة، وهو أحياناً أبيض اللون خالص البياض، وله ردنان طويلان، وقد فصل على هيئة تسمح له بأن يزرر من الجهة الأمامية ابتداء من الصدر وانتهاء بنهايته. فهو مفصل على وجه العموم بصورة تدع نصف الصدر مكشوفاً (هذا الصدر الذي هو مع ذلك مستور بالقميص): ولكن كثيراً من السيدات يرتدين الأنتاري الفضفاض بصورة مفرطة لدى هذا الجزء من الجسم.

البابوش أو البابوج

تسللت هذه الكلمة التي هي كما نعلم من أصل فارسي (بابوش) إلى اللغة العربية كما تغلغلت في اللغة الفرنسية، واندست في اللغة اليونانية الحديثة بلفظ (توبابوتسي). وبوسعنا أن نستشير فيمن نستشيرهم عن البوابيج التي تحتذيها نساء اسطنبول الرحالة الفرنسي تيڤنو في كتابه (قصة رحلة إلى المشرق، ص٥٦)، كما نستطيع مراجعة دي برين في كتابه (أسفار عبر آسيا الصغرى، ص١٣١).

يقول تيڤنو (ص٣٢٩) في معرض كلامه عن البدو: «بعض هؤلاء البداة لهم بوابيج تشبه أخفافنا». ويقول دارڤيو في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص٢٠٨) وهو يصف زي الأمراء البدو الشتائي: «إن بوابيجهم المصنوعة مما تصنع منه الخفاف Babouches أي من نفس الجلد المراكشي الأصفر، يستعملونها استعمالنا الخفاف، وهم يخلعونها إذا أرادوا الجلوس أو إذا مشوا على الأبسطة والسجاجيد». ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص٢١١) واصفاً طراز

السيدات لدى البدو: «إن بوابيجهن صغيرة ومزركشة». ويقول في مكان آخر (ص٢١٢) متحدثاً عن ملابس الرجال بصورة عامة: «إن لهم أقداماً حافية داخل جزماتهم حين يمتطون الجياد، أما في مخيماتهم فيضعون كذلك هذه الأقدام داخل البوابيج التي لها ما لخفنافنا من آذان وزوائد وثقوب تمكن من ربطها بالأرجل، وهذه البوابيج ليس لها سوء نعل خفيف مع حرمانها من الكعوب». ويرى المؤلف ذاته (ص٢١٣) إن النساء بصورة عامة يدرجن حافيات الأقدام أثناء موسم الصيف، أما في الشتاء فيلبسن البوابيج المصنوعة على هيئة بوابيج الرجال تقريباً.

ويذكر ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط، ص٢٦٣) «بوابيج» (Paputschen) النساء الحلبيات، ويفسر هذه الكلمة بكونها (Pantoufles). ويبدو أن البوابيج باقية الاستعمال في اليمن، ذلك لأننا نقرأ في كتاب (رحلة إلى اليمن السعيدة أمستردام، ١٧١٦، ص٢٠٨): «كانت ساقا ملك اليمن وقدماه عاريتين إلا من بابوج على الطريقة التركية».

وتختلف بوابيج مدينة الجزائر عن تلك البوابيج التي يستعملها البدو. وذلك بعدم وجود آذان وزوائد وثقوب فيها، فهي من حيث النتيجة لا يمكن شدها وربطها. ويقول دارڤيو في كتابه (مذكرات، ج١، ص٢٨١) عن مغاربة هذه المدينة: «إنهم يمشون حفاة الأقدام عراة السيقان ولا أحذية لهم إلا البوابيج التي هي أحذية مسطحة مسمرة تحت الأعقاب، ولا آذان لها ولا زوائد مثل أخفافنا Pantoufles». ويتحدث بيدو دي سان أولون في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص٩٠) عن البوابيج التي يلبسها المراكشيون. راجع أيضاً كتاب (رحلة لافتداء الأسرى، ص٥٠). ويظهر أن البوابيج في مصر كانت تلبس قديماً من قبل الرجال، أيام الحملة الفرنسية، وإن الكونت دي شابرول في كتابه

(وصف مصر، ح١٨، ص١٠٩) يزودنا حول هذا الموضوع بالتفصيلات التالية: «إن الحذاء - يتألف قبل كل شيء من المزد Mest (مز) ثم من بابوش Babouch ومن سرمه Sarmeh (رجع كلمة سرموجة) أي الخفاف المصنوعة من الجلود المراكشية التي يضع المغاربة أقدامهم فيها مدرجة في (المز)، ويخلع هؤلاء بوابيجهم والسرمة، كلما دخلوا في شقة مفروشة بالسجاجيد، وذلك تأدباً واحتشاماً».

وفي أيامنا هذه يبدو أن النساء القاهريات قد ظللن وحدهن لابسات هذه البوابيج: «إنهن يلبسنها في بيوتهن حين لا يدرجن على السجاجيد، وبوابيجهن هذه مدببة كثيراً ومصنوعة من الجلد المراكشي الأصفر». راجع بين (المصريون المحدثون، ح١، ص٦٠). على أن النساء ما برحن يستعملن هذا الحذاء لدى خروجهن من منازلهن. (المرجع السابق، ص٦٣). ولعل هذا النوع من الخفاف كان مستعملاً لدى نساء مصر في القرن السادس عشر، ذلك لأننا في الأقل نقرأ في كتاب (ملاحظات بلون، ص٢٣٤) إن النساء في مصر يلبسن أيضاً البواتين (المحددة) الكعوب على طريقة التركيات.

(Des botines ferrées par le talon, à la manière des Turques).

وليست المسألة هنا مسألة خف، ذلك لأن هذا النوع من الخفاف لم يصل إلى علمي إنه محدد الكعب. des fers au talon ويلفظ أهل مصر هذه الكلمة على هذه الصورة (بابوج)، ذلك لأن لين يكتب Bâboog، ولدى هذا المؤلف يمثل الحرف G اللاتيني الحرف ج العربي[١].

---

(١) لعل العكس هو الصحيح. فالمصريون يلفظون الجيم العربي گ. فـ(ج) يقابل لديهم g اللاتيني. ويلفظون البابوج (بابوگ) تماماً كما كتبها لين (Bâboog) (المترجم).

الباروة جمعها الباروات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإن الكلمة الأسبانية Alpargate، التي تدل على (صندل) نعل محبّل، مصنوع من القنب أو من الحلفاء مشتقة، على رأي أحد كبار علماء اللغة العربية، وهو دييگودي أوريا (لدى كوباروفياس، الكنز، مدريد، ١٦١١)، من كلمة قرق العربية، تلك الكلمة التي لا وجود لها في قواميسنا. ولكنها كلمة نجد مثيلها في الكلمة الأسبانية: Alcorque. تبدو هذه النظرة للوهلة الأولى من التفاهة بمكان، ومع ذلك فهي الحقيقة التي لا يأتيها الباطل: فكلمة قرق جمعها قرقات، ولما كانت كلمة (قرق) تشكل زوجاً، فإن المسيحيين قد قالوا: El-par-korkat. ومن هذا المنطلق تشكلت بعدئذ كلمة Alpargate. وإن عرب الأندلس - كما بوسعنا أن نتصور - لم يستطيعوا أن يتعرفوا على (قرة) هم في كلمة Alpargate فصنعوا باروة وجمعها باروات. ويفسر پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة Alpargate بأنها باروة. وجمعها باروات. على أن هذا اللغوي يعطي نفس هذه الكلمة العربية ترجمة للكلمة الأسبانية Alpargate. راجع المؤلف نفسه في كلمتي: (Calçada, Calçado). ويترجم كوباروفياس (الكنز) كلمة Alpargate بأنها حذاء مصنوع من الحبال، يستعمله الموريسكيون (المتنصرون) كثيراً.

البَتُّ، البتات

يرى الجوهري (ح١، مخـ٨٥، ص١٠٥) كما يرى القاموس (ط كلكتا، ص١٧٤) إن (البت الطيلسان من خز ونحوه) ويورد الجوهري

بهذا الصدد الأبيات التالية، التي قيلت في ثوب، وهي من نظم أحد المتصوفة، التي صاغها في لغة صوفية (وقال في كساء من صوف) - الرجز:

من يك ذا بت فهذا بتي

مقيظ مصيف مشتي

نسجته من نعجات ست

لا يساورني أدنى ريب في أن هذه النعجات الست ترمز إلى الدرجات الست التي يتألف منها التصوف كما يرى بعض العارفين. راجع ثولوك (المتصوفة والشطحات الصوفية لدى الفرس، ص٣٢٩). إذن يبدو من هذه العبارة أن بوسعنا أن نخلص إلى أن البت كان من صوف أو من أديم نعجة. والواقع إننا نقرأ في (ملاحظات بلون، ص٤١١) إن «الشارة التي كان يلبسها الدراويش لإظهار أنهم من أتباع دين محمد ﷺ هي جلد نعجة على أكتافهم: ولا يلبسون لباساً إلا أن يكون جلداً واحداً لنعجة أو لكبش - هذا إلى اتخاذ شيء يستر المواضع المخجلة (العورة)». وبوسعنا الوقوع على نفس التفصيلات لدى راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص١٤٩).

البِجاد

إننا قارئون في الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص١٩٣): البجاد كساء مخطط من أكسية الأعراب، ومنه ذو البجادين واسمه عبد الله». ونجد كذلك في القاموس (ط كلكتا، ص٣٤١): «وككتاب كساء مخطط. ومنه عبد الله ذو البجادين دليل». ويقول كذلك التبريزي، في شرحه للحماسة، ص٦٤٣: «كساء مخطط من أكسية الأعراب». راجع كذلك (أبا العلاء، لدى ريسكه، ص٦٢).

ولما كانت المعلومات التي أدلى بها العرب حول هذه الكلمة نزرة للغاية، ونظراً لأنني لم أصادف هذه الكلمة بذاتي في نص بوسعه أن يلقي ضوءاً أسطع على معنى هذه الكلمة الحقيقي، فليس في مقدوري أن أقول أكثر من أن الكلمة تعني كساء مخططاً من تلك الأكسية التي يرتديها الأعراب البداة، وأن عبد الله أبا الرسول كان يرتدي بجادين، فسمي بذي البجادين.

البُخْنُق

يقول الجوهري (ج٢، مخـ٨٥، ص١٠٩) والفيروزآبادي (القاموس، ط كلكتا، ص١٢٤٦): «البخنق خرقة تتقنع بها الجارية فتشد طرفيها تحت حنكها لتقي الخمار من الدهن والدهن من الغبار».

ويبدو أن البخنق في عهد المقريزي كان يدل على نفس الشيء الذي نسميه الآن طاقية، لأن هذا المؤلف في المادة المعنونة «سوق البخانقيين» لا يمنحنا من تفصيلات إلا عن الطاقية. (وصف مصر، ح٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٨). وسنجد هذه المادة الممتعة للغاية موسعة مع ترجمة وتعليقات في موضوع الطاقية. ولذلك أكتفي هنا الآن بملاحظة وجوب إضافة جمع بخنق بخانق إلى القاموس وإذا آمنا بما يقوله فريتاگ، فإن كلمة بخنق تشير كذلك إلى:

١ • خرقة توضع على رؤوس الأطفال لتقيهم من البرد.
٢ • خمار صغير للمرأة، برقع أو برنس، ولكن من حجم صغير.

ويقول المتنبي:

يقتل العاجز الجبان وقد يعـ ـجز عن قطع بخنق المولود

البِدْرِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن استناداً إلى تقرير النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٦) تشير كلمة بدرية في طرابلس الغرب إلى صدرية مطرزة محرومة من الردنين.

البَدَن

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها تشير إلى ثوب قصير معدوم الردنين. ولكننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٥٨): «وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم البياض فترى من ثيابهم أبداناً ناصعة ساطعة».

راجع كذلك المقري (نفح الطيب، مخ دي غوتا، ص٥٧٧). وراجع أيضاً بركهارت (رحلات إلى الجزيرة العربية، ج١، ص٣٥٥) وهو يتحدث عن سكان مكة وجدة: «إن الأقبية التي يرتديها أفراد الطبقة المتوسطة نظيفة، وتصنع غالباً من الموسلين الهندي الأبيض، دون أن تكون مبطنة بأية بطانة وتدعى بدناً. وهي تختلف عن الأنطاري الذي يرتدى في المشرق عادة بكونها غاية في القصر ولا أردان لها، وعلى وجه العموم تكون أقل حرارة». ويعلمنا الرحالة بعد ذلك (ص٣٣٦) إن الرجال لا يرتدون البدن عادة إلا في الشتاء وهو مصنوع من خام الهند المخطط، يلبسونه بدون حزام. ونقرأ في مكان آخر (ج٢، ص٢٤٢): «البدن لا يلبس في المدينة إلا نادراً. ويبدو أن هذا اللباس الخاص بالجزيرة العربية لم يتجاوز حدود هذه البقعة».

البُرْجُد

تشير هذه الكلمة إلى كساء مخطط غليظ.

يقول الجوهري (ح١، مخـ٨٥، ص١٩٤) كما يقول القاموس (ط كلكتا، ص٣٣٤): «البرجد كساء غليظ. ويشبه طرفة في البيت الثامن من معلقته الطريق التي ارتادها بالطرف النهائي من برجد (كأنه) ظهر برجد[١]. وبوسعنا أن نرى تعليق العلامة ريسكه، ص٦١، ٦٢، على هذا الكلام. إذ يقول الشارح بهذا الصدد: البرجد كساء فيه خطوط.

البُرْدَة، البُرْد

قبل أن نورد تفصيلات عن هذا اللباس، نرى من الضروري أن نؤلف عنه فكرة بالغاً ما بلغت هذه الفكرة من قلة الدقة. فدونكم إذن - كيفية وصفه من قبل لين في ترجمته لكتاب (ألف ليلة وليلة ج٣ ص٢٤١): «البردة قطعة طولية من القماش الصوفي السميك، الذي يستعمله الناس لإكساء أجسامهم به خلال النهار والمتخذ كذلك غطاء أثناء الليل. أما لون هذا القماش فأسمر، أو رمادي. ويبدو أن هذا النسيج كان في العهود القديمة مخططاً على الدوام».

والبخاري في صحيحه (ج٢، م٣٥٦، ص١٦٨) يعرض علينا فصلاً عنوانه: «باب البرود والحبرة والشملة» الذي نقرأ فيه ما يلي: «وقال خباب شكونا إلى النبي ﷺ وهو متوسد بردة له». والرواية التالية يرويها أنس بن مالك. قال: «كنت أمشي مع رسول الله (ﷺ) وعليه برد نجراني غليظ

---

(١) البيت المشار إليه هو:

أمون كألواح الأران نصأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد

الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه[١] جبذة[٢] شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله (ﷺ) قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته. ثم قال يا محمد من لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) ثم ضحك ثم أمر له بالعطاء». والحديث التالي يرويه سهل بن سعد. قال: «جاءت امرأة ببردة فقالت: هل تدرون ما البردة. قال سهيل: نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها. قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها. فأخذها رسول الله (ﷺ) محتاجاً إليها. فخرج إلينا وإنها لإزاره. فجسها رجل من القوم فقال: يا رسول الله اكسنيها. قال: نعم. فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه. فقال له القوم: ما أحسنت. سألتها إياه وقد عرفت إنه لا يرد سائلاً – فقال الرجل: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال: سهل: وكانت كفنه».

وسنجد الحديث التالي في موضوع كلمة (نمرة) والحديثين الأخيرين في موضوع كلمة (حبرة).

جاء في عيون الأثر (م٣٤٠، ص١٨٩) إن النبي (ﷺ) كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر. ونقرأ للمسعودي (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص١٦٨) إن الخليفة المقتدر العباسي، كان يضع على كتفيه وصدره وظهره البردة التي كان يرتديها رسول الله (والبردة التي كانت للنبي ﷺ) على كتفيه وصدره وظهره.

إن هذا اللباس كان مستعملاً في الأندلس، فنحن نرى في ملاحظة دي گايانگوس (المقري، تاريخ السلالات الإسلامية في الأندلس، ج١،

---

(١) إن هذا الكلام يبرهن لنا بصورة واضحة أن كلمة رداء تقابل كلمة مانتو **Manteau** بصورة عامة، لذلك فلا حاجة لمعاناة القراء عناء البحث عن كلمة رداء في كتابي هذا.

(٢) إن كلمة جبذه لا وجود لها في القاموس.

ص٤١٣) إن هذا الرداء كان نوعاً من الكساء الغليظ[1] وهناك أيضاً كاتب لامع هو ابن خاقان يذكر كلمة برد في مواضع كثيرة من مجازاته واستعاراته - فنجد مثلاً هذه الجملة لدى هذا المؤلف في (قلائد العقيان، ج١، م٣٠٦، ص٦): «برد عمره قشيب». ومعنى ذلك إن حياته تشبه برداً جديداً. ونجد كذلك في مكان آخر (لدى ڤيرس Wijrs، عن ابن خاقان، عن ابن زيدون، ص٢٣): فوافاها والربيع قد خلع عليها برده[2].

ويبدو أن البرد كان معروفاً كثيراً لدى فلاحي مصر في الأزمنة الغابرة. إذ يقول وايلد في كتابه (وصف رحلة أسير مسيحي، ص٢٠٤): إن فلاحي هذا القطر يرتدون فوق قميصهم الواسع الفضفاض بردة طولها عشر أذرع وعرضها ذراعان يلفون بها أجسامهم ويلتحفون بها في الليل». ولا يتطرق إلى ذهني شيء من الشك بتاتاً حين يتحدث أحد الرحالة الأقدمين وهو بلون في كتابه (ملاحظات، ص٢٢٦) عن أحد الأكسية بأن هذا الكساء هو البردة نفسها، فيقول بأن المصريين يرتدون قميصاً طويلاً أبيض اللون ليس على شيء من التعقيد في التفصيل، كما يرتدون نوع رداء لا خياطة فيه، يصنع من الصوف وكأنه سجادة خفيفة يلفون به أكتافهم وجزءاً من أجسامهم وليس لهم من رداء حين يجوسون خلال الديار. وإذا اتفق لهم عبور ماء عميق فإنهم يلفون رداءهم وقميصهم حول رأسهم، فكأنهم عقدوا على رؤوسهم التيجان، وهكذا يستطيعون عبور نهر النيل حتى في أيام الفيضان»... إن كلمة السجادة التي استعملها الرحالة الفرنسي الشيخ المحترم تصور لنا البردة أدق التصوير.

---

(١) راجع كلمة كساء في محلها.

(٢) لقد اشتق الأسبان من كلمة برد صفة هي Burdo التي سموا بها نسيجاً غليظاً كما سموا بها رداء غليظاً.

وحسبما يقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٧٩) البردة لا يرتديها في أيامنا هذه إلا عدد ضئيل من الفلاحين المصريين، وهذه البردة تكون في بعض الأحيان خالية من الزخرفة كما تكون في أحايين أخرى مخططة بصورة متقاربة النقوش بحيث يخيل للناظر إليها عن كثب إنها ذات لون واحد.

وأعتقد أن البردة كانت مستعملة كذلك لدى بدو مصر، لأنني اقرأ في رحلة منتكازة إلى أورشليم (ص١١٢): «إن بعض البدو يسترون أجسامهم بقطعة من القماش طولها خمس أذرع، ويتدلى ثلاثة أرباع هذه القطعة تقريباً من جهة الذراع اليسرى». ونقرأ كذلك في كتاب كوپان (درع أوروپا، ص٣٢٥): «إن عامة الناس هناك يسترون أجسامهم بمجرد قطعة قماش من الصوف تلتف حولها التفاف الأفاعي» ونطالع في قصة تيڤنو (قصة رحلة إلى المشرق، ص٢٣٩): «إن الناس يدرجون مرتدين قميصاً طويلاً أزرق اللون مخيطاً من جميع الجهات حتى الأسفل، ولهم قطعة قماش كبيرة من الصوف الأبيض الغليظ يلفونها عدة لفات على أجسادهم وتحت آباطهم وفوق أكتافهم». وأخيراً، يقول دارڤيو في كتابه (مذكرات، ج١، ص٢٠٥ و٢٠٦) عن البدو في الاسكندرية الذين يؤجرون حمرهم للمسافرين: «إن أرديتهم لا تحول بينهم وبين العدو والكدح مطلقاً، وهذه الأردية تنحصر في قطعة طويلة من البركان أو في النسيج الصوفي الهفهاف، الذي يردفون نهاية منه على رؤوسهم ويحيطون سواعدهم وأجسامهم وأوراكهم بسائره، ويربطونه ربطاً محكماً بحزام جلدي، بحيث لا يحتاجون إلى تفصيل ولا خياطة باتخاذهم منها ما يشبه مسوح الرهبان وما يماثل الأردان والأثواب والسراويل».

وكانت اليمن بصورة خاصة مشهورة بحياكة الأقمشة التي كانت تصنع منها البرود. (النويري، نهاية الأرب، م٢٧٣، ص٩٦) - وكانت

تعمل كذلك في دمياط. وإليكم ما يقوله كوبان في كتابه (درع أوروبا، ص٤٧٩ و٤٨٠»: «إن طائفة من سكان دمياط بارعون في الفنون الميكانيكية، وقد مهروا على وجه التخصيص في حياكة الأقمشة المنقوشة بألوان مختلفة، وتسمى هذه الأقمشة (بور) Bourgs ولعلها البرشم التي لا أعرف معناها.

البُرْطُلُ، البُرْطُلُّ

يفسر الجوهري (ج٢، م٨٥، ص١٨٠) والقاموس (ط كلكتا، ص١٣٩٦) هذه الكلمة بأنها قلنسوة. راجع هذه الكلمة[1].

البُرْقَع، البُرْقُع، البُرْقوع

إليكم ما نقرأ لدى الجوهري (ج٢ - م٨٥ - ص٢): البُرْقُع والبُرْقَع للدواب ونساء الأعراب، وكذلك البُرقوع. قال يصف جؤذراً (الطويل):

وخدا كبرقوع الفتاة ملمعا   وروقين لما يعدوان تقشرا

ونحن نعلم عن الشعراء العرب أنهم كثيراً ما أوردوا كلمة برقع في أشعارهم - كأمثال المتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهما. (بعد تفهمنا للبيت الذي استشهد به الجوهري يخيل إلينا أن البرقع كان ملوناً بمختلف الألوان في قديم الزمان) وأن شعراء العرب طالما ذكروا هذا البرقع في مجازاتهم واستعاراتهم. ولكن يبدو إن هذا البرقع قد زال من عالم الاستعمال في العصر الوسيط من التاريخ العربي - كما يظهر أن سلطنة الأزياء قد أحلت محله أنواعاً أخرى من البراقع. وأرى إننا

(١) تاج الأسقف Mitre (المترجم).

سنحاول عبثاً إذا سولت لنا أنفسنا البحث عن هذه الكلمة في كتاب ألف ليلة وليلة - هذا الكتاب الذي وردت فيه أسماء أخرى من البراقع. وإنني أرى - إن لم أكن متوهماً - إن البرقع لم يوجد في مصر إلا في مستهل القرن المنصرم تقريباً. ويصف الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر ج٨ - ص١١٤) هذا الخمار على هذا المنوال «حجاب يستر الوجه من جذر الأنف - ويشد إلى زينة الرأس أعلى الجبين ومن كل جانب. وهو قطعة من الموصلي أو من نسيج الكتان الأبيض الرقيق - طوله طول الوجه ويتدلى حتى الركبتين. وهذا الخمار لا غنى عنه للمرأة التي تغادر منزلها».
ونقرأ كذلك في كتاب پوكوك المعنون (وصف الشرق - ج١ - ص٣٢٩): «إن عوام النساء يضعن على وجوههن نوعاً من الغطاء الخفيف مشدوداً بشريط إلى زينة الرأس فوق الأنف». ونطالع في تقرير ويتمان (رحلات في تركيا الأسيوية وسورية ومصر - ص٣٧٩): «إن قطعة من الحرير تؤدي أكمل الأداء وظائف البرقع - بحيث لا يستطيع المشاهد أن يرى من الوجه إلا العينين تقريباً». (يقول المؤلف هذا القول عن عوام النساء - وفي اللوحة العشرين يمكن رؤية زي امرأة من القاهرة من طبقة أعلى. والبرقع الأسود يتجاوز وسط هذا الجسم فقط). وتشير كلمة البرقع إلى الشيئي الذي تشير إليه كلمة يشمق التركية - ذلك لأننا نقرأ في كتاب تيرنر (يوميات جولة في المشرق - ج٢ - ص٣٠٨) إن هذا الرحالة واجه - أثناء رحلته من دمياط إلى الاسكندرية - نساء قبطيات «مبرقعات بيشمق yatchmak طويل أسود يبدأ من نهاية الأنف ويتدلى حتى الركبتين»، ويقول المؤلف نفسه في مكان آخر (ج٢ - ص٣٩٦) - متحدثاً عن عوام نساء القاهرة: «ويتدلى من هذه الطرحة على الجبين، مستعيناً ببعض الحلى الذهبية أو الفضية أو النحاسية الصفر - يشمق من القطن الأسود أو من الحرير الذي يغطي الوجه بتمامه اللهم إلا العينين - ويهبط حتى

الصدر - بل قد ينحدر أحياناً حتى يصل إلى الركبتين». وفي الختام دونكم ما نقرأ في الكتاب الجميل لمؤلفه لين (المصريون المحدثون - ج١ ٦١): «البرقع أو خمار الوجه (لنساء الطبقة المتوسطة) هو عبارة عن قطعة طويلة من الموصلي الأبيض - وهي تغطي الوجه بأكمله - إلا العينين - وتتدلى حتى تبلغ القدمين أو تكاد. ويشد هذا البرقع إلى النهاية العليا بشريط ضيق يطوق الجبين. وهذا - شأنه شأن البرقع من الأعلى - مخيط إلى شريط آخر يدور حول الرأس». ويقول نفس المؤلف بعد ذلك (ج١ - ص٦٤) أن عوام النساء يضعن برقعاً مصنوعاً من الكريب - (الكريشة) الأسود الغليظ - وبعض النسوة من عترة الرسول يضعن البراقع الخضر على وجوههن». وأخيراً يتناول بالوصف في مكان آخر (ج١ - ص٦٦ - ٦٧) زينة البرقع على هذه الشاكلة فيقول: «إن القسم الأعلى من البرقع مزدان في معظم الحالات باللآلئ الزائفة وبقطع من النقود الذهبية وبتحليات أخرى من نفس المعدن وهي صغيرة تسمى (برق) - كما يحلى في بعض الأحايين أيضاً بحبات من المرجان - وتحت هذه قطع من النقود الذهبية. وتوضع أحياناً قطع معدنية فضية ضئيلة القيمة - والعادة المتبعة كثيراً هي وضع زوجين من السلاسل المعدنية أو الفضية - كل سلسلة معلقة بنهاية من الجهة العليا وتسمى (عيون). وبوسعنا أن نشاهد هيئة البرقع في كتاب لين (المصريون المحدثون × ج١ - ص٦٢ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦) وفي الكتاب التالي (وصف مصر - المصور - ج١ - اللوحة ٤١). ولا يوضع في أيامنا هذه غير هذا النقاب على وجوه النساء في مصر. أما في سورية - فنساء البدو تلبس البرقع - ويسمون كبلس Keblis. راجع برگهارت (تعليقات على البدو والوهابيين - ص٢٩). وقد ظل هذا النوع من الحجاب مستعملاً كذلك في الساحل السوري. (راجع - تيرنر يوميات في المشرق - ج٢ ص - ١٠٥ - ٣٠٤). أما في الجزيرة العربية فإن البرقع

ملبوس في أيامنا هذه من قبل نساء مكة وجدة والمدينة - فهن يضعن على وجوههن البراقع البيض أو الزرق. راجع (رحلات في الجزيرة العربية - ج١ - ص٣٣٩ - ج٢ - ص٢٣٩).

ويبدو أن البرقع كان مستعملاً في شيراز خلال القرن الرابع عشر - ذلك لأن ابن بطوطة يقول في رحلته - متحدثاً عن نساء هذه المدينة: «ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء». (الرحلة - ورقة ٨٣ - مخ دي گايانگوس). ويتحتم عليَّ كذلك أن ألفت النظر إلى أن كلمة برقع في ما وراء النهر لا تشير إلى ستر للوجه ولكنها تعني غطاء كبيراً أو رداء تلتف به المرأة التفافاً شاملاً. ونحن نقرأ في قصة الرحّالة فريزر (رحلة إلى خراسان - الملحق ب - ص٨٩): «تطرح النساء على الجسم (چادر» chudder أو ملحفة من الحرير تدعى boorkah - وهذه تغطي الجسم من الرأس إلى القدمين - ولكنهن يدعن فتحة صغيرة على هيئة شبكة بجوار العينين - والحالة نفسها متبعة لدى الفرس، وهذا الإجراء يسري حكمه على سواكن الحواضر فقط. أما نساء الريف فهن حواسر الوجوه وكذلك شأن عجائز المدن. (المرجع السابق - ص٨٦). وفي موضع آخر يقول المؤلف نفسه (ص١٠٤): «إن نساء المدن والقرى يتقنعن كالمسلمات في الولايات الأخرى وهن يضعن براقع boorkas على وجوههن تتدلى من الرأس حتى القدمين».

البَرَّكان، البَرْنكان، البَرَّكاني، البَرَنْكاني

تشير هذه الكلمات أما إلى هذا النوع الغليظ من القماش (الزملوط Camelot الذي يسميه الفرنسيون Bouracan، كما يسميه الأسبان Barracan - وهما كلمتان مشتقتان من التسمية العربية بركان - أو إنها تعني رداء

مصنوعاً من هذا القماش. ومع ذلك، طبقت كلمة بركان، في هذه الأزمنة الحديثة، على أردية مصنوعة من الأقمشة الأكثر نعومة والأغلى ثمناً، ولكنها في الوقت نفسه قد فصلت على هيئة البركانات القديمة. ويتحدث دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، ص٩، مجـ١) **عن بدو مدينة الجزائر فيعبر عن الموضوع بالعبارات التالية**: «إن ملابسهم هي قطعة من البركان (Un padaço de barragan) البالي الممزق. وهم يلفون أجسامهم بها، ويتخذون منها في الليل غطاء لمنامهم وفرشهم. وتستعملها النساء نفس الاستعمال». وفي مكان آخر من نفس الكتاب (ص٨، مجـ٤) يتناول عين المؤلف كلمة بركان بمعنى رداء، فيقول إن قبائل مدينة الجزائر يرتدون جميعاً كساء Alquicer (راجع كلمة كساء). يغطون أجسادهم به، أو يلبسون بركاناً Barragan غليظاً، مصنوعاً من الصوف العادي يلفون أجسامهم به». ويقول أخيراً دي هيدو (ص١٩، مجـ٢) إن البركانات المفرطة في دقة الصنع، التي تستعمل أردية للنساء، تجلب إلى مدينة الجزائر من بلاد البربر، ولكن البركانات الغليظة التي يستتر بها الأعراب (البدو) أو يلبسونها هم والفقراء تصنع في قسطنطينية وفي كولو. وما يزال البركان حتى أيامنا هذه يستعمل في المغرب. فنحن نقرأ في كتاب بلاكير Blaquiere (رسائل من مالطة، ج٢، ص٧٥): «إن الأعراب يلبسون نوعاً من البركان الأسمر تعلوه عمامة. الأول ملتف كيفما اتفق حول الجسم، ويبدو في غاية اللطافة والحلاوة بتعلقه بالكتف اليسرى». وفي قصة انكليزية أخرى (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص٢٠): «إن البدو يلبسون بركاناً صوفياً سميكاً لونه لون البن الغامق، طوله خمس أو ست أذرع وعرضه ذراعان تماماً أو على وجه التقريب. وهذا زيهم في النهار، إما في الليل فهو فرشهم وغطاؤهم. ويلبسون هذا الثوب بضم نهايتيه العاليتين بمعونة سنبك من

الحديد أو الخشب، وبعد أن توضع هاتان النهايتان على الكتف اليسرى يطوى الرداء طيات حول الجسم، ويلبس بعض البدو هذا الثوب بصورة بديعة خلابة. ويرتدي البدو نفس النوع من البركان، الذي هو بالنسبة لمعظمهم اللباس الوحيد، لأن من النسوة من يضفن إليه قميصاً». وإذا رجعنا إلى تقرير النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٣٩) علمنا أن البركان يلبس من قبل الرجال والنساء العرب القاطنين في أطراف طرابلس الغرب، وإن نساء المدينة يرتدين كذلك هذا اللباس لدى خروجهن من بيوتهن. (المرجع السابق، ص١٧) أما بركان نساء الطبقة العليا فإنه مصنوع من الحرير أو من خيوط القطن الناعمة، وهؤلاء النساء يؤثرن الألوان البراقة، وهن يلبسن الأردية في هيئة تشكل فستاناً أنيقاً، وذلك بعقده بصورة رائعة على الرأس وعلى الكتفين (المرجع السابق. ص١٨. قارن اللوحة الثانية). ونحن نقرأ في السفر المعنون (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص٦): «إن نساء الطبقة المتوسطة يخرجن عادة ماشيات على الأقدام، ولكنهن لا يخرجن أبداً دون أن يكن مصحوبات بجارية أو بخادمة. وهن يلتففن حينئذ التفافاً تاماً بحيث يكون من الاستحالة بمكان تبين شيء عدا طولهن، ذلك لأنه ليس من السهولة تبين حتى قامتهن. ولهؤلاء النسوة رداء - يدعى بركانا - يبلغ طوله نحو ذراع ونصف ذراع وعرضه أربع أو خمس أذرع. وهذا الرداء يغطيهن كل التغطية، وهن يسددن به وجوههن سداً محكماً فلا يكدن يدعن إلا فتحة بالغة الصغر لرؤية طريقهن. والنساء اليهوديات يلبسن هذا القسم من أزيائهن نفس اللبسة تقريباً. ومع ذلك فهن يتركن إحدى العينين للرؤية، وهذا ما لا تفعله المرأة المغربية ولو كان ثمن هذا التصرف الدنيا بأجمعها، إذا كانت تأبه للرأي العام، ذلك لأنها لو تجرأت ففعلت فإن سمعتها بالتأكيد سينالها كل سوء». (المرجع السابق، ص٣١). ويقول

الرئيس الأول دنهام (رحلة إلى الشمال الأفريقي، ج١، ص٢٧) إن الرجال يرتدون البركان المصنوع من الحرير الأبيض الشفاف. . . والبركان الغليظ يلبس كذلك في سخنا (راجع ليون، ص٧٣). ويقرر روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص٢٠٥) في معرض التحدث عن البدو:

«بعضهم يدرجون عراة فلا يرتدون سوى بركان أو إزار من أغلظ الأصواف يلفون به الجسم لفاً لإخفاء البطن والأجزاء المخجلة (العورة)».

البَريم

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج١ - مخ٨٥ - ص٢٦٨): «وقال أبو عبيد: البريم الحبل المفتول يكون فيه لونان وربما شدته المرأة على وسطها وعضدها». وأنشدنا الأصمعي (الطويل):

«إذا المرضع العوجاء جال بريمها»

ونقرأ كذلك في القاموس: وقد يعلق على الصبي يستدفع به العين خيطان مختلفان، أحمر وأبيض (ط كلكتا - ص١٥٧٧) تشده المرأة على وسطها وعضدها وكل ما فيه لونان مختلفان وحبل للمرأة فيه لونان مزين بجوهر تشده المرأة على وسطها وعضدها.

ونطالع في شرح أشعار جرير أيضاً (مخ٦٣٣ - ص١٠٢) البريم الحقاب وخيط تشده المرأة في حقوها. وإنما جعله بريما لاختلاف ألوانه وكل لونين مختلفين فهو بريم. يريد جال بريمها من هزالها وربما كان من خرز. وفي شرح التبريزي للحماسة (ص٥٥٦): والجديل هو الوشاح أو ما تشده المرأة في حقوها من الأدم المضفور وليس هذا من عادة العرب وإنما الإماء يفعلن ذلك. وإذا كان من لونين فهو البريم وهذا

يشد في أحقى الصبي تدفع به العين وإنما يتخذون البريم من الخيوط ليشد في أحقى الصبيان فتدفع به العين (راجع ص٧٠٤ من نفس الكتاب).
وراجع كذلك كاترمير في ملاحظته القيمة حول العين السيئة بخصوص المثل الواحد والثلاثين من أمثال الميداني - وهي موجودة في المجلة الآسيوية - السلسلة الثالثة - الجزء الخامس - الصفحة ٣٤٢ - ولم ينس هذا العالم الجليل أن يورد عبارتي التبريزي اللتين فرغتم من قرائتهما).

وما برح البريم مستعملاً في أيامنا هذه لدى البدو - وإليكم ما كتبه حول هذا الموضوع بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين - ص٢٨): «إن الرجال والنساء يرتدون منذ الطفولة حزاماً من الجلد على أجسادهم العارية ويتألف هذا الحزام من خمسة سيور جلد مبرومة على بعضها بحيث إنها عادت تشكل جبلاً له سمك أصبع. وقد سمعت من يقول أن النساء يشددن سيورهن المنفصل بعضها عن بعض حول أجسامهن. والنساء والرجال سواء في تزيين الأحزمة بقطع من الأشرطة أو بالتمائم والتعاويذ والأحجية. والعنزيون يسمون هذا الحزام حقوا hhakou - ويسميه أهل الشمال ببريم Bireim ويقول الرحالة نفسه (ص١٣١) في نفس الكتاب - في معرض حديثه عن الرجال والنساء المجاورين لمكة والطائف: «إن النساء والرجال على حد سواء يشدون فوق ميادعهم الجلدية أحزمة جلد مؤلفة من أشرطة جلدية طويلة دقيقة مبرومة اثنتي عشرة برمة أو أكثر - وهي ملتفة على أجسامهم. وتشد النساء أشرطة مماثلة - ملفوفة على جلد البطن العاري تحت الميدعة - وهذه عادة شائعة في الصحراء بتمامها. ويؤكد البدو أن محمداً - ﷺ - كان يتحزم بحزام من هذا النوع».

البُرْنُس، البُرْنوس، البَرْنوس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويتبادر إلى الذهن إن من الصعوبة بمكان تقرير ما كانت تعنيه كلمة برنس في قديم الزمان. وطبقاً لرأي القاموس (ط كلكتا، ص٧٣٩) يكون معناها قلنسوة طويلة أو كل ثوب رأسه منه، دراعة كان أو جبة أو ممطراً. ويقول أحد شراح شعر المتنبي المجهولين في الشرقيات، ج١، ص٢٨٩) إن البرنس الصغير هو بختق. لذلك لا يبدو لي من باب الاستحالة التامة إن كلمة برنس كانت تعني في العهود القديمة نوعاً من الطاقيات الصغيرة التي كانت تعتمر بها الرؤوس، ذلك لأن كلمة قلنسوة، التي يستعملها مؤلف القاموس تعني حقيقة - كما سنرى ذلك فيما بعد - طاقية أو عرقية. وهكذا فإن هذا اللغوي - حين يقول قلنسوة طويلة - يظهر أنه يشير إلى: طاقية تتدلى حتى الكتف. أما كلمة بختق المستعملة من قبل شارح المتنبي فإنها تشير كذلك إلى عرقية (راجع ص٥٥ و٥٦). ويزودنا البخاري (الصحيح، ج٢، مخ٣٥٦، ص١٦٧) بفصل من هذا الكتاب معنون: باب البرانس. وأرى إن كلمة برنس مستعملة فيه كذلك بمعنى طاقية. وإليكم كلمات البخاري: وقال لي مسدد، حدثنا معتمر، سمعت أبي قال: رأيت على أنس برنساً أصفر من خز. حدثنا إسماعيل قال حدثني أن رجلاً قال: يا رسول الله ما يلبس المحرم من الثياب؟ قال رسول الله ﷺ: لا تلبسوا القمص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف، إلا أحد لا يجد النعلين إلخ..

وإذ أن هذه الكلمة قد عينت في الأزمنة القديمة طاقية فإنها لتشير إشارة - لا سبيل إلى الاسترابة في أمرها - في العصور الحديثة، إلى معطف ضخم له قلنسوة. وإني أفترض أن كلمة برنس في القديم كانت

لا تنطبق إلا على قبعة الراهب الكبوشي التي كانت تشبه البرنس القديم، أو الطاقية، وتلقى المعطف بأجمعه، على طريق التوسع، هذه التسمية منذ ذلك الحين.

ولنبدأ بالمغرب. وها نحن نقرأ في كتاب دييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ورقة ٨، مجـ٢) **الذي يتحدث عن الجزائريين العرب**: «يرتدون فوق جماع ثيابهم لباساً يشبه المعطف وهو البرنس الأبيض Albornoz ولكن أفراد الطبقة الأرفع يرتدون البرانس الملونة السود أو الزرق، وفي أيام البرد يتدثرون بدثار آخر من نفس الألوان. وفي مكان آخر (ورقة ١٩، مجـ٢) يخبرنا المؤلف إن هذه البرانس تجلب من تلمسان إلى مدينة الجزائر، والكثير من هذه البرانس البيض والسود والزرق بديع النسج محكمه».

ونجد في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، ج٢، ورقة ٨٣، مجـ٢) في مادة مدينة مكناس: «إن النساء يغزلن الصوف الدقيق وينسجن برانس فاخرة من الحرير والقطن، وبرانس أخرى من القطن والصوف يطلق عليها اسم Bornoz de Mequinez (que llaman Mequinecis) وهذه البرانس مدعاة للتقدير والإعجاب في أفريقيا، ذلك لأنها تنسج نسجاً أنيقاً فتكون طويلة الأعمار، بالإضافة إلى كونها دقيقة الصنع».

ويقول دارڤيو في كتابه (مذكرات ج٥، ص٢٨١) في الفصل المعنون: «ملابس رجال ونساء مدينة الجزائر» ما يلي: «إن المغاربة والمتنصرين (الموريسكيين) والآخرين الذين يساكنونهم في المدن - لهم - برنس أبيض منطرح على أكتافهم يقوم لديهم مقام المعطف». ويضيف إلى ذلك (ص٢٨٢) إن الأتراك في مدينة الجزائر «ينسدل على أكتافهم برنس له قبعة في نهايتها عقدة ضخمة من الحرير». ويقول بعدئذ (ص٢٨٣ و٢٨٤) إن معطفهم الاحتفالي حين يجوسون دروب المدينة

زائرين أو غادين إلى الديوان هو برنس من القماش الأسود شتاء أو من الكربيون[١] الحريري أو من الصوف. أما اللون فهو ذاته صيفاً وشتاء. وهذه البرانس التي سبق لي أن وصفتها لها حواشي وهدبات مطرزة بالحرير تحيط بها من كل جانب. وهي ضيقة من الأعلى وواسعة من الأسفل، ولها قبعات تشبه قبعات الرهبان والكبوشيين التي تعلو كل واحدة منها قنزعة ضخمة من الحرير. وهم يغطون رؤوسهم بقبعات البرانس لدى سقوط المطر. والبرانس كافة تكون عادة سوداء اللون سمة التواضع والاحتشام التي يتظاهر بها القوم. وهذا اللون لليهود وحدهم - القاطنين في مملكة مراكش وفاس، حيث يلبس الناس الآخرون البرانس البيض أو الحمر. فهم يلبّسون الأطفال البرانس الحمر في مدينة الجزائر، ويستعمل وجهاء الناس في الريف هذا اللون أيضاً. أما رجال الأدب والمفتون فإنهم يرتدون البرانس البيض. ويصنع أهل تلمسان هذه البرانس، وهي محوكة بصورة تجعل أحد جوانبها متموجاً كأنه عنقاش (زملوط Camelot) أما الجانب الآخر فيشبه أصواف الحملان المجعدة التي ترد من البحر الأسود. وهم يدعون الشعر متوجهاً إلى الداخل أثناء موسم الشتاء ويدعونه متجهاً إلى الخارج في فصل الصيف أو عندما تمطر السماء ذلك لأن المطر ينساب فوقه دون أن يخترقه، وإذا ألحت عليه الأمطار بمدرارها فإن نفضه عدة نفضات يكفي لعودته جافاً كأن لم يمعن فيه الغيث». ويكتب وندس في كتابه (رحلة إلى مكناس، ص٢٨) كلمة البرنس هكذا Albornooce ويورد تفاصيل عن هذا الكساء. ونحن نقرأ في رحلة شو إلى بلاد البربر والشرق (ج١، ص٣٢٠): «إن البرنس الذي يشبه معاطفنا يلبس في أغلب الأحيان فوق (الحيك Le Hyke) ليقي لابسه من

---

(١) نوع من الكريشة الغليظة.

البرد. وهو إلى ذلك فرع مرموق من فروع صناعات الأنسجة الصوفية لديهم. وهم ينسجونه قطعة واحدة، وهو ضيق حول العنق، ومزود بقبعة، أو بقمع مخروطي Une chausse d'Hippocras لتغطية الرأس، أما من الجهة السفلى فهو واسع يشبه رداء الفارس. وبعض هذه البرانس مطرزة من الأسفل من نهايات الحواشي والهدبات».

وفي منتصف القرن الماضي لم يعد البرنس الذي يلبسه أهالي مملكة فاس ومراكش يسمى برنساً وإنما يدعى زلحماً (راجع هذه الكلمة)، ولم يبق من عشاقه الذي يلبسونه إلا اليهود. فقد ترك هذا البرنس أو هذا البرنوس، كما يكتبه هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١٤٦) فإن هذا الرحالة الجليل يتحدث عنه على هذه الشاكلة: «إن جميع اليهود يلبسون البرنس Le bernûs الأسود، ولكن لا يسمح لهم بارتدائه على نفس الهيئة التي يرتدي بها المغاربة الزلحم Zolhâm، وعلى العكس من ذلك، ما يكون لدى المغاربة من الجهة الأمامية يوضع لدى اليهود على أحد الأكتاف، وما يكون لدى المغاربة من الجهة الخلفية يوضع لدى اليهود على الكتف الآخر. (انظر اللوحة الثانية والعشرين، الشكل الأول). إن المزعوم علي بيك (الأسفار ج١، ص٤) يصف على هذا المنوال البرنس كما يرتديه أهالي طنجة: «نوع من أنواع الأكياس. أجل، كيس كبير غليظ له قبعة». ويكون هذا الرداء أبيض اللون في هذه المدينة ويلبس فوق الحيك (المرجع السابق، ص١٦). ويزودنا هذا الرحالة حول برنس اليهود بنفس التفاصيل التي نجدها في الكتاب الذي ذكرناه آنفاً لمؤلفه هوست (علي بيك، ص٣٣) واعتماداً على تقريب النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٦) **نعلم أن سكان طرابلس الغرب يرتدون البرنس الصوفي الأبيض الناعم، ويلبسون في المناسبات الرسمية كساء آخر له شراط من ذهب.**

وأرى أن العبارة التالية من قصة (رحلات فان خيستلا، ص٣١) وهو أقدم جميع هؤلاء الرحالين يجب أن تطبق على البرنس. يقول: «إن المغاربة يرتدون أيضاً نوعاً من أنواع الغماء (غطاء للرأس) وهو دائماً من نفس اللون، ويقرب كثيراً من هيئة ذلك النوع الذي يرتديه الرهبان الشارتريون Les Chartreux ولكنه أوسع كثيراً، بحيث يبدو وكأنه حلة القداس الخارجية Une chasuble إذن فالبرنس موضوع البحث هنا كان أبيض اللون.

وفي العبارات التي فرغنا من قراءتها لم يصل إلى علمنا أن البرنس كان أخضر اللون كذلك. ولكن يبدو أن اللون الأخضر للبرانس يوجد أحياناً في أيامنا هذه في الجزائر، ذلك لأنني قرأت في (صحيفة ليدن، الجمعة، ١٢ آب ١٨٤٢): «يشاع في مرسيليا حداثة وصول رجل محترم من أهالي الجزائر إلى هذه المدينة يدعى المزاري بيك. وقد ظهر المزاري نفسه مرتدياً - كما هي عادته - برنساً أخضر اللون مفرط الروعة» إلخ.

إن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين الذي عنوانه «الحلل الموشية، مخ٢٤، ص٩» يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين إلى عمه أبي بكر بن عمر: مائة برنوس منها منيرة وكحل وحمر. وقد كان البرنس في أسبانيا رهن الاستعمال، ومن هذه الكلمة العربية اشتق الأسبان كلمتهم البرنز Albornoz الذي جرى وصفه على قلم كوباروڤياس (الكنز، مدريد، ١٦١١) على هذا النحو: «إنه معطف مقفل، مزود بقبعة، ويلبس أثناء السفر. وهو مصنوع من قماش لا ينفذ الماء فيه، ويستعمل المغاربة هذا النوع من المعاطف كثيراً أو يتخذونه غطاء. ويقول أوريا إنه معطف أفريقي ضد المطر يدعى برنساً، وهو اسم بربري سماه به الزناتية». ونقرأ في نفخ الطيب للمقري (مخ دي غوتا، ص٨٨) إن لباس الشرف، المهدى من قبل الحاكم الثاني إلى

أوردنيو الرابع كان دراعة منسوجة بالذهب وبرنساً مثلها له لوزة مفرغة من خالص التبر مرصعة بالجوهر والياقوت.

أما في مصر فكان المماليك يرتدون البرنس، لأنني اقرأ في قصة الأمير رادزيفيل Le prince Radzivil (الرحلة، ص٣٠): «وعلى لباسهم الفوقاني الذي يسمونه البرنس يسدلون من الجهة الخلفية جلد حيوان» أما في أيامنا هذه فإن المصريين لا يلبسون البرنس، لأن كلا من الكونت دي شابرول وليون لم يتحدث عنه. (راجع لين هذا في ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة، ج٣، ص١٥٧).

أما عن صيغة الكلمة فقد رأينا آنفاً أن هوست قد كتب هذه الكلمة هكذا (برنوس)، وفي مالطة ينطقون هذه الكلمة نفس النطق فيقولون برنوس (راجع ڤاسيلي، قويميس مالطي، مج٢٤). ويقول لين في (كتابه القيم) إنهم ينطقون بالكلمة على شكلين، فيقولون برنوس وبرنس، وقد فرغنا من معرفة وجود الكلمة مكتوبة هكذا: برنوس في المخطوطات الثلاث للحلل الموشية. وفي عبارة أخرى من نفس الكتاب نقرأ كذلك كلمة (برنوس) في مخطوطة ليدن (ص٨) وفي مخطوطة (دي گايانگوس، ورقة ١٣) على حد سواء.

البَطان والجمع البَطانات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وكان البطان مستعملاً في أسبانيا، وهو يشير إلى حذاء قروي معمول من جلد الثور المدبوغ، ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمة أباركادي پالو Abarca de palo بكلمة بطان وجمعها بطانات، كما يترجم هاتين الكلمتين أباركادو كالسادو

Abarcado calçado بكلمتي ملابس البطانات. ويقول كوباروڤياس عن كلمة أباركا Abarca في كتابه (كنز اللغة القشتالية): البطان هو نوع من الأحذية القروية التي يستعلها القرويون. وهذه الأحذية على طرازين: الطراز الأول معمول من الخشب. ولما كان لها شكل الزوارق المسطحة فقد سميت:

(Avarcas que por tener forma de varcas, se dixeron avarcas).

أما الطراز الآخر فمعمول من جلد الثور المدبوغ، وهي تشد إلى الأقدام بخيوط غليظة ويوجد تحت الجلد قطع من الجوخ. وبواسطة هذه الأحذية يستطاع المشي على الثلج دون تعرض لخطر. والملاحظ كل الملاحظ أن الكلمة العربية بطان وجمعها بطائن تعني كذلك قارباً صغيراً. فيبدو لي إذن أنه من المحتمل كل الاحتمال إن الاسم العربي بطان قد سمي به نوع من هذه الأحذية، لأنها كانت تشبه قارباً مسطحاً، شأنها شأن الكلمة الأسبانية abarca (avarca).

البغلطاق أو البغلوطاق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لعالمين جليلين من الطراز الأول هما كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢ ص٧٥ و٧٦) وفليشر في كتابه (De glossis Habichtianis, pag. 32) إن جمعا تفصيلات عن هذه الكلمة. فلا يسعنا هنا إلا أن نقدم نتيجة أبحاثهما.

إن كلمة بغلطاق أو بغلوطاق التي جمعها بغالطق تشير إلى: قميص بغير ردنين أو بردنين قصيرين للغاية، وهو يلبس تحت الفرجية، وكان

يصنع من قطن بعلبك الأبيض[١] أو الأخضر وقد وجدت في (تاريخ مصر للنويري: مخ٢، ص١١٦) إن هذا الثوب كان يصنع أيضاً من الأطلس المديني (المعدني) Madin[٢]. ونحن نقرأ فيه كلمة (بغلطات ولكنها

---

(١) (٢) اؤمل ألا يغتاظ القراء حين يجدون هنا بعض التفاصيل عن قطن بعلبك الأبيض. فإننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص١٠٤): «وفيها استأذن السلطان القاضي بدر الدين محمود الكلشاني كاتب السر الشريف في أن العسكر يلبس الصوف الملون. فأذن لهم في ذلك. وكانوا لا يلبسون إلا الصوف الأبيض فقط. وكان أرباب الدولة المتعممون يلبسون في الصيف البعلبكي الأبيض وفي الشتاء الصوف الأبيض. فأول من لبس الصوف الأخضر القاضي شرف الدين الدماميني ناظر الجيش الذي تولى بعد القصيري فتبعه بقية المباشرين». ولا توجد كلمة الكلشاني في كتاب «لب الألباب». - وفي مكان آخر (ص١٠٣) يقول نفس المؤلف: «عشرين حمال أثواب بعلبكي». وأنا ألاحظ عابراً وجوب إضافة (حمال) في هذا المعنى إلى القاموس. واقرأ لدى نفس المؤلف ص٣٥، ١٢٣. إذ يبدو أن الأقمشة القطنية البعلبكية كانت تستعمل لتكفين الموتى، لأننا نطالع لدى ابن إياس (المرجع السابق، ص٣٥٢) بصدد الطاعون المشهور الذي حاق بمصر عام ٨٣٣: «وتزايد الموت حتى صاروا لا يجدون النعوش ويحملون الأموات على الأبواب وما أشبه ذلك. وصار البعلبكي والبطائن غير موجودة وارتفع سعرها جداً». ويجب إضافة كلمة نعوش الموجودة لدى (D. Germano de Silesia. pag. 243) إلى القاموس وإنني أترجم كلمة بطينة على هذه الشاكلة مقتفياً أثر بيدرودي الكالا في كتابه (مفردات) الذي يترجمها Baldres. ويخيل إليَّ أن الجثث كانت تكفن بهذه البطائن، وبالرغم من أن هذه العادة لم تعد متحكمة في مصر فإننا نرى مع ذلك بشهادة لين (المصريون المحدثون، ج٢، ص٣٢١) وشهادات مؤلفين آخرين إن جثث الموتى كانت تكفن في قطع عديدة من القماش. فإذا لم أكن متوهماً في ترجمتي لعبارة ابن إياس فإنه ينبغي تقبل زعمي في أن القدماء كانوا يكفنون الجثث بقطعة من القماش القطني الأبيض ثم يدرجونها في جلد خروف مدبوغ. ونجد لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص٣٠): ويصنع ببعلبك الثياب المنسوبة إليها من الأحرام وغيره». ويمكن الرجوع إلى مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، =

أغلوطة). وكانت هذه الثياب تزين بالجواهر واللآلىء بل كان بعضها ينسج ويطعم كله بالأحجار الكريمة. وأخيراً فهو نفس اللباس الذي كان يدعى قباسلاري، وكان شائع الاستعمال رفيع الشهرة أثناء حكم الملك الناصر محمد وكان قد رفع قدره الأمير (سلار) فسمى باسمه. أما كلمة (بغلتاق) الفارسية الأصل فيبدو إنها لم تكن مستعملة إلا في مصر.

البَقِير، البَقِيرة

نحن نقرأ لدى الجوهري (ج١ - مخ٨٥ - ص٢٦٢): «البقيرة الإتب. وهو قميص لا كُمين له تلبسه النساء. ونقرأ نفس المعنى في القاموس (ط كلكتا - ص٤٦٦): «برد يشق فيلبس بلا كُمين كالبقير» (راجع كلمة إتب).

البَقّيار

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخ٢ - ورقة ٦٩) بمناسبة

= ح٣، ص١١١) وما تزال بعلبك حتى أيامنا هذه مشهورة بمصنوعاتها القطنية البيضاء. فنحن نقرأ في كتاب بركهارت (رحلات إلى سورية، ص١٥): «إن سكان بعلبك يصنعون أقمشة من القطن الأبيض شبيهة بأقمشة زحلة».

ويبدو أن كلمة بعلبكي تعني كذلك أقمشة حريرية، فإننا على الأقل نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة، طبعة هابيخت، ح٣، ص١٣٩): «قلع الخليفة من عليه ثوبين سكندري وبعلبكي من حرير». وانظر حول صفة معدني ملاحظة كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ح٢، ق١، ص٣٣) فحسب رأي هذا العالم الجليل إن الكلمة مشتقة من مدينة معدن Madin الواقعة في أرمينيا، قرب الفرع الرئيس من فروع دجلة. وكانت هذه البلدة مشهورة بأقمشتها الأطلسية البديعة التي تصنع فيها.

وفاة قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل - التي حدثت عام ٦٣٧ :
«وأما سبب ولايته القضاء بدمشق فإنه قد بلغ الملك المعظم عن القاضي جمال الدين المصري قاضي قضاة دمشق إنه يتعاطى الشراب. فأراد تحقيق ذلك عياناً. فاستدعاه وهو في مجلس الشراب. فحضر إليه فلما رآه قام إليه وناوله هناباً مملوءاً خمراً. فولى القاضي جمال الدين المصري ورجع فغاب هنية. ثم عاد وقد خلع ثياب القضاء: الطرحة والبقيار والفوقانية. ولبس قباء وتعمم بتخفيفة وحمل منديلاً. ودخل على الملك في زي الندماء وقبل الأرض وتناول الهناب من يده وشرب ما فيه ونادم المعظم فأحسن منادمته. فأعجبه. وأعتذر من فراره إنه ما كان يمكنه تعاطي ذلك وهو في زي القضاة. فاغتبط الملك المعظم به. ولما انقضى مجلس الشراب ورجع المعظم إلى حسه علم أنه لا يجوز له أن يقره على ولاية القضاة وقد شاهد من أمره ما شاهد. ففوض القضاء للقاضي شمس الدين وخلع عليه».

نرى من هذه الحكاية الغريبة أن البقيار كان ملبوس القاضي على وجه التخصيص - والقضية الآن هي قضية أن نعلم ماهية هذا اللباس. - إن كلمة بقيار أو بقياز تعني بالفارسية حسب قواميسنا:

«Tapeti non villosi genus, (nigrum, ex pililiscamelinis)».

وهذا ما يحملني على التفكير إن كلمة بقيار في كلامنا هذا كانت تعني: «نوعاً من الثياب المصنوعة من وبر البعير» وكان هذا الثوب يرتدى تحت الفوقانية. والحقيقة إن البقيار وفق رأي الزمخشري:

(مقدمة الأدب، ق١، ص٦٢ :.Lexicon arab. Pres).

يدل على نفس الثوب المسمى بـ(بركان) - راجع هذه الكلمة.

البَلْغة والجمع البَلاغي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وأرى، كما يرى، Dombay في كتابه:

(Gramm. ling. Mauro-Arabica, pag 82).

إن هذه الكلمة تعني حذاء، في المغرب[١].

البُلّوط والجمع البلاليط أو البُلُّوطَة والجمع البُلاَليط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية وعربية) saya de muger (تنورة نسائية) بكلمة بلوطة وجمعها بلاليط، ويترجمها كذلك بـ: ملوطة. ولكن يخيل إليَّ أن بلوطة ليست سوى تحريف لملوطة (راجع هذه الكلمة)، ذلك لأن العرب طالما أبدلوا حرف الميم بحرف الباء فيقولون مثلاً (منفسج) بدل بنفسج (راجع الكالا في كلمة ڤيولتا violeta والصيغة نفسها نصادفها في كتاب ألف ليلة وليلة) إلخ ويترجم الكالا كذلك sayo de varon (رداء رجالي فضفاض) بكلمة بلوط والجمع بلاليط.

---

(١) قال دوزي في كتابه «المستدرك على المعاجم العربية» ما يلي:
«البلغة هي النعل المتخذ من الحلفا، وهي التي يسميها أهل الأندلس ومن صاقبهم من أهل العدوة بالبلغة. وقد ورد ذكرها في مطلع قصيدة لابن عبد الملك يمدح بها المأمون أبا العلاء بن منصور من بني عبد المؤمن:
لتبليغها المضطر تدعى ببلغة   وإن قست بالتشبيه شبهتها نعلا
وكلمة بلغة ما تزال مستعملة في المغرب وفي مصر. (المترجم).

البَنْد والجمع البُنود

تعني هذه الكلمة حزاماً. راجع مسالك الأبصار، في كتاب كاترمير، ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٢٩٥ حيث نقرأ: «يشدون المناطق والبنود». وينبغي إضافة هذا المعنى لكلمة بند إلى القاموس.

البَنِش أو البَنيش

لا وجود لهذه الكلمة لا في القواميس العربية ولا التركية ولا الفارسية. ومع ذلك فهي على وجه التأكيد ليست من أصل عربي، ولما كنت لم أصادفها مطلقاً لدى المؤلفين العرب فإنني أرى أن الملبس الذي تشير إليه لم يرتد إلا في العصور الحديثة.

ونحن نقرأ في كتاب پوكوك، وصف الشرق، (ج١، ص١): «وفوق هذا الثوب (لعله الخفتان) يلبس القوم ثوباً آخر ردناه ضيقان شبيهان بثوب يوناني وهو يدعى بنيشاً Gelijik een Grieksche tabbaard وهو الثوب الاعتيادي». ويضيف الرحالة أن الناس في سورية يرتدون البنيش benisj الحريري، ولكن هذا الثوب لا وجود له في مصر. ويكتبه الرحّالة نيبور، في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ج١، ص١٥٢) على هذه الصورة Benîsch. وبوسعنا أن نرى هيئة تفصيل هذا الكساء في وصف الجزيرة العربية في اللوحة السادسة عشرة من كتابه (وصف الجزيرة العربية). ويصف الكونت دي شابرول، في كتابه (وصف مصر، ج٨، ص١٠٨) الثوب الذي نحن بصدد التحدث عنه على هذه الصورة، «البنيش رداء واسع فضفاض، ردناه كبيران للغاية، حيث أنهما يفوقان كثيراً في طولهما الذراع وطول اليد، وهذان الردنان مشقوقان من نهايتهما». وبعد

ذلك نطالع (ص١١٠): «إن البنيش Benych هو ثوب واسع من الجوخ -. ونقرأ كذلك في وصف مصر (الأطلس، ج٢، شروح الصور ص١١) حول موضوع تجار مكة: «إنهم يضيفون إلى ثوبهم الاعتيادي بوصفهم مسلمين بنيشاً طويلاً عريضاً من الصوف مخطط بخطوط طويلة وسوداء» **ويصف لايت Light الزي الدرزي في** كتابه (رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص٢٢٠) فيذكر وجود إزار غليظ من الصوف يدعى بنيشاً Beneesh وهو مخطط بخطوط سوداء وبيضاء. ونقرأ لدى فون ريشتر، رحلة إلى الشرق الأوسط ص١٤٢): «فجلب لي القواص بنايش أي إزار تلف الجسم كله، فاشتريت منها بنيشاً واحداً، لأن القوم أخبروني إن جبتي كانت غاية في الدمامة والسماجة بحيث لا يصح عرضها في مجتمع أنيق أناقة دمشق. وهكذا فقد مضيت بهذا الزي الرائع المصنوع من الجوخ الأزرق والمزركش بالذهب إلخ» وفي كتاب مؤلفه بركهارت وعنوانه (رحلات في الجزيرة العربية، ج١، ص٣٣٨) نقرأ: «ياله من بنيش لونه لون القرنفل مبطن بالأطلس». وجاء في رحلة بكنكهان إلى بلاد ما بين النهرين، (ج١، ص٤٤٣): «إن أثقل ثوب معروف لدى سكان ماردين هو الجبة أو البنيش لدى سكان أنقرة وضواحيها» (راجع كذلك الجزء الأول، الصفحة السادسة) من كتاب الرحّالة فريزر المعنون (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، فهو يتحدث عن البنيش أو الرداء المصنوع من الجوخ الناعم المطرز في الأغلب الأعم - حين يتطرق إلى أتراك بغداد، كما يتحدث عنه ربل Rûppel في كتابه (رحلة إلى الحبشة، ج١، ص٢٤) وإليكم ما يقوله لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١): «هؤلاء القوم يلبسون أيضاً البنش أو البنيش، وهو ثوب من الجوخ، له ردنان طويلان، شبيهان بردني القفطان ولكنهما أوسع، وإذا توخينا الحقيقة قلنا ثوب المراسيم

والاحتفالات، ويجب ارتداؤه فوق الثوب الجوخي الآخر وأعني الجبة ولكن هناك الكثيرون الذين يرتدونه عوض الجبة». وبمقدورنا كذلك أن نرى شكل الكساء في كتاب لين (ج١، ص٤٠)، (الصورة اليسرى).

والبنش، حسب رأي النقيب ليون، في كتابه (أسفار في الشمال الإفريقي، ص١) الذي يكتبه Beneish هو ثوب يرتديه رجال طرابلس الغرب. ويضيف هذا الرحالة أن البنيش يشبه القفطان من حيث الهيئة ولكنه يختلف عنه من جهة التطريز. ويرد ذكر «البنيش الحريري اللازوردي» في كتابي دنهام وكلابرتون (أسفار في شمال أفريقيا، ج١، ص٢٧).

ونحن نرى أن البنيش ما زال يرتدى في أيامنا هذه في طرابلس الغرب، وفي مدن مصر وسورية، وفي الجزيرة، وفي العراق العربي، وفي شبه الجزيرة العربية.

البَناقة والجمع البَنائِق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقول دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر) **في معرض حديثه عن نساء مدينة الجزائر**: «إن جميع النساء - مغربيات كن أو تركيات أو مرتدات - يحملن - على رؤوسهن أول ما يحملن نوعاً من Una como escofia يخفين فيها شعرهن - ويسمينها باللغة المغربية ,Lartia, ou beniga. وهي معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الأمامية بالحرير الملون الأخضر والأصفر - إلخ». وفي أعقاب هذا الكلام يكتب: albanega. ويترجم بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسپانية عربية)

هذه الكلمات (Cofia de muger, et, alvanga Cofia) بكلمة بناقة وجمعها بنائق.

وقد رأينا أن دييكو دي هيدو يكتب كلمة بناقة: Albanega ولكنه يكتبها أيضاً: El beniga. والحقيقة أن المؤلفين الأسپان يعبرون عن صوت (أ) - الذي يلفظه عرب المغرب (é) بحرف (ـَ) أو (بـ). وهيدو نفسه يكتب الكلمة العربية شاشية هكذا Xixia وفي كتاب مفردات پيدرو دي الكالا نجد أن (آ) العربية تنقلب دائماً إلى (أ). ومع ذلك ليس هناك من شك في وجوب كتابة بناقة وليس بنيقة - لأن الكلمة العربية البنقة قد تسللت إلى اللغة الأسپانية في صيغة Albanéga أو Alvanéga - وفي اللغة الأسپانية (é) تجاوب (أ) العربية. ويجزم كوباروڤياس في كتابه (الكنز - مدريد - ١٦١١) بأن الكلمة الأسپانية Albanega هي Albanega أو Alvanega وهي في اللاتينية Reticulum عبارة عن شبكة على هيئة دائرة تضعها النساء عادة على رؤوسهن - فيغطين بهذه الوسيلة شعورهن - وهي كلمة عربية مشتقة من فعل (بنق) Venega ومعنى ذلك جمع - سوى (Resserrer-Rassembler) وربما ينبغي علينا التسليم بهذا الرأي الاشتقاقي للغوي الأسپاني - لأن المعاجم العربية تنص على أن جملة بنق كلامه تعني جمعه وسواه. ولعل بوسعنا أن نرى مع ذلك أن كلمة عربية أخرى - وهي كلمة بنيقة التي تشير إلى قطعة القماش التي توضع في ردن قميص تحت موقع الإبط والمسماة نفاجة أو نقرة الإبط - قد ولدت فعلاً هو فعل بنق. والواقع أن فعل بنق يعني فيما يعنيه: وضع نقرة الإبط في قميص وجملة بنق كلامه لا تعني إذن شيئاً آخر سوى: وضع نقرات الإبط لخطابه أي جمع الأفكار والجمل في نظام منسق. ومن المحتمل كذلك أن تكون كلمة بناقة تحريفاً لكلمة بنيقة - وأن يكون هذا النوع من التيجان في العصور الغابرة منحصراً في قطعة من التيل توضع فوق رؤوس النساء.

وقد استعارت العائلة الأسپانية Vanega اسمها من الكلمة العربية بناقة. وبوسعكم أن تروا في كتاب كوباروڤياس الناسبة التي منح بها فارس من فرسان هذه الأسرة هذا الاسم.

البُوش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ولكننا نقرأ فيى كتاب برگهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين ص٢٧): «إن عباء بغداد هي أفخر العباء أما العباء التي تصنع في حماه ذات الأردان القصيرة العريضة فتسمى Bouch». ويقول نفس الرحالة في كتاب آخر (رحلات في سورية - ص١٤٧) في معرض حديثه عن حماه «والعباء - أو الأردية الصوفية التي تعمل هنا هي غاية في الجودة وحسن السمعة».

وأعتقد أن هذه الكلمة مشتقة من اسم مدينة مصرية تدعى بوش[١] كما يمكن رؤية ذلك في قاموس فريتاگ - وهذه المدينة كانت مشهورة بالثياب التي تصنع فيها.

ولعل مدينة بوش ومصانعها قد عفى عليها النسيان في الأزمنة

---

(١) تحدث العديد من المؤلفين عن هذا المكان - راجع مثلاً أبا الفداء (البلدان - ص١٠٧) ويكتب لي في كتابه (أسفار ابن بطوطة - ص١٤) الكلمة هكذا Bauch - وهذا غلط - فإليكم ما قرأته في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس - ص١٤): مدينة بوش وضبطها بضم الباء الموحدة وآخرها شين معجم. وهذه المدينة أكثر بلاد مصر كتاناً. ومنها يجلب إلى سائر الديار المصرية وإلى أفريقيا. حقيقة أن الرحالة لا يتحدث عن الثياب الصوفية التي تصنع في هذه المدينة - ولكنه يقول بعد ذلك - في معرض حديثه عن مدينة البهنسة القريبة من بوش: «وتصنع بهذه المدينة ثياب الصوف الجيدة». فإذا تحقق كذلك وجود مصانع للثياب الصوفية في بوش فإن تخميني حول أصل كلمة بوش - البادي في النص - يكون قد تأيد.

الحديثة - ولكن كلمة بوش ما تنفك حية مشيرة إلى نوع من القماش (الصوفي - كما أظن).

وهكذا فقد طبقت كلمة بوش خطأ على الأقمشة المعمولة في حماه - ثم سميت بها العباء التي تصنع في هذه البلدة.

التُّبّان

هذه الكلمة - كما سبق أن لاحظنا - ليست سوى تحريف للكلمة الفارسية تنبان التي تعني سراويل من الجلد يستعملها المصارعون[1] كما تعني سراويل من الكتان يرتديها الملاحون. وهذه الكلمة قد احتفظت بالمعنى الأخير أثناء مسراها إلى اللغة العربية. وإليكم ما يقوله الجوهري (ج٢ - مخ٨٥ - ص٣٤٣) حول هذه الكلمة: «والتبّان بالضم والتشديد سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين. وفي حديث عمار أنه صلى في تبان فقال: «إني ممثون»».

ويترجم بيدرو دي الكالا Pedro de Alcala في كتابه (مفردات (عربية أسبانية): (Vocabulario Espanol Arabigo) كلمة Bragas بكلمة تبان. راجع كوباروفياس Cobarruvias في كتابه (كنز اللغة القشتالية، مدريد، Tesoro de la lengua Castellana, ١٦١١ حول كلمة (Bragas).

---

(١) إن هذا التبان هو اللباس الوحيد للمصارعين في الشرق - كما نستطيع رؤية ذلك لدى نيكولو دي نيكولي Nicolo de Nicolai في كتابه ملاحة وسفر: (Navigationi et Viaggi, fol. 174, 175).

ورد في أخبار معركة كربلاء أن الحسين بن علي ﷺ لبس التبان قبيل خروجه إلى المعركة وغرضه من ذلك أن يبقى له بعد السلب - إذا قتل - ما يستر به جسمه، لأن التبان لا مطمع فيه لأحد! (هادي العلوي).

التَتَرية الجمع التَتَرِيات

إن هذه الكلمة التي - كما نرى - ليست في الحقيقة والواقع إلا صفة منسوبة لكلمة تتر - لا وجود لها في القاموس. وهي تشير إلى قباء مصنوع على الطريقة التترية. راجع ملاحظة كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات عربية - ج١ - ص٢١٣). ونستخلص من عبارة المقريزي التي أوردها هذا العالم الجليل، أن التتريات كانت مؤلفة من الحرير الأحادي اللون المزركش الحواشي والمطعم بالذهب.

التَحتانيّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نجد في مخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر - مخ١٩ب، ص١٣): «وخلع عليه أطلساً معدنياً أبيض وتحتانية أطلس بطرز زركش على الفرجيتين». وأعتقد أن التحتانية كانت فرجية تحتانية - وإن الفرجية الفوقانية كانت تدعى تحتانية (راجع هذه الكلمة).

ويقول ابن بطوطة (الرحلة - مخ دي گايانگوس - ص٢٥٩) في كلامه عن سومطرة: «وأخرج من البقشة ثلاث فوط. إحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن. والأخرى حرير وكتان. وأخرج ثلاثة أثواب يسمونها التحتانيات من جنس الفوط».

التِكَّة، وفي لهجة مصر الدِكَّة

إن تبابين (سراويلات) الشرقيين لا فتحة لها من الجهة الأمامية مثل تبابيننا، فنجم عن هذه الحالة عدم تزودها بالأزرار. ولربطها يستعمل

الشرقيون التكة. ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٣٥١) هذه الكلمة بأنها رباط السراويل، وحسب تقرير لين، في كتابه الموسوم (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩) إن الدكة أو التكة هي رباط أو مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون، ولو أنه محجوب بالملابس الفوقانية، وبإحاطته بالجسم يستعمل لربط التبان. ونحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج٢، ص٢٩٩) وفي القنية «تكره التكة المعمولة من الإبريسم - هو الصحيح - لكن في الفتاوى الصغرى والذخيرة وشرح القدوري لا تكره التكة من الحرير عند الأمام وعن أبي يوسف تكره».

ونجد لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخـ١٣، ص٣٣٤، حوادث سنة ٢٨) «زفت مطر الندى (قطر الندى؟) بنت خمارويه بن أحمد بن طولون من مصر إلى الخليفة المعتضد. ونقل أبوها في جهازها ما لم ير مثله. كانت من جملتها ألف تكة مجوهرة».

وجاء في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣٣٣) أو ط هابيخت، ج٢٤، ص٣٩٤): «لا يصح له ذلك لأنه مكتوب على دكة لباسي قول صعب». ونقرأ في مكان آخر من ط هابيخت، ج٤ ص٣٩٧، : «فمد يده وملس على جسدها. ثم مر بيده على بطنها. ونزل إلى سرتها. ونزل فوجد اللباس مربوطاً. فنزل بيده على سراويلها ودكتها وجذبها فانتبهت» وبعد ذلك نقرأ (ط مكناگتن، ج١، ص٥٩٦): «وقد رشقت أطراف قميصها من داخل دكة اللباس، وهي كانت تعمل شغلاً». ويتحتم علينا لفهم هذه العبارة أن نتذكر أن أهل الشرق يلبسون القميص فوق التبان.

ونطالع في مكان آخر (مكناگتن، ج١، ص٥٩٦): «فحط قمر الزمان يده في دكة لباسها فجذبها وحلها لما اشتهاها خاطره». وهناك

عبارة لمؤلف اسمه راولف في كتابه (وصف حقيقي لرحلات) يتحدث فيها عن سكان طرابلس الشرق، وفي هذه العبارة يتحدث المؤلف أيضاً عن التكة. وبعد ذلك (ص١٣٣) يتزيا هذا الرحال نفسه أثناء سفره من حلب إلى بغداد بزي سكان البلاد الأصليين، فيصف هذا الزي، فيقول فيما يقوله أنه أوصى لنفسه بعمل: «سروال فضفاض من (الموسلين - الموصلي) المربوط تحت القميص وعلى الجسد العاري برباط هو التكة». ويعرب كوتوفيك Cotovic في كتابه: الرحلة Itinerarium، ص٤٨٥) في معرض التحدث عن أزياء الشرقيين بصورة عامة بهذه الكلمات: «إنهم لا يربطون سراويلاتهم بصديرياتهم بالحمالات، كما نصنع نحن بربط سراويلاتنا بقماصلنا Camisoles». (وكان المؤلف قد زار الشرق عام ١٥٩٨) ولكنهم يربطونها كيفما اتفق برباط من القطن».

وأفخر التكك، حسب رأي النويري، (في نهاية الأرب، مخ٢٧٣، ص٩٦) تلك التي ترد من أرمينيا (تكك أرمنية) وبعد المقريزي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص١٩٩) من بين الثروات التي تركها بعد موته أحد كبراء مصر: «ألف تكة حرير أرمني». وفي أيامنا هذه يروج هذا المثل في مصر: «الغندرة المخفية التكة والطاقية»[١]. وإن بركهارت في

(١) تأخذ كلمة غندرة والصفة المشتقة منها غندور مفهومات عدة. ولما كان البحث عن هذه الكلمات في المعاجم ضرباً من ضروب العبث، فلا يبدو لي من فضول القول طرح الملاحظات التالية بين يدي القارىء. فكلمة غندور تعني في أسبانيا والمغرب الرجل الباسل. ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة (baragan) valiente بكلمة غندور، ويتحدث دييكو دي توريس في (قصة الشرفاء، ص٣٧٢) عن خمسين ألفاً من المغاربة تجمهروا في فاس، ويدعون Gandores، ومعنى ذلك البسلاء، الذين يعتبرون أنفسهم نواب الجمهورية والمدافعين عنها، ولذلك منحوا هذا اللقب، في حين ليسوا من ذلك في شيء. ولكن غندور كانت تعني في أسبانا =

كتابه (أمثال عربية، رقم ب١٠) يلاحظ هذه الملاحظات على هذا المثل فيقول: «لقد طبقه المصريون على المنافقين، أو على الجبناء، الذين ينادون بالويل والثبور على الطرز الأنيقة، ولكنهم في الوقت نفسه يستعملونها ولكن سراً». والتكة El Tikke هي حزام Sack من الحرير أو من الموصلي، وهي في أغلب الأحيان مطرزة موشية، ويستعملها الرجال والنساء على حد سواء لربط التبان حول مدار السرة، ولكن تحجبها الثياب. والتكة هي الهدية الأولى التي تهديها عشيقة لعشيقها. وبعد فإن التكة نبع غزير للملح والنوادر والأمازيج إذا استخف الطرب عقول سمار النوادي.

ويبدو أن كلمة تكة أو دكة كانت مستعملة دائماً لدى العرب، وهي تشير إلى مشد السراويل، ويخيل إلينا إن هذا الشعب لم يستعمل كلمة سواها للدلالة على هذا الجزء من اللباس[١].

= متمرداً أو شقياً، ومصطلح غندرة يعني عصابة قطاع طرق (راجع الكالا). ويلاحظ بركهارت بمناسبة المثل الوارد في النص قائلاً: «تعني الغندرة في اللهجة المصرية الدارجة المرح والابتهاج والأريحية والبشاشة وحلاوة العشرة ودماثة الخلق. وكلمتا غندور وغندرة شائعتا الاستعمال، لأنهما بانطباقهما على أفراد سواد الشعب في علاقاتهم الودية يعطيان معنى لطيفاً. أما في مالطا فمعنى كلمة غندور الإنسان الأنيق». (راجع ڤاسيلي، قويميس مالطي، مجه٣١٩).

(١) إن جميع الذين يرتدون السراويل يتخذونها ذات تكك. وهذه السراويل تلي الجسم تماماً والقمصان فوقها. وعندما يحتاجون إلى التبرز يجلسون القرفصاء، وينزعون ملابسهم حول أجسامهم كالنساء، ويتجهون إلى الشمال، مخالفين اتجاههم إلى الجنوب، لدى قيامهم بالصلوات، فيعملون ما يحلو لهم.

التكلاوات

إن هذه الكلمة، التي هي ولا ريب كلمة جمع، لا وجود لها في القاموس، ونحن لسنا على ثقة حتى من صحة رسمها.

وقد وجد كاترمير (راجع كتابه: تعليقات ومقتبسات، ج٨، ص٢١٣) في «مسالك الأبصار» ولدى «المقريزي» كلمة تكلاوات التي لا بد إنها تدل على ضرب من اللباس يرتدي في الهند وفي مصر من قبل الأمراء. ويرى كاترمير إن هذه الكلمة صحيحة، ولكن لعدم وجود نصوص أخرى، ولجهلنا أصل هذه الكلمة، يستحيل علينا الدخول في تفاصيل حول هذا الموضوع.

التاج

إن كلمة تاج بما تعنيه الكلمة الفرنسية Couronne غير داخلة في نطاق موضوعنا. ولكن لفظة تاج لدى الفرس تنطبق على نوع خاص من أغطية الرأس للزينة. كما إننا نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى لدى الكتاب العرب المحدثين. فحسب رأي أبي الفداء (التاريخ - المترجم من قبل راسموسين) وطبقاً لقول ريچاردسون في كلمة تاج - وأخذا برأي هامر پرگستال - في كتابه (تاريخ الامبراطورية العثمانية) نستخلص بأن حيدر هو الذي اتخذ التاج (طاقية من النسيج الأحمر) لنفسه أو لأنصاره. ولكن ميلا مع رأي أولياريوس في كتابه (رحلات إلى موسكوفيا وبلاد التاتار وفارس - ص٨١٤) ومع كامفر في في كتابه (التحف النادرة - ص٧٠ - ٧١) ومع مالكولم في كتابه (تاريخ فارس - ج١ - ص٥٠٣) نرى أن ابن حيدر شاه إسماعيل هو الذي تبنى التاج. وقد ورد ذكر البيريه -Berreton

Béret في رحلة بيترو دلافاله في كتابه (الرحلة - ج - ص١٦٠) وهي ألبيريه الحمراء التي اسمها تاج وهي تقابل الكلمة الفرنسية ويلبسها جنود الميليشيا La milice ولكنهم لا يضعونها على رؤوسهم إلا في الحالات النادرة - وفي الاحتفالات الرسمية فقط. ويقول أولياريوس (ص٨١٣) واصفاً التيجان: «إنها طاقيات حمراء مشغولة من اثنتي عشرة طية - وتكاد تشبه كل الشبه القناني التي يستعملها سكان إقليمي لاندوگ وپروفنس. ولها بطن مسطح وعنق غاية في الطول والضيق». ويتحدث بعد ذلك (ص٨١٤) عن الطاقيات الحمراء ذوات الثنيات الاثنتي عشرة تخليداً لذكرى أئمتهم أو أوليائهم الاثني عشر. وإليكم ما نقرأ في كتاب كامفر (ص٤٤). «إن التاج Taadsj طاقية عالية - لها هيئة خاصة - والتاج يستعمل في بلاط فارس - وبه يتوج الملك نفسه - كما سبق إن قلنا - أما أعيان المملكة فإنهم يتزينون به في أعظم الأعياد الرسمية - بحضور الملك - وهو منسوج من الصوف المكفت بالذهب - وتحف به صفوف من المجوهرات والأحجار الكريمة - ولهذه العلة سماه القوم Tadsji tomàr (تاج تومار) وهذا المعنى لتومار أو طومور يجب أن يضاف إلى المعاجم الفارسية - ومعنى ذلك (عقال ملفوف) Pileus circumligatus - لأجل تمييزه عن تاج آخر أشد بساطة منه - وهو مستعمل لدى النخبة الممتازة من ميليشيا القبيلة التركية - التي سنتحدث عنها قريباً - ولدى الـ السوپي Sopi أو اليسولي Jesauli وهذا يعني حجاب البلاط الملكي Atrienses أو كبار حراس القصر الداخلي للملك: وهذا التاج أحمر لا زينة له. ودونكم شكله: «ضيق من الجبهة ولكنه يأخذ في الارتفاع ويمعن في الاتساع. هو من الأعلى مسطح ولكنه مؤلف من اثنتي عشرة طية أو ثنية - طبقاً لعدد الأئمة - ويعلو في وسط قمته شبه ساق Ex cujus medio stylus erigitur ضيق صلب له طول شبر.

ويتحدث كامفر (ص٢٤١) في عبارة أخرى من كتابه الجميل عن عرف خاص يستعمل فيه التاج. **وإليكم كلمات الرحالة:** «بحكم الانتظار حظيت مرتين برؤية منح التاج الذي يشبه التاج الأسقفي (البرطل) لمن يدعون لدينا La mitre aulique des Sophis- Mitram Sophorum aulicam (Le Tadsj) أما مواطنونا فتسمى لديهم هذه العملية: «منح وسام الفروسية الفارسي». وقد أدخل شابان في القاعة الثانية - وكان الأول يطمح في إحراز رتبة حجابة القصر الملكي في مدينة كشغر Keskèr أما الآخر فيطمح في وظيفة مماثلة. المنصبان يتطلبان إدارياً حائزاً على الانتساب إلى تلك الطبقة. ولما عرض اعتماد الدولة رغبتهما وقف كل منهما مسمّراً في مكانه إلى أن فرغ الملك من تأملهما ملياً والرضاء عن سمت كل منهما فانتهى إلى استجابة طلبيها. وبعد ذلك خرج من القصر صحبة يساوي باشي - رئيس الحراس في القصر - فبادل عمامته بتاج من تيجان الـLes Sophis وكان هذا الرئيس يأتي في الدرجة الثانية بعد الماريشال. ولدى رجوعه أمر المرشحين أن ينبطحا على بطنيهما وأن يمد كل منهما ذراعيه حتى فخذيه (وانتظر بعد ذلك طويلاً - بهيئة محتشمة - وهو رافع عصاه طوال الوقت - إشارة الملك - ولكن طال انتظاره كثيراً - لأن الملك كان مسترسلاً في حديث مع عظماء المملكة. ولما حصل أخيراً على هذه الإشارة ضرب كلا منهما ضرباً مبرحاً ثلاث عصي - كل ذلك وهو يتمتم ببعض العبارات. وعلى هذه الشاكلة قبلهما في سلك الـSophis. ومنذ تلك اللحظة سمح لهما بتزيين رأسيهما برمز ذلك السلك وأذن لهما بأن يشرئب عنق كل منهما - باسم صاحب الجلالة - إلى كافة أنواع المناصب - حسب اقتدار كل منهما. وبعدئذ انتصب كل منهما على ركبتيه - وقد اعتمر رأسه بالزينة - وقبلا عصا من ضربهما بالعصا - إظهاراً منهما للاحترام والاعتراف بالجميل. ثم قلد الشخص نفسه كلا منهما خنجراً

- وانصرفا بعد أن أشبعا رغبتيهما. ومضى على هذه العملية بعض الوقت فنودي على جنديين من الجنود - وقد تشفع لهما الماريشال - ليحلا محل اثنين من الـSophis أو حرس قصر الملك الذين انتقلا إلى رحمة الله. وجرت المراسيم على نفس الشاكلة في البهو السفلي. وبعد انتهاء هذه العملية استعاد كل من الرجلين سلاحه الذي أودعه على أمل التبديل السريع لخوذته بالطاقية النبيلة»: ويخيل إليَّ أن في العبارة التالية من تاريخ مصر لمؤلفه ابن إياس إشارة إلى عادة مماثلة. فإننا نقرأ في هذا الكتاب (مخ٣٦٧ - ص١٤٩ - حوادث عام ٨٠٣): «نزل من القلعة هو وبقية النواب وأخذوا في رقابهم منديل وتوجهوا إلى تمرلنك يطلبون منه الأمان. فلما تمثلوا بين يديه أخلع عليهم أقبية مخمل أحمر والبسهم تيجاناً مذهبة».

راجع كذلك أبا الفداء في تاريخه (ج٢ - ص١٧٩) وإذا آمنا بما يقوله مؤرخ أرمني هو Tschamtschean في كتاب - نوادر أرمنية - لدى بيترمان (ص٢) فإن هذه العادة ترقى إلى عهد سحيق - وكانت تمارس في عهد ارام ونيتوس. فنحن نقرأ في هذا الكتاب: «فمنحه تاجاً مرصعاً بالجواهر والأحجار يزين به رأسه - وكانت هذه المنحة في ذلك العصر دلالة على أعلى درجات المجد والفخار[١]».

---

(١) إن كلمة تاج تعني كذلك نوعاً من زينة الرأس الذي تحمله النساء العربيات والذي نستطيع أن نراجع بشأنه مراجعة مثمرة لين في ترجمته (ألف ليلة وليلة - ج١ - ص٤٢٤). وبهذا المعنى نصادف هذه الكلمة في (مقتطفات من قصة عنترة..).

التّاسوم التّاسُومة التّسُومة

إن هذه الكلمة هي مرادف لكلمة نعل Sandale في عرف فخر الدين (لدى دي ساسي - طرائف عربية - ج١ - ص٤٢ من النص العربي). ومع ذلك فإن Germano di Silesia (pag. 740, 776) الذي سبق للمستشرق دي ساسي إن ذكره - قد ترجم الكلمة بـ: Pantofola, Pianella ولعل هذه الكلمة قد تحور معناها منذ فترة من الزمن. وإن التاسومات التي يتحدث عنها فخر الدين كانت معمولة من الليف - ليف النخيل. كما يقول العلّامة دي ساسي.

ولم تكن هذه الكلمة مجهولة في أوروبا. ولكن يخيل إلينا أنهم في شبه الجزيرة هذه قد استعملوا كلمة تواسم - ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يترجم الكلمة الأسبانية Calçon بكلمة توازن (كذا) وجمعها توازنات.

الثّبَات وجمعه الثّبَابِيت

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإذ إنها مشتقة من الفعل العربي ثبت - فقد كانت تعني في الأندلس - ما يعطي القوة والاعتدال للقدم. ومعنى ذلك الخف أو النعال (راجع بيدرو دي الكالا) في كتابه (مفردات أسبانية عربية) حول هذه الكلمات:

«Calçado con çapatos, comun, çapato».

ومن هذه الكلمة العربية اشتقت الكلمة الأسبانية (çapato) (Zapato) تباتو، كما لاحظ ذلك بنفاذ بصيرة تبعث على الإعجاب الأب Guadix

وديبگو دي أوريا، لدى (كوباروڤياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١، ص٢٦٤، مجـ١). وإن الكلمة الفرنسية savate سافات مشتقة من الكلمة الأسبانية (Zapato). وقد كتب دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص٨٢) هذه الكلمة سُباط أو سِباط، مع حرف السين وحرف الطاء ولكنني لا أعتقد بصحة هذا المنحى.

الثُّرْبَة والجمع الثُّراب، الثُّرْدَة والجمع الثراد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا، في كتابه، مفردات أسبانية عربية، botin de la muger بوتان دي لا موخير بثربة وثراب. كما يترجم كذلك botin assi بوتان أسي بثردة وثراد. إذن فهذه الكلمات تشير إلى خف امرأة.

الثَوب وفي اللهجة المصرية التَوْب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن كلمة ثوب تعني ملبوساً بصورة عامة، ولكنَّ له في هذا اليوم معنى خاصاً في مصر فكلمة ثوب، حسب تقرير لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٦١) تشير إلى نفس الملبوس الذي تشير إليه كلمة سبلة، ومعنى ذلك رداء واسع فضفاض عرض ردنيه يساوي على وجه التقريب طول الجلباب نفسه، وهو مصنوع من الحرير ولونه لون القرنفل في معظم الأحوال أو لونه وردي أو بنفسجي. وترتدي النساء هذا الرداء حين يردن مغادرة منازلهن ليؤلفن التزييرة. ومعنى ذلك الحلة التي يضعنها فوق أرديتهن الأخرى. وبوسعنا رؤية هذه الكسوة في كتاب لين (**الصفحة ٦٤، الصورة اليسرى**). والنساء غالباً ما يلففن رؤوسهن

بأردان هذا الكساء، أما لتسوية هندامهن وأما لإحلال هذه الكسوة محل الطرحة. (راجع الصورة اليمنى في كتاب لين، ص٦٤، ٦٥، ٦٦).

إن كلمة توب أو ثوب لم تكتسب هذه أو تلك هذا المعنى إلا حديثاً. فإن الكونت دي شابرول لا يسمي الكساء الواسع الفضفاض للنساء إلا بكلمة: سبلة. ولم أقع أبداً على كلمة ثوب بهذا المعنى لدى المؤلفين العرب. حقيقة إني زعمت مواجهة كلمة ثوب في بضع عبارات من كتاب ألف ليلة وليلة، ولكن تمحيصاً أعمق جعلني أعترف بأن رأيي لم يكن قائماً على أساس.

إن للطوارق قميصاً من نسيج القطن غاية في السعة والفضفضة، وهو في الأغلب الأعم أزرق أو أبيض، وله ردنان هائلان. وهم يسمون هذا القميص Tobe أو Tob. راجع هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق ص٦٩). وراجع كذلك النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص١١٠). وانظر أخيراً دنهام وكلابرتون في كتابيهما (أسفار، ج١، ص٢٥١). إن كلمة Tob أو كلمة Tobe ليست على وجه الاحتمال إلا الكلمة العربية (الثوب) أو التوب).

الجُبَّة وفي اللهجة المصرية الجِبَّة

إننا واجدون في صحيح البخاري (ج٢ - مخ٣٥٦ - ورقة ١٦٧) بابين عنوان الأول منهما: (باب من لبس جبة ضيقة الكمين في السفر..) «انطلق النبي ﷺ لحاجته ثم أقبل فتلقيته بماء فتوضأ وعليه جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه فذهب يخرج يديه من كميه فكانا ضيقين: فُرج يديه من تحت الجبة فغلسهما. ومسح يديه برأسه وعلى خفيه». كما نجد في باب لبس جبة الصوف في الغزو... حدثنا

أبو نعيم حدثنا زكريا عن عامر عن عروة بن المغيرة عن أبيه ﷺ: قال: «كنت مع النبي ﷺ ذات ليلة في سفر فقال: أمعك ماء؟ قلت (نعم) فنزل عن راحلته فمشى حتى توارى عني في سواد الليل. ثم جاء فأفرغت عليه الأداوة فغسل وجهه ويديه وعليه جبة من صوف فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة فغسل ذراعيه ثم مسح برأسه. ثم أهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فأني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما.

وقد ورد في مجمع الأنهر (ط القسطنطينية - ج٢، ص٢٥٨): «روى أن النبي ﷺ لبس جبة مكفوفة بالحرير».

إن هذه العبارات ترقى إلى العهود الإسلامية الأولى. ولكن قبل أن نضرب في شعاب هذا البحث - لا يبدو من العقم ملاحظة أن الجبة من حيث هيئتها تشابه قليلاً أو كثيراً أرديتنا الليلية Nos robes de chambre ولكن طراز العصر السائد قد غير من طولها ومن نوع نسيجها. . . إلخ. ولنبدأ بسورية. ولما كان كوتوفيك قد قال في كتابه (الرحلة - ص٤٨٥) في معرض حديثه عن ثياب الشرقيين بصورة عامة: «إن الثوب القطني يلبسه بعضهم مسدلاً حتى الأقدام - ويرتديه بعضهم مسبلاً حتى منتصف الساقين - في حين أنه من الجهة الخلفية أقصر قليلاً من جهته الأمامية - فإننا لا يخالجنا أي ريب في أن العبارة التالية للمؤلف راولف تمس اللباس الذي نتحدث عنه الآن. فإن هذا الرحالة يقرر - في معرض حديثه عن سكان طرابلس الشرق في كتابه (وصف حقيقي للرحلات ص٤٩): «وتحت هذا القباء يلبسون أيضاً ثوباً آخر - مصنوعاً من الجوخ - هو في العادة أزرق اللون - لا سيما لدى الجنود - وهو أقصر من الجهة الأمامية منه من الجهة الخلفية - وله ردنان واسعان - على أنه محروم من الياقة». ويقول كوتوفيك في (كتابه القيم المذكور) إنه (Collariis caret). وأرى أن

عبارة داندينى التالية في كتابه (رحلة من جبل لبنان - ص٤٠) وهو يتكلم أيضاً عن سكان طرابلس الشرق تخص الجبة كذلك. قال: («إن لهم سترتين. السترة التحتانية وهي الجلباب مع حزام». (أما السترة الفوقانية فهي العباءة). ويذكر ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط - ص١٢٣) من بين الألبسة التي اقتناها - للمضي من بيروت إلى قلب سورية «جبة حمراء Dehûbbeh rouge (ردنگوت Redingote بلا بطانة).

أما في مصر فقد كانت الجبة مستعملة كذلك - وما برح المصريون يرتدون هذا اللباس حتى في أيامنا هذه. فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخ٢ - ص٣٢): «وكانت الخلعة جبة عتابي[1] حمراء وفوقها فرجية». كما نقرأ لدى ابن أياس (تاريخ مصر - مخ٣٦٧ - ص٢٨١): «وكان السلطان لابساً جبة صوف بيضاء». وهذه الكلمة نفسها موجودة بعد ذلك (ص٢٨٨). وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابيخت - ج٣ - ص١٣٩) نرى وصف جبة صياد فقير على هذه الصورة: «جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وجيش من القمل المذنب». لا ريب أن الموضوع هو موضوع الجبة في العبارة التالية للرحالة هيلفريتش في كتابه المعنون (تقرير واقعي مختصر عن رحلات - ص٣٩٣) فإن هذا الجوابة يعبر عن الموضوع بهذه الكلمات «يرتدي هؤلاء القوم بدلاً من سترة القرون الوسطى (Eines Wammes) سترة طويلة (Leibrock) أقصر قليلاً من الجهة الأمامية منها من الجهة الخلفية - وهي مصنوعة من الجوخ الأحمر أو الأزرق أو السنجابي».

---

(١) راجع حول كلمة عتابي - كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك - ج١ - ق١ - ص٢٤١ - وج٢ - ق١ - ص٧٠) لترى أن هذا القماش قد استعار اسمه من اسم شارع في بغداد - كما لاحظ ذلك دي گايانگوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الأندلس - ج١ - ص٣٥٨).

ويصف الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر - ج١٨ - ص١٠٨) على هذا المنوال الجبة فيقول: «الجبة هي رداء آخر مفتوح كذلك - ويوضع فوق الرداء الأول وهو القفطان. ردنا الجبة قصيران بالنسبة لردني القفطان. وتبطن الجبة في الشتاء ببطانة من الفرو». ونقرأ في كتاب لين (المصريون المحدثون - ج١ - ص٤١) كما نقرأ في ترجمته لألف ليلة وليلة (ج١ - ص٤٨٥): «إن الرداء الاعتيادي الفوقاني هو قباء طويل من الجوخ الملون كيفما اتفق. ويسمي الأتراك هذا القباء الجبة Jubbeh ويسميه المصريون Gibbeh. ولا يصل ردنا هذا القباء حتى المعصم». ويسمي لين الجبة ثوباً فوقانياً بالنسبة للقفطان الذي يلبس تحت الجبة Djibbah. ومع ذلك فالقوم يرتدون فوق الجبة أما بنيشاً وأما فرجية وأما عباءة. وبوسعنا رؤية هيئة الجبة في كتاب (المصريون المحدثون - ج١ - ص٤٠ - الفرد الأوسط). وعليَّ قبل أن أغادر مصر أن ألاحظ كذلك أن جبة رهبان القديس انطوان - كانت تختلف اختلافاً جوهرياً عن الجبة المصرية من حيث إنها لم تكن مفتوحة من الجهة الأمامية. ويعد (فانسليب) بين ثياب هؤلاء الرهبان جبة أو قباء من الصوف الأدكن. وهذه الكسوة مخيطة خياطة غليظة عدا كونها غير مفتوحة من الجهة الأمامية». راجع (قصة جديدة لرحلة إلى مصر - ص٣٠٧). وكانت الجبة في القديم مستعملة في مملكة مراكش - ذلك لأن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين في كتابه الموسوم بالحلل الموشية (مخـ٢٤ - ص٩) يعد بين الهدايا الممنوحة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين لعمه أبي بكر بن عمر خمسين جبة اشكرلاط ملف رفيع[1]

---

(١) إن كلمة ملف التي ربما كان يلفظها اللافظون (مِلَفّ) والتي تلفظ هذا اليوم (مْلَف) تشير في بلاد البربر إلى نفس النوع من هذا القماش. راجع هوست (أخبار من مراكش - ص٢٦٩) فأنه يقول أن (ملف انجليس) الجوخ الانكليزي - و(ملف فلمينك) الجوخ =

ولكنني أكاد أجزم أن هذا اللباس لم يكن يرتديه عرب هذا القطر - منذ القرن الخامس عشر حتى أيامنا هذه. وما زالت الجبة مستعملة لدى نساء مدينة الجزائر ومدينة تونس (راجع پانته - في كتابه رحلة - ج٢ - ص١٠ من الترجمة الهولندية).

وكانت الجبة مستعملة في الأندلس - وإليكم ما نقرأ لدى المقري (نفح الطيب - مخ غوتا - ص٣٧٣): «ورأى أن يلبسوا في الفصل الذي

= الفلمنكي (الهولندي) - ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص٨٣) كلمة ملف إلى Pannus وحسب تقرير النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي - ص٣١٥) فإن كلمة Melf تعني في سخنة (الجوخ). ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس - ص١٣٨): «وتكسى باللبد أو الملف». وفي مكان آخر (ص١٥١): وفيها كرسي كبير مبطن بالملف يجلس فوقه قاضيهم. وبعد ذلك (ص١٥٢): «فرأيت شيخاً حسن الوجه واللمة عليه لباس الرهبان وهو الملف الأسود» (في القسطنطينية). وفي نفس المرجع: «شقة ملف من عمل البنات وهو أجود أنواعه». وفي موضع آخر (ص١٥٥): «قد كسيت حيطانها بالملف الملون». وبعد ذلك (ص٢٨٦): «عليهم جباب الملف الحمر». وأخيراً (ص٢٨٥): «ستور ملف». ويترجم پيدرو دي الكالا في كتابه المعنون (مفردات أسپانية عربية) كلمات Orillo de pano بـ(حاشية الملف) - ونقرأ في الإحاطة لإبن الخطيب (مخ دي گايانگوس - ص٣٢) الخبر التالي: «اشترى ملفاً فبلها فانتقصت كما يجري في ذلك فذرعها بعد البل. انتقصت فطلب بذلك بائع الملف فأخذ يبين له سبب ذلك فلم يفهم».

ويلاحظ أن ابن الخطيب يستعمل هذه الكلمة بصيغة التأنيث ويستعملها ابن بطوطة بصيغة التذكير. ومع ذلك فبوسعنا أن نفترض أن المؤلف حين كتب كلمة (ملف) فكر حينئذ باسم لباس لجنس النساء - وعلى سبيل المثال في كلمة جبة. والواقع أن المؤلف نفسه في موضع آخر (المخ - ص١٤) قد عد من بين الأقمشة التي يرتديها الغرناطيون الملف المصبوغ. وهكذا نرى كلمة ملف في صيغة التذكير.

واليوم تشير كلمة ملف (mle,) في مالطة إلى رداء قرمزي للأطفال. (راجع ڤاسيلي في كتابه (قويميس مالطي - مجـ٥٠٩).

بين الحر والبرد المسمى عندهم الربيع من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر».

هذا رأي الموسيقار الشهير زرياب - الذي قدم إلى الأندلس في أيام حكم عبد الرحمن الثاني.

ويقول بيير مارتير في قصة سفارته إلى مصر - خلال عام ١٥٠١ - الموجهة إلى فريديناند وايزابيلا (سفارة بابلية - ص١٠٤): «إن ثياب القوم الفوقانية هنا تختلف قليلاً عن ثياب غرناطييكم التي يسمونها الجيوبه ويسميها الأسبان marlotas مرلوطة».

وتستعمل الجبة كذلك في الجزيرة. راجع بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين - ج٦ - ص٣٤٣) الذي كتبها جبه Jubba.

وتلبس الجبة في مكة المكرمة حتى أيامنا هذه - إذ ترتدي فوق البدن - وهي مصنوعة من الجوخ الخفيف - أو ن نسيج الحرير الهندي. وفي أيام الحر اللاهبة لا يرتديها الناس مطلقاً - ولكنهم يطرحونها على الأكتاف. راجع برگهارت في كتابه (أسفار في الجزيرة العربية - ص٣٣٥ و٣٣٦ - ج١) وفي المدينة المنورة حيث يرتدي الفقراء أيضاً هذا الرداء نرى الجبة مصنوعة من الجوخ (المرجع السابق - ج٢ - ص٢٤٢).

لم نتحدث حتى هذه اللحظة إلا عن جبة Djobbah ou djibbah الرجال - فيترتب علينا الآن أن نمنح بعض التفصيلات عن جبة النساء. يقول لين عن اليلك في كتابه (المصريون المحدثون - ج١ - ص٥٨): «إن النساء المترفهات يرتدين جبة من الجوخ ومن المخمل من الحرير - وهي عادة مطرزة بالذهب أو بالحرير الملون - والفرق ثيس بين هذه الجبة وبين جبة الرجال ينحصر في إنها ليست غاية في . ساع - وهذه الحالة

بادية على وجه الخصوص في الجهة الأمامية × وطولها طول اليلك». (ومعنى ذلك إنها تلامس الأرض أو إنها أطول من ذلك بنحو عقدتين أو ثلاث عقد فهي تكنس أديم الغبراء). وفي الصورة التي يعرضها لين (ج ١× ص٥٧) عن جبة المرأة - نرى أن ردنيها يكادان يبلغان حد المعصمين. ولم يمض زمن طويل على مصر يوم كان ردنا الجبة لا يصلان إلى الساعدين - كما نستطيع أن نرى ذلك في أطلس أوليفييه: (اللوحة المرقمة ٢٦ - رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس) وفي (مصور وصف مصر - ج٢ - اللوحة ٢٩٣).

والواقع إننا نقرأ لدى الكونت دي شابرول (وصف مصر - ج١٨ - ص١٣): «الجبة رداء يسبل على ثياب أخرى وللجبة ردنان غاية في القصر - وهي مبطنة بالفراء شتاء - فهي حينئذ تأخذ اسم (وجه فروة) ouech faroueh ولعل دانديني في كتابه (رحلة من جبل لبنان - ص٤٨) يتحدث كذلك عن الجبة الخاصة بنساء طرابلس - حين يقول ترتدي النساء جبة أقصر من جباب الرجال - بدل ما يدعى السپان Spain أو العباءة Abb». ويبدو أن جبة المرأة في الأزمنة القديمة كانت كذلك أقصر مما هي عليه الآن. راجع (مصور وصف مصر - ج٢ اللوحة ٢٦٦). ويتحدث ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط - ص٢١٢) عن جبة نساء بدو سورية Dshŭbbeh التي لها لون الشوكولاته عادة». ويضيف قائلاً: «إن هذا اللون عزيز على قلوب الرجال أيضاً». أما في مصر فيستبان أن السيدات كن يرتدين أيضاً جبة عصر مارمول - لأنني أرى أن العبارة التالية لهذا المؤلف تشير إلى هذا اللباس موضوع البحث (وصف أفريقيا - ج٣ - ص١١٢): «إن لهذه الصايات Las sayas هيئة الجباب التركية». (Aljubas turques) وأرى أن المؤلف يضيف ما يضيف لتمييزهن من الجباب الغرناطية المسبلة حتى الأقدام - والمشغولة من مختلف أنواع

الحرير - أو المنسوجة من الذهب أو المكفتة به. وترتدي النساء كذلك الجوخ ذا الأكمام الضيقة المطرزة بإسراف بالذهب والحرير».

وفي مصوع يلفظ الناس كلمة جبة كلفظ أهالي مصر لها. وهذا اللباس يصنع فيها من الجوخ الملون (روپل - رحلة إلى الحبشة - ج١ - ص٢٠٠). والجبة كانت شائعة الاستعمال بين التركمان. فنحن نقرأ لدى فريزر في كتابه (رحلة إلى خراسان - ص٢٦٦): «عندما يشتد البرد ترتدي النساء فوق ما يرتدين جباباً أو أردية شبيهة بأردية الرجال - وهي مصنوعة من نسيج الحرير أو من القطن المخطط». ويضيف الرحالة إلى ذلك ملاحظة: «إن الجبة هي رداء واسع فضفاض يلتحف به - وهذه الجبة لها ردنان مضغوطان على الرسغين - ولكنهما واسعان من الجهة العليا - وهي مفتوحة من الجهة الأمامية وواسعة سعة مفرطة بحيث يمكن طيها طيات عديدة حول الجسم. كما يمكن طرح هذه الجهة على الجهة الأخرى. ولهذه الجبة شبه كبير بالبيرونة الفارسية Le baroonee ولكنها تصنع عادة من الأقمشة الغليظة. والجبة الخراسانية تعمل في معظم الأحيان من الصوف الأسمر أو الضارب إلى الحمرة - وقد تصنع كذلك من وبر البعير. وهي دثار فاخر جداً - ذلك لأن حياكتها المحكمة لا تسمح بنفاذ المطر فيها بسهولة - وهي تقي صحبها كثيراً من المطر». وبعد ذلك نقرأ: «أما الفقراء من الدركة السفلى في الأدقاع فيرتدون جبة قصيرة أو قميصاً من الصوف». ونطالع كذلك: «بعضهم يرتدي الزي الوطني التركماني أو الأوزبكي الذي يقتصر على عدة أردية أو جباب تعلو الركب قليلاً وترتبط بحزام والقماش الذي تصنع الجباب منه أمشاج من الحرير والقطن مخططة بخطوط زرقاء وأرجوانية وحمراء وخضراء والأتراك يحافظون على زيهم الخاص محافظة تامة وذلك بارتدائهم الجباب المنسوجة من وبر البعير فوق ألبستهم التحتانية في معظم

الحالات». وما تزال الجبة مستعملة لدى من يدعون (Les Guèbres) من أتباع زرادشت - يسكنون في إيران والهند (راجع فريز - المرجع السابق - ص٢٢) كما بقي استعمالها لدى الأوزبكيين في شيوا Chiwa (المرجع السابق - ص٦٨). والمصريون يتمثلون بهذا المثل حتى يومنا هذا: «صقل جبته ونقش لحيته» حين يريدون أن يقولوا أن فلاناً قد استعد للقيام بإحدى المهمات. راجع (برگهارت - الأمثال العربية - ص٣٦٧). ومن هذه الكلمة العربية جبة استنبط الأسبان. Aljuba, jupa, chupa, jubon واشتق البرتغاليون Aljuba. وأحدث الإيطاليون Giuppa وGiuppone واستحدث الفرنسيون: Jupe وJupon.

الجَديل والجَديلة

حسب رأي الجوهري (ج٢ - مخ٨٥ - ١٨٨) يدعى الوشاح في معظم الأحيان جديلاً (Ceinture) - ويورد اللغوي بهذا الصدد بيتاً من الشعر نجده أيضاً في الحماسة (ص٥٥٦) - حيث يقول التبريزي أن الجديل مصنوع من قطع الجلد - وهذه القطع مبرومة على بعضها. وتستعملها الجواري والإماء فقط - ولا تستعملها النساء العربيات. أما رأى القاموس (ط كلكتا - ص١٤١١) فهو أن (الجديلة شبه إتب من أدم يأتزر به الصبيان والحيض). وإنني أشك كل الشك إن كلمة جديلة في هذا المعنى تعني نوعاً من الحزام - بل أرى أن الكلمة تشير إلى نوع من السراويل.

الجَرْبِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقص علينا ابن الخطيب في (الإحاطة - دي گايانگوس - ورقة ٣٢) عدة أمثلة على غفلة العلماء في مناسبات بسيطة للغاية - **والمؤلف يروي لنا حكاية تحكى لخياط من تونس**: قال لي أبو الحسن من قرطاجنة (وهو مؤلف المقصورة المشهور) إن المستنصر خلع على جبة جربية (كذا) من لباسه وتفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس. وأريد أن تحل أكمامها ونصيرها مثل ملابسنا. فقلت: وكيف يكون العمل؟ فقال: نحل رأس الكم ويوضع الضيق بالأعلى والواسع بالطرف. فقلت: وبما يحير الأعلى[١] فإنه إذا وضع في موضع واسع سطت علينا فرج ما عندنا ما يصنع فيها إلى أن وقعنا بغيرها. فلم يفهم. فلما يئست منه تركته وانصرفت. ونحن نرى من هذه العبارة أن الجربية تعني نوعاً من الجبة ذات الكمين. ومارمول في كتابه وصف أفريقيا (ج٢ - ص٤٠ - مجـ٤) يكتب الكلمة جريڤيا Gerivia - ولكن الوصف الذي يصف به هذا الملبوس لا ينطبق كل الانطباق مع كلمات ابن الخطيب. ويقول في وصف إقليم غزولا Gezoula - وفي مملكة مراكش: «إن الزي الاعتيادي لهؤلاء الناس ينحصر في الجربيات Gerivias الصوفية - وهي ضيقة لا أكمام لها ولا ياقة - وتنسدل حتى الركب - ويرتديها الناس فوق الجلد مباشرة».

---

(١) يخيل إليّ وجوب ترجمة الفعل يحير على هذا المنوال الذي ألفظ الكلمة به (يُحَيِّرُ). وانظر في القاموس الصيغة الخامسة لهذا الفعل. ونقرأ في الكتاب المعنون (أخبار الملوك، مخ٦٣٩ - ص١٣١)، وأمر المعتمد عبد الجليل بن وهبون أن يحير البيت الأول. وأرى من المحتم على أن حل فعل يحير محل الفعل (يجير) بحيث يكون المعنى «أمر الأمير الشاعر إجازة البيت الأول بإضافة بيت ثان».
لعل المؤلف أراد فعل (يجيز) فتوهم فكتبها (يجير) المترجم.
وقع المؤلف في وهمين. الوهم الأول إنه أراد أن يقول بوجوب إحلال فعل (يجير) محل الفعل (يحير) فقال العكس. والوهم الثاني إنه أراد أن يقول (يجيز) فقال (يجير) المترجم.

وإنني أجهل ما إذا كانت كلمة الجربية هي نفس كلمة Gerba التي ذكرها النقيب ليون في كتابه (رحلات في شرقي أفريقيا - ص٦) التي يقول عنها: «إنها قفطان ذو كمين قصيرين - وإن الناس يرتدونها غالباً بدلاً من البنيش أو البنش «Beneish».

الجَرِيد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون في كتابه (رحلات إلى الشمال الأفريقي، ص٣٩) إن العرب في طرابلس الغرب يصنفون البركانات Barracans إلى ثلاثة أصناف. فأغلظ هذه الأصناف يدعى Aba، والأرق هو الجريد Jereed أما أوسط الثلاثة فاسمه خولي Kholi. والجريد يرتدي أيضاً في مرزق، من قبل الرجال والنساء على حد سواء (المرجع السابق، ص١٧٠، ١٧١).

إن كلمة جريد هي بدون شك من أصل عربي. وإن فعل جريد يعني Scalpsit, abrasit; mundavit gossipium إن صيغة جريد بوسعها أن تعبر عن اسم المفعول، كصيغة قتيل، المشتقة من فعل قتل. فافترض إذن وجوب إضمار اسم الموصوف (بركان) وعلى وجه الاحتمال نقول كان في الماضي (بركان جريد).

الجِرْز

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٣٨٨): الجرز بالكسر لباس نسائي من الوبر ويقال هو الفرو الغليظ. كما نطالع في القاموس (ط كلكتا، ص٦٩٩): لباس النساء من الوبر وجلود الشتاء.

الجُرْمُوق

راجع كلمة سرموجة.

الجَزْويرة وجمعها الجَزاور

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، ولم أقع عليها إلا في لهجة مالطة.

ولكن توجد هذه الكلمة وجمعها جزاور في كتاب ڤاسالي، (ويميس مالطي، مجـ١١ ٣)، وقد لاحظها هذا اللغوي، وهو جمع كما نعلم، عربي أصولي صميم، مصوغ صياغة الاسم الموصوف الرباعي. وهذا ما يجعلنا نشك في أن كلمة جزويرة هي من أصل عربي، ومع ذلك فلست مؤمناً بذلك، ويخيل إليَّ إن كلمة جزويرة ليست إلا تحريفاً، قوياً بعض القوة في الواقع، للكلمة الإيطالية Guistacuore وأياً كانت الحالة، فإن الجزويرة ما زالت ترتدي حتى يومنا هذا من قبل سكان مالطة العرب. وفي كتاب فيسكيه (رحلة إلى الشرق، ص٦) يجري البحث حول الكزويرة، التنورة المفتوحة من إحدى الجهات، التي ترتديها المالطيات.

وقد تفضل أماري Amari الصقلي المولد فأعلمني أن ما يدعى في مالطة بالجزويرة هو تنورة صغيرة من النسيج المخطط بخطوط زرق وبيض ولها طيات صغيرات. وهي مفتوحة من إحدى الجهات ومشدودة بشرائط صغيرة.

الجَقْشير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي من أصل تركي جقشير، أو الوجه الأصح جاقشر وتشير إلى: بنطلون من الجوخ. ويعبر دارفيو عنها بهذه الكلمات في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم) فيقول: «تحت هذا القفطان وفوق التبان المنسوج يرتدون Chakchier أو بنطلوناً من الجوخ الأحمر نهايته من السختيان الأصفر. ويجب أن تكون هذه البنطلونات دائماً من اللون الأحمر أو الأرجواني أو البنفسجي وألا تكون أبداً من اللون الأخضر، لأن محمداً ﷺ كان يحب هذا اللون، وإن ذراريه يحملون العمامة الخضراء، والناس يعتقدون بإيذائه إذا لبسوا الثياب الملونة باللون الأخضر ولم يكونوا من أحفاده. وهم يعتبرون الفرس هراطقة بارتدائهم السراويل والتبابين الخضر». ويشرح نيبور في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ج١، ص١٥٢) كلمة Schakschîr بأنها «سروال أحمر واسع الفضفضة». ويخطئ من يقرأ شرشير في كتاب (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٧): ويفسر الكونت شابرول هذه الكلمة بأنها: «سروال شتائي من الجوخ».

الجِلْباب، الجِلِبّاب

سبقَ إن رأينا في كلمة إزار - إن كلمة جلباب قد استعملت في عبارة للبخاري بوصفها مرادفاً لكلمة إزار ونستخلص من ذلك أن الجلباب يشير إلى هذه الملحفة الهائلة - التي تلتحف بها النساء في الشرق - من الرأس إلى القدمين - حين يردن الخروج من منازلهن. والواقع أن الجوهري (ج١ - مخ٨٥ - ص٣٥) يفسر كلمة جلباب بملحفة وعلى ذلك فإن الملحفة تشير إلى ما يشير إليه الإزار. ويضيف اللغوي إلى ذلك قائلاً: قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

تمشي النسور إليه وهي لاهية   مشي العذارى عليهن الجلابيب

ولعل ابن خاقان كان ينظر إلى معنى الكلمة نفسه حين قال: (لدى هوگفليت - مقتطفات من كتاب مختلفين حول أسرة الأفطسيين المالكة والشاعر ابن عبدون - ص٤٧):

وغدا مصرعهم من نجيعهم وارس الجلباب

وتشير هذه الكلمة - حسبما ورد في القاموس (ط كلكتا - ص٥٨) إلى قميص - وإلى ثوب واسع للمرأة دون الملحفة - فهو في هذه الحالة نفس الثوب الذي يدعى هذا اليوم في مصر سبلة أو (توب) - أو هو أخيراً الخمار نفسه. وعلى كل حال فقد كان يشير قديماً إلى ثوب ترتديه النساء. ويخيل إليّ أن هذه الكلمة قد اكتسبت في الأزمنة المتأخرة مفهوماً خاصاً مختلفاً في المغرب. إذ يقرر شو Shaw في كتابه: رحلة إلى بلاد البربر والشرق (ج١ - ص٣٢٢).

«Reizen door Barbarjien en het Qoste».

إن كلمة الـJillebba تشير إلى نوع قمصلة Camisole بكمّين أو بدون كمّين - ولكنها تختلف قليلاً عن قباء Tunique الرومان. وهذه القمصلة تشد بالحزام خصوصاً في أوقات العمل وهي ترتدي تحت الحيك. وإني أعتقد إن كلمة jillebba هي كلمة جلباب العربية التي بتر منها الحرف الأخير. وقد زاد تيفنو هذه الكلمة إفساداً في كتابه (رحلة إلى الشرق - ص٥٥٣) حين كتبها Jillet. وهو يقول في معرض وصفه لمدينة تونس: «ليست ملابس البربر مشابهة تماماً لملابس الأتراك - لأنهم بدلاً من البدلة العسكرية المزركشة يرتدون قمصلة يسمونها (Camisole)». ويكتبها مؤلف (مهمة تاريخية في مراكش - ص٧١ - مجـ٢ - ص٧٢ - مجـ١ - ص٣٦٠) هكذا Chilivia - وهو يعتبرها سترة صغيرة من قماش غاية في الغلاظة. لها كمان ضيقان ومزودة بقبع كقبع الرهبان الكبوشيين مزفتة لوقاية الرأس - وهذا الثوب قصير بحيث إنه لا يتعدى الحزام».

ونقرأ في رحلة وندس (رحلة إلى مكناس - ص٢٩): «إن المغاربة الأشد ادقاعاً يرتدون لباساً يدعى Gelebia وهو مصنوع من قماش صوفي غليظ - وهذا الثوب لا أكمام له - ولكنه مزود بثقوب لإمرار الذراع فيه - وهو يتدلى حتى يبلغ الركبتين - ويلتف كيفما اتفق حول الجسم على هيئة كيس». ويكتب ريلي الكلمة في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية ص١٩٧ - ١٩٨ - ٢٤٨) هكذا Gzlabbia وهو يراها عباءة من الصوف لها كمان قصيران ومزودة بقبع كبوشي. أما على بيگ في كتابه (الأسفار - ص٢٧٨ - ج٢) فيكتب الكلمة على هذا المنوال Djilabia وهو يعتبرها قميصاً أو عباءة (Shirt or cloak) من قماش مخطط بخطوط دقيقة بيضاء وسوداء. ونطالع في كتاب گرابر دي هيسو (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية - ص٨٢) إن طبقة الدهماء في مراكش والفقراء يرتدون لباساً واحداً وهو على هيئة كيس من القماش الغليظ ويدعى Gellabïa: «وقد قورت في هذه الجلابية ثقوب من الجهة العليا ومن الجوانب لأجل إدخال الرأس والذراعين». ومن المحتمل ألا تكون هذه الكلمة قد اشتقت كلياً من كلمة جلباب - وإن هذا النوع من القمصلة Camisole أو الدراعة قد اشتق اسمه من الكلمة البربرية Thelebeh التي تعني حسب قول فنتور في كتابه (رحلة هورنمان - ج٢ - ص٤٤٠) ثوبا Habit.

الجَمّاز، الجُمّازة

إننا نجد في طبعة كلكتا للقاموس، وفي أفضل مخطوطة من مخطوطات ليدن لهذا السفر، إن الحرف الأول عليه فتحة. ولكن الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٣٨٩) ينص نصاً قاطعاً على أن: «الجمزة بالضم مدرعة صوف». ويضيف إلى ذلك قائلاً:

قال الراجز:

يكفيك من طاق كثير الأثمان جمازة شمر منها الكمان

ويرى القاموس إن كلمة جمازة تشير إلى سترة أو (دراعة من صوف) قمصلة.

Une veste ou camisole en laine.

الجُنَّة

إننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص١٧٣٤): «الجنة كل ما وقى وخرقة تلبسها المرأة تغطي من رأسها ما قبل ودبر غير وسطه وتغطى الوجه وجنبي الصدر وفيه عينان مجوبتان كالبرقع».

الجنينة

يرى القاموس (ط كلكتا، ص١٧٣٤) إن: «الجنينة هي لباس من الحرير على هيئة الطيلسان». (الجنينة مطرف كالطيلسان).

الجِنّبِل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مجـ٤، ص٢٧) إن النساء في الجزائر يضعن فوق البناقة ثلاث زينات للرأس. الزينة الثانية هي شبه عصابة (trançado morisco) موريسكية من نسيج حريري دقيق مسترسل للغاية وهو يشبه ما يسمى Cendal ويكون عادة ملوناً. وهن يلففن هذه الزينة حول رؤوسهن كما هي حالة الزينة الأولى

تاركات الأطراف مسبلة فوق الأكتاف حتى موضع الحزام، وهن يسمين هذا النوع من القلانس Chimbel (Este tocado).

ولا ارتاب مطلقاً في أن نساء مدينة الجزائر العربيات قد صغن كلمتهن (جنبل) من الكلمة التركية (جنبر) التي هي الكلمة ذاتها بالتمام، مع استبدال الراء باللام، وهما حرفان من نفس الطبقة والصنف. والعرب والفرس والأتراك يلفظون النون أمام الباء مثل الميم وليس مثل النون. إذن فقد أحسن دييگو دي هيدو بكتابة (Chimbel) وليس (Chinbel)[١].

الجَوْب

يفسر الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٣٧) هذه الكلمة بكلمة (بقيرة). ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص٦٠) الكلمة بأنها (درع المرأة). Une chemise de femme.

(١) يقول كوباروڤياس حول كلمة صندل Cendal (الكنز، مدريد، ١٦١١) ما يلي: قماش مصنوع من الحرير الناعم أو من نسيج الكتان الرقيق الخفيف. والذين يعتقدون بأنه مصنوع من الحرير يقولون بأن أصل الكلمة Sedal وبعد إضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal أما الذين يقولون بأنه نسيج من الكتان الرقيق فيرجحون أن أصل الكلمة هو Sindone (نص لاتيني بنفس المآل) - المترجم.

ويقول الأب Guadix بأن أصل الكلمة هو عربي مشتق من الاسم العربي صندالي Cendali والذي يعني غالباً الورق الخفيف الرقيق، وهو الاسم الذي يطلقه العرب على الحرفي الذي يقوم بطرق صفائح الذهب الرقيقة، وهو في الأسبانية Batihoja أي طارق الأوراق (الصفائح الذهبية). (ترجمة لويس رومانوس).

الجُوخَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن دونكم باديء الأمر مقالة شائقة للمقريزي (وصف مصر، ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٠): «سوق الجوخيين: هذا السوق يلي سوق اللجميين. وهو معد لبيع الجوخ المجلوب من بلاد الفرنج[١] لعمل المقاعد[٢] والستائر وثياب السروج وغواشيهم[٣]. وأدركت الناس وقل

(١) لعل البلد المصدر الرئيس هو البندقية. راجع سيلفستر دي ساسي في كتابه، طرائف عربية ح١، ص٨٧.

(٢) المقاعد تعني الصفف. لأنني أقرأ في كتاب نادر للغاية اقتنيت الجزءين الأول والثاني منه (الجزء الثالث نادر) وعنوانه:

(Les Voyages du sieur de la Moraye en Europe, Asie et Afrique, tom. I, pag. 85:

«إن الصمة هي مصطبة مصنوعة من الألواح الخشبية، وترتفع عدة أقدام عن الأرض وتستند إلى الحائط وتوضع فوقها المنادر، وهي حشايا مغطاة بقطع من الأقمشة واسمها مكات Maccattes، ولها وسائد مغطاة كذلك ومستندة إلى جدار الغرفة لتتكيء عليها الظهور وقد التفت الساق بالساق، كما يصنع الخياطون.

إن كلمة مكات Maccattes التي أوردها هذا الرحّالة تعني بلا ريب كلمة مقاعد التي ذكرها المقريزي.

(٣) من العبث كل العبث أن نتحدث عن كلمة غاشية، بعد أن أفاض في شرحها العلاّمة الجليل كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ح١، ص٤ - ٧، ق١) فقد اغترف بشأن هذه الكلمة من كنوزه الغزيرة ما لا قبل لنا بمباراته. ولكن هناك كلمة أخرى تدل كذلك على غطاء يوضع على ظهر الحصان أو البغل، وكان يصنع في الغالب من الجوخ، فيتحتم عليَّ أن أقول بعض الكلمات عن هذا الغطاء. أريد أن أتحدث عن كلمة زناري. فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة) وهو يتحدث عن القضاة: ومراكبهم البغال. ويعمل بدلاً من الكنبوش الزناري. وتقابل كنبوش الكلمة الفرنسية لاهوس La housse. وأن المستشرق دي ساسي الذي نشر هذا النص في كتابه المنوه به -

ما تجد فيهم من يلبس الجوخ وإنما يكون من جملة ثياب الأكابر جوخة لا تلبس إلا في يوم المطر. وإنما يلبس الجوخ من يرد من بلاد المغرب. والأفرنج وأهل الاسكندرية وبعض عوام مصر. فأما الروؤساء والأكابر والأعيان فلا يكاد يوجد فيهم من يلبسه إلا في وقت المطر. فإذا ارتفع المطر نزع الجوخة. وأخبرني القاضي الرئيس تاج الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد بن عبد الوهاب بن الخطباء المخزومي خال أمي رحمه الله قال: كنت أنوب في حسبة القاهرة عن القاضي ضياء الدين المحتسب فدخلت عليه يوماً وأنا لابس جوخة لها وجه صوف مربع فقال لي: وكيف ترضى أن تلبس الجوخ؟ وهل الجوخ إلا لأجل البغلة؟ ثم أقسم عليّ أن أخلعها. وما زال بي حتى عرفته إني اشتريتها من بعض تجار قيسارية الفاضل. فاستدعاه في الحال ودفعها إليه وأمره بإحضار ثمنها. ثم قال لي: لا تعد إلى لبس الجوخ استهجاناً له. فلما كانت هذه الحوادث وغلت الملابس دعت الضرورة أهل مصر إلى ترك أشياء مما كانوا فيه من الرقة وصار معظم الناس يلبسون الجوخ فتجد الأمير والقاضي ومن دون من ذكرنا لباسهم الجوخ. ولقد كان الملك الناصر

= (ج٢، ص٢٩٧) - راجع كذلك تعليقه، ص٢٧٠ - قد توهم في طبع الكلمة هكذا (زنادي) في حين إنها (زناري) وهي موجودة في مخطوطتي ليدن لكتاب السيوطي (مخ١١٣، ص٣٥٤ ومخ٣٧٦، ص٤٦٠)، ولا مرية أن الشك قد انقطع استناداً إلى النص التالي لمخطوطة بخط النويري نفسه (تاريخ مصر، مخ١٩ب، ص١٢١) حيث نقرأ: أنعم عليه ببغله بسرج وزناري جوخ. وقد قرأت في جزء آخر من نفس الكتاب (مخ٢، ص١١٦): وركب فرساً أشهب من مراكيب السلطان بزناري أطلس أحمر بدائر أصفر برقبة سلطانية مزركشة وسرج سلطاني محلى بالذهب.

راجع بركهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين، ص١٢١).

راجع كذلك حول كلمة رقبة تعليق «كاترمير» في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ح١، ق١، ص١٣٥».

فرج ينزل أحياناً إلى الأسطبل وعليه ممجون من جوخ. وهو ثوب قصير الكُمين والبدن يخاط من الجوخ بغي بطانة من تحته ولا غشاء من فوقه. فتداول الناس لبسه واجتلب الفرنج منه شيئاً كثيراً لا توصف كثرته. ومحل بيعه بهذا السوق».

قبل إيراد ترجمة هذا النص للمقريزي، أرى لزاماً عليَّ أن أحملكم على ملاحظة أن كلمة جوخ، التي اشتقت منها كلمة جوخة، هي الكلمة التركية جوقة التي تشير إلى الجوخ. ولعل الكلمة اليونانية الحديثة روخن مدينة بأصلها إلى هذه الكلمة التركية.

وتوجد كلمة جوخة في هذا النص للنويري (تاريخ مصر، مخـ٢، ص١٩٢): ولبس السلطان جوخة مقطعة. هذا النص الذي يبدو منه أن المقريزي نسخه عنه في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٦٣). كما إننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخـ٣٦٧، ص٣٧): قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه. ويفسر كانيس في كتابه (ص١٧١، نحو عربي أسباني) الجوخة بأنها لباس من الجوخ شبيه بالرداء الفرنسي الردنكوت «Redingote».

الجُوذِياء

يرى القاموس (ط كلكتا – ص٤٣٦) إن الجوذياء هي (مدرعة من صوف للملاحين).

الجَوْرَب

تدل هذه الكلمة – حسب رأي القاموس (ط كلكتا – ص٥٦) على (لفافة الرجل).

وأعتقد أن النص التالي للرحالة نيبور في كتابه (رحلة إلى البلاد العربية ج١ - ص١٥٣) بوسعه أن يلقي ضوءاً أو بعض الضوء على هذا التفسير. يقول الرحالة: «إن الشرقيين يلفون أقدامهم وسيقانهم بخرق صوفية كبيرة - وفوق هذه اللفافات يلبسون خفافهم الواسعة. وعلى ذلك فإن خطواتهم ثقيلة - ولكن هذه الخرق تدفىء أكثر مما تدفىء جواربنا. فإذا تبللت هذه الخرق مرة - فإنها لن تدفىء بعد ذلك إلا قليلاً - وعلى نقيض ذلك - فإن هذه اللفافات يمكن أن توضع حول السيقان بشكل يختلف عن شكل الأمس».

ويرى ابن بطوطة (الرحلة - مخـ دي گايانگوس - ص٤٧) إن المسلمين يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحماية أقدامهم من الحرارة اللاهبة.

ويفسر پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه الكلمات Calças de muger بأنها جورب. ولعله يستعمل كلمة calças لا بمعنى تبان Caleçon أو سروال Culotte وإنما بمعنى جوارب Medias calzas, bas.

المِجْوَل

يظهر أن هذه الكلمة تشير إلى ثوب صغير للمرأة. فنحن نقرأ لدى الجوهري (ج٢ - مخـ٨٥ - ص١٩١): «المجول ثوب صغير تجول فيه الجارية». ويستشهد اللغوي في هذه المناسبة بالشطر التالي من معلقة امرىء القيس: (الطويل):

إذا ما اسبكرت بين درع ومجول[1]

(١) الشطر الأول من هذا البيت هو: إلى مثلها يرنو الحليم صبابة. =

والدرع هو قميص المرأة الكبيرة والمجول هو قميص المرأة الصغيرة.

ويرى الفيروزآبادي (القاموس - ط كلكتا - ص١٤١٨) إن هذه الكلمة تشير إلى (ثوب للنساء وللصغيرة). وكان العرب القدامى يستعملون هذا الثوب في لعبة الميسر. ويقول النويري أنه (ثوب أبيض). راجع راسموسين Rasmussen ذيل تاريخ العرب قبل الإسلام - ص٦٨ من النص العربي.

الحِبَرَة

تدل هذه الكلمة على نوع من البرد - مصنوع في اليمن - ومعنى ذلك أن الحبرة هي رداء واسع مخطط. ولذلك استطاع أحد الشعراء (اليتيمة - مخ لي Lee ص١٤) أن يقول وهو يتلقى كتاباً من أحد الأصدقاء (البسيط):

وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر
كأنما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشى أو ثوباً من الحبر[1]

= راجع شرح معلقة امرىء القيس للزوزني والشنقيطي والتبريزي وغيرهم (المترجم).

(١) إن كلمة وشى تشير إلى نوع من القماش الثمين. فالإدريسي (الجغرافية - ج٢ - ص١٦٨) يعلمنا أن هذا القماش كان يصنع في أصفهان. وفي نص لابن سعيد ذكره المقري (تاريخ الأندلس مخ غوتا - ص٤٠) نقرأ: فقد اختصت المرية ومالقة ومرسية بالوشي المذهب الذي يتعجب من حسن صنعته أهل المشرق إذا رأوا منه شيئاً. وفي تاريخ العباسيين للنويري (مخ٢ - ص١٥٠) ورد ذكر وشي اليمن ووشي قرمز. وهذه الكلمة الأخيرة تنم على إن الوشي هو نوع من (الأسقلاط - القرمزي - الأرجواني (écarlate) والكلمة تدل كذلك على لباس ملون. وبوسعكم - للتعمق في هذا الموضوع - مراجعة الجزء الأول من كتابي:
(تاريخ بني عباد ص٨٦ - ٨٧ - ت٧٥٣).

وهكذا نرى أن الشاعر هنا ينظر أمامه إلى رياض تتفاوح بالأزهار وتتماوج بالألوان - فيشبهها بالملابس المخططة الملونة المسماة بالبرود والحبر.

ونحن نقرأ في صحيح البخاري (ج٢ - مخ٣٥٦ - ص١٦٨) في باب البرد والحبرة والشملة - الحديث التالي - حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن أنس عن قتادة. قال: قلت له أي الثياب كان أحب إلى النبي ﷺ؟ قال: الحبرة. ونقرأ كذلك في الباب نفسه أن المرأة التي كانت عزيزة على قلب الرسول - وهي عائشة - قالت: إن رسول الله ﷺ حين توفي سجى ببرد حبرة.

واستناداً إلى الكتاب المعنون: عيون الأثر (مخ٣٤٠ - ص١٨٨) نعلم أن الرسول ترك فيما ترك حين توفي ثوبي حبرة. ويظهر أن هذه الثياب ما كانت تصنع إلا في اليمن (الجوهري - ج: - مخ٨٥ ص٢٧٦ - والقاموس ط كلكتا - ص٤٩١». ويتحتم عليَّ أن أعترف بجهلي بما يميز الحبرة من البرد.

وفي العصور الحديثة أصبحت هذه الكلمة تدل على شيء آخر مختلف كل الاختلاف. إذ لما شعرت نساء مصر أن الإزار أصبح مزرياً بشموخهن شرعن بارتداء هذا الرداء الحريري - أو المصنوع من التفتا أو من الشال وخلعن عليه اسم الحبرة - هذه التسمية الموجودة في كتاب (وصف مصر - ج١٨ - ص١٤٤) وبوسعنا رؤية هيئة هذا اللباس في الأطلس (ج١ - اللوحة ٤١).

ونحن نرى في اللوحة العشرين من (رحلة ويتمان في تركيا الأسيوية وسورية ومصر - ص٣٧٤):

(Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt).

«إن النساء يرتدين رداء أسود واسعاً يغطي على وجه التقريب كل

الجسم ويتدلى حتى العقبين». ونقرأ في كتاب تيرنر - ص٣٩٦ - ج٢ (Turner, Journal of a Tour in the Levant) إن الميسورات الحال - سواء كن مسلمات أو مسيحيات - يستترن - لدى خروجهن من مساكنهن - برداء واسع من الحرير الأسود». **وأخيراً إليكم الوصف الدقيق للحبرة** - الذي يعرضه لنا لين في كتابه (المصريون المحدثون - ج١ - ص٦١): «إن حبرة المرأة المتزوجة تتألف من عرضي قماش من الحرير الأسود الملمع وكل عرض من هذين العرضين عرض ذراع وطوله ثلاث أذرع - وهما مخيطان معاً فوق طرفي القماش أو قربهما (حسب ارتفاع القامة) - في حين أن الخياطة موضوعة بصورة أفقية بالنسبة للهيئة التي يرتدي بموجبها هذا اللباس. وهناك قطعة دقيقة من شريط أسود مخيطة داخل الجزء العلوي - على بعد نحو ست بوصات من الجانب - لتكون ملفوفة حول الرأس. - أما الأوانس فيرتدين حبرة من الحرير الأبيض - أو حبرة من الشال». أما في أيامنا هذه فإن الحبرة ما زالت مستعملة في الجزيرة العربية - في سورية وفي الجزيرة. ويعلمنا بركهارت في كتابه - رحلات في الجزيرة العربية - ج١ - ص٣٣٩ (Burckhardt: Travels in Arabia) إن نساء مكة يرتدين الحبرة الحريرية السوداء الفضفاضة - كما ترتديها نساء سورية ومصر». ويؤكد بكنكهام - في كتابه - رحلات في بلاد ما بين النهرين ج١ - ص٩٢ Buckingham: Travels in Mesopotamia إن نساء ديار بكر يرتدين أحياناً خماراً واسعاً من الحرير الأسود - كما هي العادة في القاهرة بين نساء الطبقة المرفهة».

الحَرِيم، الإِحْرام

نحن نعلم أن كلمتي حريم وإحرام تشيران إلى نوع من القماش يستعمله المسلمون أثناء تأدية فريضة الحج إلى مكة المكرمة. ومع ذلك

فإن كلمة إحرام لا وجود لها في القاموس بهذا المعنى. ويرى وايلد في كتابه (وصف رحلة أسير مسيحي، ص٦٤) إن «الإحرام Ehram هو قطعة من الشعر». وبمقدورنا رؤية هيئة الإحرام Ihrâm في الجزء الثاني من كتاب (صورة عامة للامبراطورية العثمانية لمرجى دوسون Mouradgea d'Ohsson.

وأخذا بوجهة نظر أحد شراح الحريري (المقامات، ص٢٥٥) تشير كلمة إحرام كذلك إلى: نوع من غطاء الرأس شبيه بالمئزر (راجع هذه الكلمة) الذي يستعمله عرب أسبانيا وأفريقيا. والواقع أن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يؤكد كذلك أن كلمة إحرام تدل على نوع من أغطية الرأس يشبه المئزر «Toco como almyzar» وبهذا المعنى صادفته لدى ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص٤): «وسرنا إلى أن وصلنا إلى مدينة قسطنطينة. ونزلنا خارجها وأصابنا مطر جود اضطرنا إلى الخروج عن الأخبية ليلاً إلى دور[1] هنالك. فلما كان من الغد تلقانا حاكم[2] المدينة وهو من الشرفاء الفضلاء يشهر بأبي الحسن. فنظر إلى ثيابي وقد لوثها المطر فأمر بغسلها في داره. وكان الإحرام منها خلقاً. فبعث مكانه إحراماً بعلبكياً[3] وصر في أحد طرفيه دينارين من

---

(١) إن كلمة دور تشير تماماً إلى مجموعة من خيام العرب البداة. وهذه الكلمة موجودة بهذا المعنى لدى معظم الرحالين الذين طوفوا في شمال أفريقيا في مختلف الحقب.

(٢) راجع حول استعمال كلمة حاكم في المدن المغربية، لمپريير في كتابه (رحلة إلى مراكش، ص٢٥٦). وراجع أيضاً كرابردي همسو في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية، ص٢١١) إذ يكتب الكلمة هكذا Hhakem راجع كذلك:

Charant (Letter in answer to divers curious questions, pag. 15, 52, 53).

وارجع أيضاً إلى توريس في كتابه (قصة الشرفاء، ص١٩٣، ٢٥٩).

(٣) معنى ذلك: من القطن البعلبكي الأبيض. راجع التعليقات في مادة بغلطاق.

الذهب، فكان ذلك أول ما فتح[١] به عليَّ في وجهتي[٢]. وبوسعنا أيضاً مراجعة النص التالي لرحالتنا الوارد في (ص٤٠).

الجِزّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

---

(١) الترجمة الحرفية: «الفتوح الأولى التي تلقيتها». وحسب رأي مؤلف كتاب (التعريفات) إن كلمة فتوح تعني: «إحراز شيء من جانب لا يتوقع إحراز شيء منه. راجع تعليق سيلفستر دي ساسي في كتابه (تعليقات ومقتبسات، ح٧، ص٣٣٦). والكلمة تشبه كلمة الصدقة لدينا (Aumône)، لأن ابن بطوطة يقول في مكان آخر (مخ، ص١٤٠) وهو يتحدث عن الفقراء: «وعيشهم من الفتوح». كما يقول كذلك (ص٧٧): يعيشون من فتوحات الناس. وإن جملة فتح به عليه الموجودة في نصنا تصادف كذلك في عبارة أخرى لابن بطوطة (مخ، ص٢٢٧). فنحن نقرأ فيه: كان يأخذ منهم مقدار ما يعطي الفقراء. ويقول لمن أخذ ذلك منه: اقعد حتى تأخذ أول ما يفتح به عليَّ في ذلك اليوم. (كان يتلقى الهدايا الصغيرة من صغار الخبازين والفاكهانيين).

(٢) إن كلمة وجهة تعني رحلة، سفرة. فنحن نقرأ في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ، ص١٠٠): «وفي هذه الوجهة توفيت». وبعد ذلك (ص١٣٨) نقرأ: «وسافر أيضاً معه في هذه الوجهة أمامه». ودونكم هذا البيت، الوارد في إحدى مخطوطات كتاب ابن خاقان (قلائد العقيان، مخ٣٥، ص١٥) شاهداً على ذلك وهو لابن اللبانة (البسيط):

وإن تكن وجهتي من فوق مذهبه فليس تضرب في وجهي الملمات

ونجد في كتاب (مطمح الأنفس لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك، ص٨٤): «نشأت له ريح صرفته عن وجهته». وفي الإحاطة لابن الخطيب (مخ دي گايانگوس، ص٥٤): «ولما انصرف من وجهته أعادهما معه قافلاً إلى مراكش». وفي رسائل نفس الكاتب (مخ١١، ص٦): «استفهم عن سبب وجهته». وفي رحلة خالد بن عيسى البلوي (مخ غوتا، ر١١٥٤، ورقة ٢) (الوجه) نقرأ: الرحلة الحجازية، وذكر معاهد الوجهة المشرقية.

ونحن نعلم أن حزة تدل في اللغة العربية على الباكية[١] حيث مجرى التكة. ومعنى ذلك الحزام الذي يستعمل لربط التبان. وقد اكتسبت كلمة حزة في مالطة وجمعها حزز مفهوماً أشد اتساعاً، إذ إنها في أيامنا هذه تشير إلى التبان مع التكة أو الحزام. راجع ڤاسيلي في كتابه (مجـ٢٦٢ قويميس مالطي).

الحِزام

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

وتشير كلمة حزام في مصر إلى الزنار الذي يشده الرجال فوق القفطان، والذي تشده النساء فوق اليلك أو فوق الأنطاري. يقول الكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨) واصفاً زي الرجال: «الحزام مصنوع من الموصلي ومن الصوف أو من الحرير، وهو يشد فوق القفطان». ويقول بعد ذلك (ص١١٣) وهو يصف زي النساء: (الحزام يكون في الصيف من الحرير أو من الموصلي، ويكون في الشتاء من شال الصوف الكشميري. وهو حين يربع يتدلى إلى الوراء على هيئة مثلث». ولم تدخل هذه الكلمة حديثاً إلى اللغة العربية. فإنني أقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخـ دي گايانگوس، ص١١٣): «أخذت بالحزام وشددت وسطي». وفي موضع آخر (١٤٦) يقول المؤلف نفسه في مقالته المهمة، وهو يفيض في اتحافنا بأعجب التفصيلات عن بلغار الفولغا: «ويأتي الباروجي وهو

(١) راجع سعد الخادم، الأزياء الشعبية، المكتبة الثقافية، ص٢٠ و٣٢. ويسمى مدار التكة كذلك حجزة السراويل. المخصص لابن سيدة، ج٤ ص٨٢، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٧هـ (المترجم).

مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير وفي حزامه جملة سكاكين في أغمادها». ونجد في كتابه ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٩٠٤): «البسه قميصاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاماً رفيعاً». ولما لم يكن لعرب مصر - حسب علمي - كلمة أخرى للإشارة إلى الحزام المعمول من القماش، الذي يشد على القفطان، فلا يريبني أي شيء مطلقاً في أن العبارات التالية تشير إلى الحزام. فنحن نقرأ في قصة پوكوك (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٧) وفوق كل الثياب (يعني الصديري واليلك والخفطان (القفطان) عدا الثوبين الفوقانيين (البنيش والفرجية والكرك) يلبسون حزاماً من الحرير أو من العنقاش (الزملوط Camelot) أو من الصوف الذي يوضع فيه سكين بغمده». أما لدى نيبور (رحلة إلى الجزيرة العربية (ج١، ص١٥٢) فتقرأ: «وفوق الأنطاري يرتدون قفطاناً. وفوق هذا القفطان يشدون أوساطهم بحزام كبير، يطوي فيه ذلذل من القفطان لاستطاعة المشي بحرية تامة، ولأجل أن يظهر الأنطاري ويبين الشكشير». الجقشير؟ Schakschîr ويقول لين أيضاً في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١) إن الزنار الذي يشده القوم فوق القفطان، الذي هو (شال ملون، أو قطعة طويلة من الشاش الموصلي الأبيض وفيه تصاوير وتهاويل) يحمل اسم حزام. وفي موضع آخر (ج١، ص٥٨) يصف هذا المؤلف حزام السيدات بهذه الكلمات: «إنه شال مربع، أو طرحة مطرزة مبطنة بقطع منحرفة، وهو يوضع كيفما اتفق وسط الإنسان، أما نهايتاه فمطويتان إحداهما على الأخرى وتتهدلان إلى الوراء».

وكلمة حزام مستعملة أيضاً في المغرب. ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص٨٣) كلمة حزام (كذا) «Cingulum ex serico vel linteo» ويكتبها گرابر هوست (المرآة، ص١٤١) هكذا: Hhazàm. ويكتبها هوست (أخبار من مراكش، ص١١٥): Hazam. وهي في

نظره: «زنار واسع من الحرير يشده الناس فوق القفطان، ويصنع في فاس، ويباع فيها بعشرين ماركاً أو بمائة مارك». وبعد ذلك (ص١١٨) يؤكد الرحالة نفسه أن النساء يشددن حزاماً على الحيك Hazem. ولا يساورني أقل ريب في أن العبارات التالية لمارمول تخص الحزام. فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف في كتابه (وصف أفريقيا، ج٢، ص٨٧، مجـ٣): «وبالقرب من هذه الحوانيت توجد حوانيت أخرى حيث تصنع الحزم الحريرية والصوفية التي تستعملها النساء. وهذه الحزم منسوجة على حبال غليظة من القنب ومزودة في نهاياتها بارمال Houpes طويلة للغاية. وهي تبرم مرتين على الجسم فتتدلى الأرمال من الجهة الأمامية أي الإقبال. وهي زينة عظيمة للنساء ويستعملها على الأخص (الأعرابيات؟) Alaravias. وفي موضع آخر (ج٢، ص١٠٣، مجـ٢): «إن نساء الأعراب، أولئك اللواتي يعشن في فاس، وكل نساء البربر، لهن عادة لبس أمثال هذه الأحزمة التي تصنع، كما سبق إن قلنا في Alcayceria، ومع ذلك فهن لا يستعملن هذه الأحزمة قط إذا لبسن الثياب المسماة المرلوطات (Marlotas) ولكنهن يستعملنها لحزم الحيكات أو الأكسية (Les haiks ou kissâs) وفي مالطة تشير كلمة حزام (Hzym) كذلك إلى زنار. راجع ڤاسيلي (قويميس مالطي، مجـ٢٦٧). ومن كلمة حزام تولد الصيغة السابقة انحزم، التي لا وجود لها في القاموس. فإنني أقرأ لدى ابن بطوطة (مخـ دي گايانگوس، ص١٢٠): «وكل واحد منهم منحزم».

المِخْشَأ، المِخْشاء

لا وجود لجمع هذه الكلمة (المحاشي) في القاموس، طبقاً لرأي الجوهري (ج١، مخـ٨٥، ص٦). ويقول اللغوي نفسه: «تشير هذه الكلمة استناداً إلى رأي أبي زيد إلى كساء غليظ». ونقرأ في القاموس

(ط كلكتا، ص١٣): «والمحشا كمنبر ومحراب كساء غليظ أو أبيض صغير يتزر به أو إزار يشتمل به». راجع بهذا المعنى للإزار المادة التالية.

الحَشِيَّة، المِحْشى، المِحْشاة

تشير الكلمتان الأولى والثانية إلى ما يدعى بالفرنسية une tournure عظامة وكذلك إلى ما تضعه المرأة على ثديها لتظهره أضخم. فنحن نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص١٨٦٣): «مصدغة تعظم بها المرأة ثديها أو عجيزتها». ونطالع في الجوهري (ج٢، مخ٨٥، ص٤٢٣): «الحشية واحدة الحشايا. والمحشى العظامة تعظم بها المرأة عجيزتها» قال الشاعر:

جُمّاً غنيات عن المحاشي

ولكننا نقرأ كذلك لدى اللغوي نفسه: قال الأصمعي: «المحاشي أكسية خشنة واحدها محشاة». وعلى ذلك فيبدو أن كلمة محشاة كانت تدل على لباس غليظ. والواقع أنه يمكننا أن نستخلص من عبارة للمقري (نفح الطيب، مخ غوتا، ص٣٧٣) إن الثوب المسمى محشاة، والجمع محاشٍ، كان يلبس في الأندلس من قبل عامة الشعب (المحاشي ثياب العامة).

الحَقَّب، الحِقاب

هاتان الكلمتان مفسرتان في القاموس (ط كلكتا، ص٦٩) على هذه الشاكلة: «شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطه». وقد رأينا آنفاً (ص٧١، مادة البريم) إن شارح جرير يفسر كلمة البريم بكلمة الحقاب.

الحَقو، الحِقْو، الحقاء

يرى برگهارت Burckhardt في كتابه (ملاحظات حول البدو، ص٢٨ Notes on the Bedouins) إن كلمة حقو تشير لدى العنزيين Anazis إلى نفس ما تشير إليه كلمة بريم لدى أهل الشمال، راجع كلمة بريم. ويرى القاموس (ط كلكتا، ص١٨٦٥) والتبريزي (شرح الحماسة، ص٧٩٣) إن كلمة حِقو أو حَقو تشيران كذلك إلى الإزار، ومعنى ذلك الإشارة إلى نوع من التبان تستر به العورة.

الحُلَيّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٦٩) إن القوم يسمون نوعاً من القماش الصوفي الأسمر الداكن حللية، وهو الذي تستعمله النساء في الأصقاع الجنوبية من مصر العليا، لا سيما ما وراء اخميم. فهن يسترن به أجسادهن ويشددن أطرافه العليا بعضها فوق بعض، على كل كتف، انظر هيئة هذا اللباس في كتاب لين، ج١، ص٦٨.

الحَوْر

يقول القاموس (ط كلكتا، ص٥٠٣): الحور ما تحت الكور من العمامة. (فهل الحور طاقية أم طربوش)؟

الحَوْف

ليس بوسعي إضافة أي شيء إلى التفاصيل التي أوردها فريتاگ Freytag حول هذه الكلمة. والجوهري (ج٢، مخ٨٥، ص٦٩) يقول: الرهط وهو جلد يشق كهيئة الإزار تلبسه الحائض والصبيان.

أما بقية التفصيلات التي نقرؤها في المعجم فهي مستعارة من القاموس.

الحِياصة وجمعها الحَوائص

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها تشير إلى حزام. وكاترمير في (تاريخ السلاطين المماليك ج١، ق١، ص٣١) هو الذي استنبط هذا المعنى من الكلمة، وذلك بإيراده طائفة من العبارات لمؤلفين عرب ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. ومن العبث ذكر أمثلة أخرى من هذا النوع للبرهنة على الأمر نفسه، ولكن كاترمير لم يتحتم عليه أن يؤلف كتاباً خاصاً موضوعه أسماء الملابس لدى العرب. إذن لن يضيره ولن يسوءه، وأنا واثق من ذلك كل الوثوق، إذا أضفت هنا بعض التفصيلات إلى تعليقاته القيمة. وما دام المقريزي يقول أن الحياصة هي ما كان يسمى قديماً بالمنطقة، فإنني سأجعلكم تلاحظون إن هذا النوع من الحزام كان دائماً من الفضة أو من الذهب. ولن تقرأوا أبداً عن حياصة أو عن منطقة كانت من الجلد أو من قماش من الأقمشة. وإليكم الآن التفصيلات التي هيأها لنا المقريزي في كتابه (وصف مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٢).

سوق الحَوَائِصيين

«هذا السوق يتصل بسوق الشرابشيين. وتباع فيه الحوائص. وهي التي كانت تعرف بالمنطقة في القديم. فكانت حوائص الأجناد أولاً أربعمائة درهم فضة ونحوها. ثم عمل المنصور قلاوون حوائص الأمراء الكبار ثلثمائة دينار والأمراء الطبلخانة[١] مائتي دينار ومقدمي الحلقة من مائة وسبعين إلى مائة وخمسين ديناراً. ثم صار الأمراء والخاصكية[٢] في الأيام الناصرية وما بعدها يتخذون الحياصة من الذهب ومنها ما هو مرصع بالجوهر. ويفرق السلطان في كل سنة على المماليك من حوائص الذهب والفضة شيئاً كثيراً. وما زال الأمر على ذلك إلى أن ولي الناصر فرج. فلما كان في أيام الملك المؤيد شيخ قل ذلك. ووجد في تركة الوزير الصاحب علم الدين عبد الله بن زبنور لما قبض عليه ستة آلاف حياصة وستة آلاف كلوتة جهاركس[٣]. وما برح تجار هذا السوق من بياض[٤] العامة. وقد قل تجار هذا السوق في زمننا وصارت أكثر حوانيته يباع فيها الطواقي التي تلبسها الصبيان وصارت الآن من ملابس الأجناد».

ويتحتم عليَّ كذلك أن ألاحظ أن الحياصة كانت تستعمل أيضاً لدى النساء. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٧٣٦):

---

(١) راجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٧٣.

(٢) رجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص١٥٨، ١٥٩.

(٣) الكلوتات الجركسية ذكرها المقريزي، وأوردها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ص١٣٨، ق١، ج١).

(٤) هذا المعنى لكلمة بياض لا وجود له في القاموس. وستجدون مثالاً آخر في تعليقه على مادة قباء.

وفي وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر. ونقرأ في موضع آخر (ط مكناگتن، ج٢، ص١٠٦): فسحبت من حياصتها.

الحَيْك أو الحائك

لا وجود لهاتين الكلمتين في القاموس. ومع ذلك فإنني أعتقد أنهما من أصل عربي وأنهما مشتقتان من الفعل حاك Tisser تيسيه.

يقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج٢، ص٤، مجـ٢) في معرض حديثه عن بربر ولاية حيحه Héha أشد ولايات مملكة مراكش غربية: «إن النساء يرتدين نوعاً من الإزار (Unos alquiceles)، وهذا الرداء اسمه حيك (Hayque quellaman hayques)، وهو مصنوع على هيئة ملاحف (Almalafas) غرناطة، ولكنه محروم من نعومتها». ويقول المرجع السابق نفسه بعد ذلك، وهو يصف السرر والمنامات (Camas): «بدلاً من شراشف السرر (Savanas) يفرشون أحد هذه الأزر التي يسمونها كما قلت (حيك) Hayques وفي موضع آخر (ج٢، ص٨٣، مجـ٢) يقول واصفاً مكناس: «والنساء يتجولن ملفوفات لفاً تاماً ببعض الأزر البيض. (Con unos alquiceles) الفضفاضة بإفراط، المصنوعة من الصوف والمسماة Hayques بحيث لا يستطيع أحد رؤية وجه إحدى النساء». وأخيراً (ج٢، ص١٠٢، مجـ٣) نجده يتحدث عن سواد الناس في فاس فيقول: «أما أولئك اللواتي لسن غنيات كفاية بحيث يستطعن شراء الثياب (Sayos) فإنهن يرتدين الأزر التي يلتففن بها: De aquellos alquiceles) .rebueltos al cuerpo)

ويقول دييكو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، مجـ٢، ص٢٨) عن نساء مدينة الجزائر إنهن يرتدين إزاراً بيضاً لدى خروجهن من منازلهن

(Unos mantos blancos) وهذه الأزر مفرطة الفضفضة، وهي مصنوعة من الصوف الناعم أو منسوجة من الصوف والحرير، وهن يبذلن ما في أطواقهن لجعلها غاية في البياض بفضل بذل الصابون بسخاء، كما يعطرنها بالكبريت وبأشياء أخرى. وهن يسمينها Alhuyque الحيك. وهذه الأزر هي كالملاحف التي سبق لنا أن تحدثنا عنها، أو هي شبه قطعة من الجوخ طولها نحو ثلاثين شبراً وعرضها أربعة عشر أو خمسة عشر شبراً. والنساء يلتففن بهذه الأزر ويعلقن أحد أطرافها على الصدر بمعونة بعض الأبازيم أو الدبابيس الكبيرة المعمولة من الفضة المذهبة، وهن يطرحن جماع الإزار على الأكتاف والرأس، أما الجانب الآخر، وهو الطرف التحتاني فإنهن يسترن به الذراع اليمنى. وعلى هذه الطريقة يختفين اختفاء تاماً بحيث لا يبقى لهن إلا المجال الضروري لاستطاعة مواصلة السير. وهكذا فإن هذه الأزر تشبه بعض الشبه الUne bourguinotte وهو القناع الكامل الذي كان مستعملاً في نهاية القرن الخامس عشر وفي نهاية القرن السابع عشر، حين كان يرتديه رجال السلاح. وعلى هذه الصورة يدرجن في الدروب مختبئات في أزرهن اختباء تاماً بحيث أن أزواجهن أنفسهم لا يستطيعون تشخيصهن، اللهم إلا من أسلوب مشيتهن أو عن طريق صواحبهن أو مرافقتهن».

ونجد بعد ذلك دييگو دي هيدو (ص٢٨، مجـ٣) يقول عن الإماء: «إنهن يرتدين نفس الأزر (Los mismos mantos) التي ترتديها سيداتهن، ولكن أزرهن ليست على درجة جمال أزر مالكات رقهن» ويتحفنا داپر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مجـ٢، ص٢٣٩) بتفاصيل قيمة عن الحيك Le hayk، خلال وصفه لأزياء سفراء ملك مراكش وفاس، الذين جاؤوا إلى امستردام عام ١٦٥٩. **وإليكم ما يقوله**: «كان إبراهيم مانيتو يلف حول جسمه ثوباً أبيض محوكاً من

الصوف المرسل، المملوء بنذف القطن من الجانبين، ويبلغ طول هذا الثوب ما بين خمس أو ست أذرع، أما عرضه فذراع ونصف ذراع، وهذا هو اللباس الاعتيادي للرجل والمرأة في هذا البلد، ولكنه يرتدي أكثر ما يرتدي لدى خروج صاحبه من منزله. وأهل مراكش يحسنون تفصيله وتكفين الجسم به بهيئات مختلفة، وهم يسمونه باللغة العربية الحيك، كما يسمونه كساء Kissa. وتتدلى من الأسفل خيوط مبرومة على الأكثر أو قياطين مغزولة بالمغزل، يدعونها مرسلة فيه أثناء الحياكة، وتدعى لديهم (هدو (Hudou)) ويقول داپر بعد ذلك (ص٢٤١ - مجط١) إن أحد خدم السفراء كان يرتدي حيكاً فضفاضاً مصنوعاً من قماش أسود غليظ». ويكتب جارنت في كتابه (رسالة جواباً على مختلف الأسئلة الغريبة، ص٤٠ و٤٠) عن الحيك Alhaique فيفسر هذه الكلمة بأنها: «إزار من الصوف الأبيض، يبلغ طوله أربع أو خمس أذرع وعرضه يصل إلى ذراع ونصف الذراع. ويكتب رولان فريجوس عن الحيك Haicque في كتابه (رحلة إلى موريتانيا، ص٤٤) ويفسر هذه الكلمة بأنها إزار. ويتحدث كذلك سان أولور في كتابه (الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص٩٠، ٩٢، ٩٤) عن هذا الإزار الذي يسميه haick. ويكتب موت كلمة حيك هكذا: Haique في كتابه (قصة غزوات مولاي رشيد، ص٣٨١، ٣٨٤) وفي الكتاب المعنون (مهمة تاريخية في مراكش، ص٥١٩، مجـ٢) يتحدث مؤلفه عن كلمة Xayque. ويكتب وندس الكلمة هكذا: Alhague في كتابه (رحلة إلى مكناس، ص٢٨، ٣٠، ٥٧). ويتحدث شوايضا في كتابه (رحلات إلى بلاد البربر والشرق، ج١، ص٣١٩) عن هذا اللباس. ويكتبه Hyke ويقول أن طول هذا الثوب في العادة ثماني عشرة قدماً وعرضه خمس أقدام. ويضيف إلى ذلك أن العربي يرتديه أثناء النهار ويستعمله كغطاء سواد ليلته. ولكن

دونكم الوصف الدقيق لهذا اللباس الذي هيأه لنا هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٥، ١١٦). «يلبس الرجال في مراكش وفارس حيكا Haik فوق القفطان، وهو يحتوي على قطعة من القماش الصوفي الأبيض، يبلغ طوله عادة سبع أذرع ويصل عرضه إلى ثلاث أذرع. والجميع يلتفون بهذا الإزار ابتداء بالملك وانتهاء باهون مراكشي، وهذا الارتداء يكون على أنماط مختلفة: ومع ذلك فإن أشيع هذه الأنماط هو وضع الحيك على الرأس وطرح نهايتيه على الكتف اليسرى، كما بوسعنا أن نراه في اللوحة الثانية عشرة، الصورة الأولى.

أما لدى المثول بين يدي الملك فيجب نزعه عن الرأس، ويجب وضع عقدة فيه تدعى Achâ Errua اخط الروة[١].

وهذا اللباس عميم الفائدة على الفقراء بوجه الخصوص. فبصرف النظر عن إمكانهم الاستغناء عن الملابس الأخرى فإنهم يستعملونه بدلاً من دثار السرير أو شرشفه ليناموا فوقه، علاوة على أنهم يستعملونه استعمال الكيس، حين يكون لديهم ما يحملونه. كذلك يمكن استعماله كمنديل يتمخطون فيه وينشفون به الأنوف، وأخيراً يمكن استعماله ثوباً للصيد يستطيعون الصيد فيه لتزجية الوقت، خلال ساعات دون أن يضايقهم شيء. ولكنه يضايقهم أثناء العمل، لأنه يربك اليدين في كل لحظة ويسقط بصورة مشوشة. فترتب على ذلك أنهم يخلعونه عادة أثناء هذه الحالات ليسلم من الاتساخ». ويقول نفس الرحالة في موضع آخر (ص١١٩): «والنساء أيضاً يرتدين لحِيَك، ولكن بشكل آخر مختلف عن شكل الرجال. فهن يشددنها إلى الصدر بأبازيم من الفضة يسمينها (بسيم)

---

(١) أعتقد وجوب كتابة عقد الرواء، لأن كلمة رواء تبدو لي إنها تشير إلى عقدة. راجع (الكالا) حول: Lazo de çapatos.

وبختفية Chetfia وبينهما سلسلة. ومعظم النساء يرتدين هذا الحيك فوق الجسم العاري. أما الفتحات فمن الجوانب، وإذا أرادت امرأة إرضاع طفلها فإنها تخرج حلمة ثديها من هذه الفتحة، وهذا الوضع ملائم كل الملائمة للطفل الذي تحمله أمه على ظهرها، وعلاوة على ذلك فإن النساء هنا ذوات حلمات كبيرة للغاية، ما دمن يافعات».

ويخبرنا المؤلف نفسه بأن بعض النساء يرتدين: ١ - القميص ٢ - القفطان ٣ - المنسرية ٤ - الحيك مع الحزام[١].

(١) هذه الكلمة لا تكتب هكذا (بسيم) ولكن (ابزيم) والجمع برائم، وهي تشير بكل تأكيد إلى كلمة أكراف الفرنسية. وقد رأينا آنفاً أن دييكودي هيدو يتحدث عن agrafes (Hevillas) التي بواسطتها تعلق النساء الحيك، وعلى ذلك فإن بيدرودي الكالا يترجم في كتابه (مفردات عربية) كلمة Hevilla إلى كلمة أبزيم. ويترجم دونباي في كتابه (النحو المغربي ص٨٢) كلمة Fibulae إلى كلمة بزائم، وتشير قواميسنا إلى أن كلمة أبزيم تدل على كلمة Agrafe مع حاملها.
وإنني أعتقد بوجوب كتابة هذه الكلمة (ختفية) خطفية، بالطاء، وليس بالتاء. وسأجعلكم تلاحظون أن ختف لا وجود له قط في اللغة العربية، وإن خطف على العكس من ذلك معروف وشائع، وأن الاشتقاق بجانب افتراضي أو زعمي. والحقيقة أن فعل خطف يعني Abriouit، وإن كلمة خطاف هي سنان حديدي معقوف وفي نهايته صنارة، أبزيم. وهناك كلمة عربية أخرى مشتقة من نفس هذا الأصل، وهي، مثل خطفية، لا وجود لها في القاموس. وأود أن أتحدث عن كلمة مخطاف. يرى بيدرو (مفردات أسبانية عربية) إن كلمة مخطاف تقابل: .(Anzuelo (garaveto) garavato)
قطعة حديدية معقوفة لها صنارة صغيرة، أو هي الصنارة ذاتها. والواقع أن ابن بطوطة (الرحلة مخ دي گايانگوس، ص٢٣٤) يخبرنا أن عبيد تجار الهند يحملون ما هو (عود غليظ له زج حديد وفي أعلاه مخطاف حديد فإذا أعيا ولم يجد دكانة يستريح عليها ركز عوده بالأرض وعلق حمله منه).
وكلمة مخطاف تعني كذلك عصا مسلحة من إحدى نهايتيه بقطعة من الحديد المدبب المعقوف وتعني مرساة. راجع الكالا في كلمة: pastor ـ Cayado عصا الراعي. =

وكلمة حيك أو حائك ذكرها الرحالة لمبريير في كتابه (رحلة إلى مراكش، ص٣٩، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٨٦) الذي كتب حيك هكذا Haik كما ذكرها علي بيك في كتابه (الرحلات، ج١، ص١٦، ٢٩، ٧٣، ٨٠) الذي كتب الكلمة هكذا (hhaik) وهناك عدة رحالين زاروا المغرب في أيامنا هذه أمثال ريلي (بوار تجارة السفن الشراعية الأمريكية، ص٤٠٧، ٤٩٢) وجاكسون (تقرير عن مراكش، ص١٣٨) وكرابر دي همسو (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية، ص٨١) والعقيد سكوت (يوميات إقامة في مخيم عبد القادر الجزائري، ص٥) والليدي كروفنر (رحلة بحرية في البحر الأبيض المتوسط خلال عام ١٨٤٠) فتحدثوا عن هذا اللباس وكتبوه على هذه الصورة: (Haick, hayk, hhaik haik).

الخِرْقَة

تشير هذه الكلمة إلى الثوب - أو إلى الرداء الغليظ - الذي يلبسه الفقراء - ولا سيما المتصوفة منهم في الشرق. ويقول المقري (تاريخ الأندلس - مخ غوتا - ص٢٠١) عن أحد المتصوفة إنه كان: «بركة لابسي الخرقة». وفي مخطوطة تتملكها مكتبة ليدن وتحتوي على عدة كنانيش خاصة بالمتصوفة (مخ فارسية - ١٠٣٨ - ص٢٢) نجد: در گريبان خرقة نوشته بود يا عزيز يا ستار يا لطيف يا حليم درمهان خرقة نوشته بود يا صبور يا شكور يا كريم يا عليم در دامن خرقه يا واحد يا أحد يا صمد يا فرد[١].

= راجع كذلك دوناي في كتابه (النحو المغربي العربي ص١٠٠).

(١) إن كلمة خرقة وجمعها خرق تعني كذلك: قطعة قماش. فإنني اقرأ لدى النويري (تاريخ مصر - مخ٢ - ص٢٠٤): «أعطاه - خرق كتان فرنجي مائتي ذراع». وفي

لن أترجم النص لأنه في غاية الصعوبة إيجاد كلمات فرنسية مقابلة تماماً لمختلف الصفات الإلهية التي وردت في هذا الكلام. ولكنني سأقتصر على ملاحظة إنني يخيل إلى وجوب ترجمة كلمة مهان بكلمتي (الثياب الداخلية). وستجدون لدى كلمة دلق معلومات وتعليمات أوسع عن ثوب المتأملين الشرقيين.

ويبدو أن كلمة خرقة تدل أيضاً على: «نوع من رداء يستعمله البدو. لأنني اقرأ لدى ابن جبير (الرحلة - مخ٣٢٠ - ص٧٢ - ٧٣): فمن العجب في أمر هؤلاء المائرين إنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم. إنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل. فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ويبايعونهم به ويشارونهم».

= كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن - ج١ - ص٢٠٩): «عمد إلى الخرقة وعمل منها كيساً». وفي الإحاطة بأخبار غرناطة لابن الخطيب (مخ دي گايانگوس - ص٥١): «إنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين وورق ودفاتر وخرق وآنية ومتاع وأثاث وكراع». وتعني كلمة خرقة نفس المعنى في مالطة كما تعني علاوة على ذلك سروالاً للصغار. راجع ڤاسيلي في كتابه (قويميس مالطي - مجه٢٧٩). ويسمى بائع الخرق بالخرقي. راجع المقريزي (وصف مصر - ج٢ - مخ٣٧٢ - ص٣٥٤ - ٣٥٧).

ويبدو أن ريسكه قد علق على هامش كتابه گوليوس بأن هذه الكلمة تدل على: محفظة نقود. والحقيقة إنني وجدت الكلمة مستعملة بهذا المعنى من قبل ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس - ص١٩١): «ومن عوائدهم في يوم العيد إن كل من بيده قرية منعم بها عليه يأتي بدنانير ذهب مصرورة في خرقة مكتوب عليها اسمه فيلقيها في طشت ذهب هناك».

وقد ذكر پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) صيغة أخرى من نفس الأصل تشير كذلك إلى محفظة نقود ألا وهي كلمة مخرقة.

الخُفّ

كانت الخفاف مستعملة في عهد النبي محمد ﷺ إذ يخبرنا النووي (تهذيب الأسماء، ص٣٣) إن الرسول كان هو نفسه يلبس الخفاف. ونقرأ في صحيح البخاري (ج٢، مخـ٣٥٦، ص١٦٧) إن محمداً حرم على المسلمين لبس الخفاف أثناء الحج، إلا لمن لم يجد نعلين، فقد سمح له يلبس خفين مع وجوب قطعهما أسفل من الكعبين (ولا الخفاف إلا أحد لا يجد النعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين).

وكانت الخفاف تلبس قديماً في مصر، من قبل الرجال والنساء على حد سواء. فنحن نقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخـ١١٣، ص٣٣٧) إن الخليفة الحاكم بأمر الله منع الخفافين من عمل الأخفاف لهن (النساء). والواقعة نفسها يحدثنا عنها النويري (تاريخ مصر، مخـ٢، ص١٠٤): منع الأساكفة من عمل الخفاف لهن وشدد في ذلك. ونرى في نص آخر لهذا المؤلف الأخير (تاريخ مصر، مخـ٢، ص١٦) إن الخفاف كانت تلبس من قبل الرجال في النصف الأول من القرن السابع الهجري، ويخبرنا نص لابن إياس (تاريخ مصر، مخـ٣٦٧، ص١٧) إن الرجال أيضاً كانوا يستعملون الخفاف في القرن الثامن الهجري. واستناداً إلى قول المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٠) فإن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون أثناء حكم السلالة التركية (الجركسية) خفافاً من الجلد البلغاري الأسود[1]. وكانت الخفاف تلبس أيضاً من قبل الرجال

---

(١) إن الجلد البلغاري كان ذائع الصيت. وبوسعكم مراجعة العلامة فريهن في كتابه (أقدم تاريخ عربي عن بلغار الفولغا، ص٨) حول هذا الموضوع. وما تزال الخفاف حتى أيامنا هذه مستعملة في عدة أقطار من آسيا خصوصاً في بلاد الفرس، حيث حرفوا الكلمة فأصبحت Bhulkhal كما يخبرنا فريزر في كتابه (رحلة إلى خراسان، =

بعد فتح الأتراك لمصر، ويؤيد ما ذهبنا إليه النص التالي من كتاب ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ في هذا السفر (ط هابيخت، ج٣، ص٢٤٨) إن الأميرة بدورا، أخذت ملابس زوجها «فلبست الخف والمهماز». وحتى في أيام الحملة الفرنسية على مصر كانت الخفاف تلبس من قبل الرجال والنساء على قدم المساواة، لأننا نقرأ في كتاب وصف مصر (ج١٨، ص١٠٩): «كان الناس يلبسون الخفاف إذا أرادوا ركوب الخيل أو إذا شاؤوا الطواف بالمدينة لشراء ما يحتاجونه أو لشؤون أخرى، وهذه الخفاف هي نوع من النعال، وتصنع من الجلد المراكشي الأحمر أو الأصفر، ويستعملها الرجال كما تستعملها النساء». ولم تعد الخفاف تلبس في مصر في أيامنا هذه من قبل الرجال، أما النساء فما زلن يلبسنها كما نرى شاهد ذلك في كتاب (المصريون المحدثون) تأليف لين. وسنذكر بعض التفصيلات عن هذه الخفاف النسائية. يروى المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٩) عن وجود سوق في مصر للإخفاف (سوق الإخفافيين يباع فيه الإخفاف للنسوان ونعالهن). وفي عهد كتاب ألف ليلة وليلة، أي بعد غزو الأتراك لمصر، يبدو أن خفاف سيدات القصور وخفاف الجواري والإماء العائدات لسادة أغنياء مترفين كانت في غاية الروعة والبهاء. ونحن نقرأ في الكتاب الذي فرغت الآن من ذكر اسمه (ط منتكازا، ج٢، ص٥٦): وقفت عليه امرأة - بخف مزركش بحاشية قصب وشريط لاعب[1]. ونجد في موضع آخر

= ص٦٩). فهذا الرحالة الألمعي قد أصاب كل الإصابة في أن أصل الكلمة الأصلية هي بلغار Bulghar.

(١) راجع بشأن هذا النص الملاحظات الصائبة للعلامة فليشر في كتابه المعنون: (ص٢٦ - De glossis Habichtianis) أما عن فعل زركش المستعمل بمعنى زين، فراجع إحدى التعليقات الواردة في كتابه هذا.

(ط مكناگتن، ج١، ص٤٢٥) إن رجلاً اشترى لجاريته الراحلة في سفرة (خفاً مزركشاً بالذهب الأحمر مرصعاً بالدر والجوهر). (وينبغي أن نلاحظ إن كلمة خف تعني فردتين في هذه النصوص ويبدو أن الصرف على هذا الجزء من الهندام قد أخذ بالتناقص فيما بعد. فنحن نقرأ في قصة غليوم ليتغوف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، مجـ١، ص١٧١): «إن النساء في القاهرة يلبسن الأنعلة الجلدية كما يلبسها الرجال». ونطالع في قصة منتكازا (رحلة إلى أورشليم والشرق، ص٩٠): «إن النساء يلبسن أنعلة من مختلف الألوان تصل إلى منتصف سيقانهن أو إلى أعلى من ذلك». ويقرر لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٦٣) إن: «الخفاف هي أنعلة أو أحذية مصنوعة من الجلد المراكشي الأصفر». ولم تعد سيدات مصر في أيامنا هذه تلبس الخفاف إلا إذا أردن الخروج من بيوتهن. ولكن هل كن يلبسنها في العهود الغابرة في منازلهن؟ هذا ما يحملني على الاعتقاد به نص من نصوص ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٣، ص١٤١).

ويخيل إلى أن دانديني (رحلة من جبل لبنان - ص٤٨) في معرض حديثه عن طرابلس الشرق ينظر إلى الخفاف، حين يقول: «إن النساء هنا إذا أردن أن يمشين مشية مريحة في الدروب أثناء المطر والوحل فإنهن يلبسن بواتين من الجلد المراكشي تصل إلى ركبهن، وهن يشمرن عن ثيابهن من كل جانب، فيدرجن في كل مكان على رسلهن، دون أن تبتل ملابسهن أو تتلطخ بالأوحال والأوضار». ويذكر دارفيو كذلك في كتابه (مذكرات، ج٥) «البواتين المراكشية الجلد الصفراء التي تلبسها نساء حلب. ولدى بدو سورية تلبس الخفاف من قبل الرجال كما تلبسها النساء». ويخبر دارڤيو في كتابه (من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص٢٠٨) إن: «الأمراء والشيوخ يركبون الخيول وهم متنعلون بواتين

صغيرة من الجلد المراكشي الأصفر بدون جواريب، وهذه الأنعلة خفيف ومخصوفة من الباطن، وهم كذلك يستطيعون المشي بها على الأقدام بل حتى العدو دون أن يستطيع الماء اختراقها. وبعد ذلك (ص٢١١): «إن النساء يدرجن حافيات الأقدام على الأبسطة والسجاجيد - حين يكن في منازلهن - وهن يلبسن خفافاً متغضنة لدى بروزهن من مساكنهن». انظر المرجع السابق - ص٣). ونقرأ في كتاب (رحلة من اليمن السعيدة - ص(٨٣) ١٧١٦ امستردام): «إن نساء مخا يلبسن خفافاً صغيرة معمولة من الجلد المراكشي». ويذكر علي بيگ (الأسفار - ص١٠٦ - ج٢) الخفاف النصفية Demi-bottes (Half boots) الجلدية الصفراء التي تلبسها نساء مكة.

ويقص علينا أوليڤييه في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج٤ - ٣٨٢): «إن نساء بغداد يمشين حافيات الأقدام في بيوتهن، وهن يلبسن الأنعلة لدى خروجهن من منازلهن». ويقول فريزر في كتابه (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، ج١ - ص٢٧٨) إن: «نساء بغداد يلبسن جزمات صفراء» Des bottines Jaunes. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس - ص٨٣) في معرض حديثه عن نساء شيراز. «وهن يلبسن الخفاف»[1].

(١) إذا وجدنا لدي أولياريوس (جولة في موسكو وبلاد التاتار وفارس، ص٨١٧) النص التالي عن الأحذية الفارسية: «إن الأحذية التي تسمى Kefs مدببة الأنف للغاية ومنخفضة القاعدة والأعقاب كثيراً، بحيث يمكن لبسها ونزعها بسهولة، كما نفعل بمداساتنا Nos pantoufles إذا وجدنا هذا النص فينبغي الحذر من حسبان كلمة Kefs هي كلمة خف العربية مع S، علامة الجمع لدى الفرنسيين. على أن نتذكر أن هيئة الخفاف بفارس تختلف عن هيئة الخفاف المستعملة عند العرب. وإن كلمة Kefs التي ذكرها أولياريوس هي الكلمة الفارسية كفش، التي كتبها كامفر في كتابه (تحف نادرة، ص١٢٨) كذلك هكذا كفس، مع س بدلاً من ش.

وسأفرغ من هذه المقالة مختتماً بحثي هنا كذلك بإيراد كلمات نفس الرحالة، الذي عبر عن مكنوناته، وهو يجتاز حدود الامبراطورية البيزنطية، للوصول إلى استراخان، بهذه العبارة: «وذلك في اشتداد البرد. وكنت ألبس ثلاث فروات - وفي رجلي خف من صوف وفوقه خف مبطن بثوب كتان وفوقه خف من البرخالي وهو جلد الفرس مبطن بجلد ذئب». ص١٥٣. ولا شك إن البرخالي هو الجلد البلغاري.

التَخْفيفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

إن فعل خفف، في الصيغة الثانية، يعني بصورة عامة خلع الملابس الثقيلة ولبس الملابس الخفيفة، وبصورة خاصة ملابس الليل. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابيخت، ج٢، ص٦٣): «وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل». ونطالع في موضع آخر (ج٢، ص١١٦): «خففي من لباسك كما كنت في ليلة دخل عليك». وفي طبعه مكناگتن (ج١، ص١٩٢) ورد في هذا المكان: «وأمر ابنته أن تخفف نفسها كما كانت ليلة الجلاء في الخلوة[1]. وبعد ذلك نقرأ في ألف ليلة

(١) تعني كلمة خلوة غرفة صغيرة، مقصرة، صومعة، جوسقاً في بستان. وفي القصة الانكليزية التي عنوانها (الفصل الثامن عشر) مغامرات حاجي بابا، هذه الكلمة ترجمتها Private room ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص٧٤): «وبها مدرسة عظيمة حافلة فيها نحو ثلاثمائة خلوة ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن». والحديث عن واسط. وبعد ذلك (مخ، ص١٠٢) وهو يتحدث عن ناسك. يقول: «وله خلوة متصلة بالمسجد فرشها الرمل لا حصير بها ولا بساط». وفي موضع آخر (ص٩٢) وهو يتكلم عن حمامات بغداد: «وفي كل حمام منها خلوات كثيرة». وفي المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك، ص٦٧): «وحضر عند حكم =

وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٢٢٥): «خففوا ما عليها من الملبوس». ونفس الفعل يعني في الصيغة الخامسة نزع ثيابه الثقيلة. فنحن نقرأ في المطمح لابن خاقان (مخ سان بطرسبورك، ص٦٧): «فأمره بخلع ثيابه والتخفف من جسمه». واشتقت كلمة تخفيفة من فعل خف الذي، كما نرى بسهولة، يذكرنا بالصيغة الثانية للفعل. وقد سبق للعلامة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٢٩٥) إن لفت أنظار المستشرقين إلى هذه الكلمة، بإيراده عدة أمثلة مقتبسة من مؤلفات مؤرخين عرب من مصر. وقد ظن هذا العالم الجليل وجوب إثبات إن كلمة تخفيفه تشير إلى ضرب طاقية Bonnet. وهذا الأمر لا يبدو لي وكأنه في غاية الصحة، بل إنني أفترض أن كلمة تخفيفة تشير إلى عمامة خفيفة، على نقيض العمامة الضخمة الكبيرة الحجم، التي كان يتعمم بها الفقهاء والتي كانت تسمى عادة عمامة. والواقع إنني أكاد أعثر دائماً على كلمة تخفيفة مستعملة ضد كلمة عمامة. وقد سلف لنا إن رأينا (ص٨٥) إن قاضياً أرغم على حضور قصف لدى الأمير، قد تجرد من ملابسه التي كانت تليق بمنزلته، فتعمم بتخفيفة، بدلاً من عمامته الضخمة، بوصفه فقيهاً (وتعمم بتخفيفة). ونقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخـ٣٦٧، ص٣٧): «قلع تخفيفته ولبس عمامة وجوخة من فوق ثيابه». وفي تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٥٨): «وقلع شاش التشريف والكلوتة وضرب

= المستنصر بالله يوماً في خلوة له في بستان الزهراء على بركة ماء».

ولكن كلمة خلوة تشير بصورة خاصة إلى مقصورة العرس. راجع مثالاً آخر لهذه الكلمة للمقريزي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ح١، ص٣٦٥). والكلمة نفسها تشير كذلك إلى عملية الوصال. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ. ص٢٢٧) بأن نساء القبائل الهندية «مشهورات بطيب الخلوة ووفور الحظ من اللذة». وبعد ذلك (ص٢٣٠): «ولهن من طيب الخلوة والمعرفة بحركات الجماع ما ليس لغيرهن».

بها الأرض ولبس تخفيفة». ونجد في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٣، ص١٦٢) العبارة التالية: «قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الخفيقة». وإنني لا أتردد في إحلال التخفيفة محل الخفيفة، فأترجم النص على أنه: «قالت له اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة».

الخَفْتان أو القَفْطان (القُفْطان)

إنني أجهل زمان تبني العرب لهذه الكلمة التي هي من أرومة أجنبية، وأجهل كذلك عصر انتشار هذا اللباس الذي تشير إليه هذه الكلمة لدى أبناء هذا الشعب وبناته. فإن محمداً (ﷺ) لم يستعمل القفطان. ويبدو أن الكلمة نفسها كانت مجهولة في عهد الرسول. ومع ذلك فنحن واجدون هذه الكلمة لدى المؤلفين القدامى نسبياً، أمثال المسعودي، (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص١٠٨). وكان خفتان الخليفة المقتدر مصنوعاً من الحرير، ومكفتاً بالفضة، ومن معمولات تستر، وكان خفتان ابنه محوكاً من الحرير (أو من الديباج) الرومي، ومزركشاً برسوم ونقوش وصور (المرجع السابق).

وكان للطراز المستحدث تأثير على هذا اللباس، كما سنرى. ولنستهل بحثنا بأفريقيا الشمالية. لقد أعرب دييگو دي هيدو عن الموضوع في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مجـ١، ٢، ص٢٠) في معرض حديثه عن أتراك مدينة الجزائر على هذه الصورة: «ويرتدون عادة فوق هذا اليلك Jalaco، رداء una ropa يسمونه القفطان، وهو مشابه لقمباز الكاهن soutane لأنه مفتوح من الجهة الأمامية، ومزرر من ناحية الصدر[١].

(١) نقرأ دائماً، نتيجة خطأ مطبعي متصل، في كتاب دييگو دي هيدو كلمة Tafetan وقد =

وهذا الرداء له كمان قصيران، يصلان إلى المرفقين، وقد يتدلى حتى يبلغ منتصف الساقين، بل قد يهبط أكثر من ذلك. وعلى كل حال فهو يتجاوز الركبة. وهو على ألوان شتى: فالأغنياء يتخذونه من الأطلس، والسيدات يفصلنه من القطيفة والمخمل، ومن أنواع أخرى من الحرير. وهذا الرداء، شأنه شأن اليلك Jalaco (الصديري) لا ياقة له، بحيث أن التركي مكشوف الرقبة على الدوام. ويتحدث دارڤيو D.Arviex كذلك في كتابه (مذكرات، ج٥، ص٢٨٣) عن قفطان الأتراك في مدينة الجزائر الذي يلبسونه فوق الصديري، فيقول: «ويلبسون فوقه ستر من الجوخ تدعى قفطاناً. وهذا القفطان يشبه لدينا Un juste- au- corps[1] فله طوله كما له تفصيله. وهو مفتوح من القبل Par le devant ليدع الصديرية تظهر، وهي دائماً من لون مختلف. وهم لا يوصلونها إلا نحو وسط الجسم، حيث يشدونها بمنديل بالغ السعة بحيث أنه يبلغ حلق الإنسان. ونحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش وفاس، ص١١٥): «ويرتدون فوق القميص قفطاناً أو سترة مزودة أحياناً بكمين قصيرين أو طويلين، على هوى مزاج اللابس، وهي (تشبه الفرجيات Ferefges التركية)، ولكن هذا

= تناول التشويه هذه الكلمة أكثر فأكثر من قبل الطابعين في هذا الكتاب الممتع: (يوميات رحلات دي مونكوني، ١٦٤٧ – ١٦٤٨) حيث نجد في (ج١، ص٢٧٩، ٢٨٢) كلمة Caeran دائماً. ففي هذا الموضوع يتحدث دي مونكوني عن موكب الـCasena. ولا بد أن هذه الكلمة ليست سوى الخزانة Le Hazna التي ذكرها تيفنو في كتابه (قصة رحلة إلى المشرق، ص٢٧٧). أو هي خزينة المولى الأعظم المرسلة إلى القسطنطينية من قبل باشا مصر. وعلى هذا طال الحديث في نص تيفنو الأخير عن القفاطين. ولا مشاحة في أن دي مونكوني قد أخطأ في إيراد كلمة Caeran بدل كلمة Caetan في يومياته.

(١) وردت الكلمة في قاموس لاروس هكذا موصولة: Justaucorps بمعنى لباس يتدلى حتى الركبتين ويشد الجسم شداً. (المترجم).

الثوب لا كمين له في معظم الحالات. وعادة تكون هذه الأثواب مصنوعة من الجوخ الأحمر أو الأزرق أو الأخضر. وبعض هذه القفاطين مؤلفة من مختلف الألوان التي تكون أما مربعة وأما مخططة. وبعض الأشخاص لهم قفاطين مطرزة بالذهب، ولو أن هذا التصرف يعد انتهاكاً لأمر الدين. والقفطان لا يتعدى الركبة إلا قليلاً، وهو ليس طويلاً مثل الدوليمان التركي Doliman. وأزرار هذا الثوب الصغيرة متقاربة من بعضها. وبوسعنا رؤية هيئة هذا الثوب في اللوحة الخامسة عشرة، الصورة الأولى والثالثة». ولا بد أن دييگودي توريس قد تحدث عنه في كتابه (قصة الشرفاء، ص٨٥) حين قال أن رجال مراكش يرتدون: «سترات من الجوخ الملون تصل إلى الركب». وأعتقد أن العبارات التالية لمارمول تعني أيضاً القفاطين. فهو إذ يتحدث عن ثياب مراكش يقول، في كتابه (وصف أفريقيا، مجـ٣، حـ٢، ص٣٣): «يرتدي عوام الناس الآخرون ثياباً أقل كلفة، ولكن على نفس النمط. فالكثيرون منهم يلبسون سترات من الجوخ الملون (Unas jaquetas) وهي مزررة، ومطوية أربع طيات (De quatro faldas) ولها أكمام قصيرة». ويقول في موضع آخر (حـ٢، ص١٠٢، مجـ٢) متحدثاً عن سكان فاس: «يرتدي العمال والرجال الآخرون من سواد الناس، ولا سيما الجنود المشاة ورماة البنادق ورماة السهام الخيالة، سترات مثنية أربع ثنيات (De quatro haldas) قد تصل إلى ركبهم».

وفي المرجع نفسه كذلك: «يرتدي التجار والصناع ألبسة من الجوخ، سوداء خالصة السواد أحياناً أو زرقاء، أو من لون آخر، وهم يلبسون صايات (Los sayos) بالغة الطول، تنزل إلى منتصف سيقانهم، مطرزة من الباطن (Cosidos a girones) وأكمامها نصف أكمام قصيرة لا تصل أبداً إلى أعلى المرافق إلا قليلاً. ويتحدث داپر أيضاً في كتابه (رحلة

إلى أقاليم أفريقيا الشمالية، مجا، ص٢٤٠) عن قفطان من الجوخ كان يرتديه أحد السفراء الذين جاؤوا إلى امستردام عام ١٦٥٩. راجع كذلك، حول ارتداء القفطان في مراكش (سانت أولون، الحالة الراهنة للامبراطورية المراكشية، ص٩٠). وانظر كرابر دي همسو في كتابه (المرآة، ص٨٠، ٨١ إلخ). والقفطان في طرابلس الغرب رداء طويل مطرز من القبل ومن الكمين. راجع النقيب ليون، في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٦). وترتدي النساء القفاطين في مراكش وفي فاس. فنحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش، ص١١٩، إلخ): «ترتدي بعض النساء نوعاً من قفطان فوق القميص، شبيه كل الشبه بقفطان الرجال». ويخبرنا لمبريير في كتابه جولة في مراكش (ص٣٨٦)، وقد أتيحت له بوصفه جراحاً فرصة مخالطة حريم مراكش، أن قفطان النساء ثوب واسع لا كمين له، وهو يتدلى حتى يبلغ القدمين أو يكاد، ويصنع طوراً من الحرير والقطن، وتارة من الديباج.

أما القفطان المصري فيختلف كثيراً عن قفطان أفريقيا الشمالية. فانظروا كيف يصفه لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩ - ٤١): «سترة طويلة من القماش الحريري والقطني العامر بالخطوط، وهذه قلما تكون خالصة بنفسها بل إنها على العموم مزينة بالرسوم أو بالأزهار. وهذه السترة تتدلى حتى تبلغ كعب القدم، ولها كمان طويلان، يتعديان نهاية الأصابع ببعض العقود، ولكنهما مشقوقان فوق المعصم قليلاً، أو نحو منتصف الذراع بحيث أن اليد تبقى مكشوفة على العموم، ومع ذلك، ففي حالات الضرورة، يمكن تغطية اليد بالكم: ذلك لأن التأدب يقتضي ستر اليدين أمام شخص من الطبقة العليا».

وها أنني اقرأ في قصة هيليفريتش (تقرير حقيقي موجز عن رحلات، ص٣٩٣) إن رجال القاهرة يرتدون تحت اللباس الذي افترضه الجبة» سترة

(Ein wammes) من القماش الحريري، المتعدد الألوان المختلط بعضها ببعض. أما كما هذا الرداء فطويلان للغاية، بغية استطاعة شبكهما على قدر الجسم» ويبدو أن القفطان كان في أيام نيبور (رحلة إلى البلاد العربية، ج١، ص١٥٢) يتجاوز الأقدام. وقد وصف الكونت دي شابرول القفطان في كتابه (وصف مصر، ج١٨، ص١٣٨) على هذا المنوال: «إنه ثوب مفتوح من الجهة الأمامية، وله كمان واسعان بإفراط، وهو يلبس فوق المشد Le corset».

أما ثوب نساء مصر الذي يشبه كثيراً قفاطين الرجال فليس اسمه قفطاناً بل يدعى يلك Yelek. وأما قفطان مصوع فيشبه كل الشبه قفطان أفريقيا الشمالية، ولا يشبه القفطان المرتدى في مصر إلا قليلاً. فنحن نقرأ في كتاب رويل (رحلة إلى الحبشة، ج١، ص١١٩): «والفرد هنا يرتدي فوق هذا القميص قفطاناً (Leibrock) من القطن المدبج بالحرير، وهو يتدلى حتى يبلغ ربلة (بطة) الساق، ولا كم له، ويشد حول الجسم بشريط رفيع من الكتان» وتقع على القفطان في الساحل السوري، وهو في نظر دارڤيو (مذكرات، ج١، ص٣٥٣) كساء من الحرير الأبيض الموشى». ويرتدي بدو سورية كذلك القفاطين، أو هم على الأقل كانوا يلبسونها أيام زار المستشرق الذي فرغت من ذكره ديار الشرق. ويقول في كتابه: (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم ص٢٠٦) إن أمراء وشيوخ البدو يتخذون لباسهم الشتائي القفطان المصنوع من الأطلس أو من الحرير المتموج الموار Le moire، على هيئة قمباز الكاهن الذي يبلغ منتصف الساق، وله كمان واسعان». وبعد ذلك (ص٢١٠) يخبرنا أن النساء البدويات لهن أيضاً قفاطين مصنوعة كالقمصلات يتزملن بها في الشتاء ويصل طولها إلى الأرض. وهن يمرن عن أقسامها الأمامية ويدسسنها في أطراف الحزام، لتحقيق غرضين هما المشي بحرية داخل المنزل

وإبراز التطريزات، وهي على هيئة الأزاهير الظاهرة على القمص والسراويل». ويقول أخيراً في موضع آخر (ص٢١١): «يلبس العرب بصورة عامة قفطاناً من النسيج القطني الغليظ». وإذا آمنا بما يقوله علي بيك في كتابه (أسفار، ج٢، ص١٠٦) فإن نساء مكة يرتدين «قفطاناً من القطن الهندي».

ويعلمنا كيرپورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وبلاد فارس وأرمينيا وبابل القديمة، ج٢ ص٢٢٦) إن شعب Kanaki (خانقين؟) على ديالى، في الشمال الشرقي، من بغداد يرتدي: «قفاطين واسعة ذات أكمام عريضة».

وبالرغم من أن المؤلفين القدامى قد رسموا هذه الكلمة هكذا (خفتان)، فإن لفظة (قفطان) يبدو إنها هي الشائعة الاستعمال منذ عدة قرون: ولعل رسم هذه الكلمة قد تحور بعد فتح الأتراك لمصر. وإن كلمة قفطان وجمعها قفاطين ترد دائماً في كتاب (تاريخ اليمن، مخ٤٧٧، ص١٧٧، ٢٩٨، ٣١٩)، كما نصادفها كذلك في كتاب ألف ليلة وليلة. وقد رأينا آنفاً أن هوست والكونت دي شابرول يكتبان هذه الكلمة على نفس الرسم، ويكتبها دونباي في كتابه (النحو المغربي، ص٨٢) هكذا (قفطان) وأخيراً فإن لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٠) يؤكد أن الكلمة تلفظ (قَفطان) ولكن الأشيع من ذلك لفظها (قُفطان).

الخَفِيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بوصفها اسم لباس.

والرحالة كيرپورتر في كتابه (أسفار، إلخ، ج٢، ص٢٩٢) في

معرض حديثه عن الزبيديين في العراق العربي، قرب بغداد، يعرب عن أفكاره بهذه الكلمات: «يراهم الراؤون بصورة دائمية ولا غطاء لهم إلا الخفية Kaffia أو الرداء المصنوع من قماش مخطط بخطوط عريضة للغاية. وهذا الرداء هو اللباس الاعتيادي (Domestic attire) الذي يبدو فيه هؤلاء الأعراب قرب منازلهم».

ولما كان فعل خفي، في الصيغة الثانية وفي الصيغة الرابعة، يعني 'Abscondit, occultavit, celavit ويعني في الصيغة الأولى Abscondit se وإن كلمة خفاء تعني Operimentum, tegimentum فإنني أعتقد أن خفية ربما تعني كساء واسعاً يغطي الجسم كله[1].

الخُلِيّ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإذا آمنا بما يقوله النقيب ليون في كتابه (أسفار في الشمال الأفريقي) فإن كلمة Kholi تشير لدى أعراب طرابلس الغرب إلى نوع من البركان، الذي يقف موقفاً وسطاً بين العباءة التي هي غاية في الغلاظة، وبين الجريد، وهو غاية في النعومة.

(١) سأحملكم على ملاحظة أن الصيغة الخامسة لفعل خفي لا وجود لها في القاموس، وإنها تعني التنكر. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكنذگتن، ج٢، ص٢٩٣): «تخفيت أنا وغلامي». ويستعمل ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة، مخ دي گايانگوس - ص٣٧) صيغة مماثلة للتعبير عن نفس الفكرة لأنه يستعمل فعل خاف (يخيف). وإليكم كلماته: «فصار متخيفاً إلى مالقة ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش». ولكن ربما ينبغي إحلال متخفياً مكان متخيفاً.

الخُمْر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويعلمنا الرحالة بكنكهام في كتابه (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج١، ص٧) إنه حمل سفتجته ونقوده وأوراقه «مخفية في حزام سري» Inner girdle يسميه سكا البلاد خمراً، ويستعمل هذا الحزم بصورة عامة لهذا الغرض، ما دام لا يمكن إضاعته، ولا يمكن انتزاعه من المسافر اللهم إلا إذا جرد تجريداً تاماً من ملابسه».

وستذكرون إن فعل خمر يعني: (Operuit, texit etc).

الخِمار

يبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة وافية لدى الجوهري والفيروزآبادي، وإنها لم تكن بحاجة إلى الشرح والتفسير. ولكن يجب أن أعترف لنحس طالعي إنني لم أقع على هذه الكلمة لدى مؤلف بمقدوره أن يشرحها لي شرحاً صحيحاً، لذلك ليس في طاقتي أن أخوض في أي حديث عن نوع البرقع أو الستر أو الحجاب أو القناع الذي تدل عليه هذه الكلمة. وإذا لم أكن متوهماً، فإن كلمة خمار لم يتطرق إليها المؤرخون العرب في عصر النويري والمقريزي ومن لفَّ لفهما. وأستطيع أن اتجرأ فأقول مؤكداً عبث عملية التنقيب عنها في كتاب ألف ليلة وليلة.

وإنني غير واجدها كذلك في كتب الرحالين الأوروبيين الذين جاسوا خلال الشرق في مختلف الحقب ويخيل إلي أن هذا النقاب كان مستعملاً في عهد گوليوس، لأن هذا العالم يؤكد أنه «برقع امرأة، وإنه يغطي مقدمة

العنق، ويستر الذقن والفم ويتعلق بقمة الرأس». ولما كان گوليوس لم يذكر لا طول ولا نوع قماش ولا لون هذا الستر، فمن التطويح بالأمانة العلمية أن نطبق على وصفه - الذي تعوزه الدقة - أقوال الرحالين الذين زاروا الشرق وقت زيارة گوليوس له[١].

الخَميصة

تشير هذه الكلمة، حسب مذهب الجوهري، إلى ثوب مربع أسود، مزين بحاشيتين مختلفتي اللون ويروي مؤلف عيون الأثر (مخـ٣٤٠، ص١٨٩) إن الرسول ﷺ ترك فيما ترك حين وفاته خميصة. وفي صحيح البخاري (ج٢، ٣٥٦، ص١٦٨) نقرأ الحديث التالي مروياً عن عائشة وعبد الله بن عباس: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا أغتم[٢] كشفها عن وجهه. فقال وهو كذلك: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا»[٣].

وفي الكتاب نفسه نرى الحديث التالي مرفوعاً إلى زوجة الرسول الحبيبة إلى نفسه: قالت: «صلى رسول الله (ﷺ) في خميصة له لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلم، قال: (اذهبوا بخميصتي هذه

(١) إن كلمة خمار تدل كذلك على: منديل يغطي به الإنسان عينه. فنحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط. القسطنطينية، ح٢، ص٢٥٩): ولا بأس أن يشد خمار أسود من الحرير على العين الرامدة أو الناظرة إلى الثلج.

(٢) هكذا، إذا لم أكن متوهماً، معنى الحالة الثامنة لفعل غم في عبارتنا. راجع الصيغة السابعة في القاموس.

(٣) من المعلوم أن المشرع الأعظم للجزيرة العربية قد نهى عن أداء أي عبادة لأي بشر هالك، هذه العبادة التي يجب أن تكون لله وحده.

إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وإيتوني بانبجانية أبي جهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب»[١].

ونقرأ كذلك الحديث التالي ترويه أم خالد بنت خالد (ص١٦٩، والحديث نفسه ص١٧٠). قالت: «أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء. فقال - من ترون نكسو هذه؟ فسكت القوم. فقال: إيتوني بأم خالد. فأتي بها تحتمل. فأخذ الخميصة بيده فألبسها وقال: «ابلي واخلقي. وكان فيها علم أخضر أو أصفر. فقال: يا أم خالد هذا سناه»[٢] (وسناه بالحبشية حسن).

وأخيراً فإن أنس (المرجع نفسه) يقص ما يلي. قال: «لما ولدت أم

(١) إن النووي في كتاب (تهذيب الأسماء، مخ٣٥٧، ص٢٤١) يزودنا حول هذا الشخص بالتفصيلات التالية: «أبو الجهم، ويقال له أبو جهم، بحذف الألف واللام، الصحابي ﷺ بفتح الجيم وإسكان الهاء مذكور في المختصر والمهذب في الخطبة في النكاح إن فاطمة بنت قيس قالت: «خطبني معاوية وأبو الجهم». ومذكور في المهذب أيضاً، في باب ما يفسد الصلاة في حديث الخميصة ذات الأعلام وانبجانية واسمه عامر وقيل عبيد بضم العين بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بفتح العين وكسر الباء بن عويج بفتحها أيضاً بن عدي بن كعب القرشي العدوي - أسلم يوم الفتح وصحب النبي ﷺ وكان معظماً في قريش ومقدماً فيهم. قال الزبير بن بكار: كان أبو الجهم عالماً بالنسب. وكان من المعمرين. شهد بنيان الكعبة في الجاهلية. وشهد بنيانها في أيام الزبير وفي (لا يوجد عنوان) إنه توفي في أيام معاوية. وهو أحد دافني عثمان بن عفان وهم أربعة: حكيم بن حزام إلخ. . .» وإنني أعترف بجهلي لماذا أضاف الرسول هذه الكلمات. فقد بحثت عبثاً عن كلمة انبجانية في كتاب تهذيب الأسماء للنووي، حيث كنت أؤمل أن أجد بعض الملاحظات الخاصة لإنارة هذا النص.

(٢) في الحكاية الأخرى لنفس الواقعة نجد سنا. وهي كلمة حبشية. وقد ولدت أم خالد في الحبشة، حسب تقرير عيون الأثر (لدى هاكر. حصار منفيس والاسكندرية، ص٧١).

سليم قالت لي: يا أنس انظر هذا الغلام فلا يصيبن شيئاً[١] حتى تغدو به إلى النبي ﷺ يحنكه[٢]. فغدوت به فإذا هو في حائط وعليه خميصة حريثية. وهو يسم الظهر الذي قدم عليه في الفتح». فإذا عارضنا هذه النصوص ببعضها، وهي نصوص قيمة لا ارتاب في إنها تهم المستشرقين من عدة وجوه، فإننا سنحصل من كلمة **خميصة على النتيجة التالية**: إنها نوع كساء أسود، يلبسه الرجال كما تلبسه النساء، وهو مطرز الأعلام أو الحواشي بالألوان المختلفة، وقد يكون ذا علم واحد أو حاشية واحدة.

(١) معنى ذلك كما أرى إنه لن يمص ثدي حاضنته.

(٢) نقرأ لدى النووي (تهذيب الأسماء، مخ٣٥٧، ص٣٣٤): فصل حنك. قوله في المهذب في باب العقيقة: يستحب أن يحنك المولود بالتمر. واستدل بحديث أنس ﷺ في ذلك. وهو حديث صحيح. قال صاحب المطالع: التحنيك هو أن تمضغ التمرة وتجعلها في فم الصبي وتحنك بها حنكه بسبابتك حتى تتخال في حلقه. والحنك أعلا داخل الفم. والله أعلم. قال الهروي: يقال: حنكه وحنكه يعني بتخفيف النون وتشديدها. والله أعلم. ويجب عليَّ أن ألفت الأنظار هنا، بمناسبة هذه العبارة، إلى أن كلمة مستحب نقيض كلمة مستحق، وإن الكلمة الأولى تعني: ما أصبح عادة عامة، ما تبناه الناس بصورة شاملة، دون أن تأمر به شريعة. في حين أن كلمة مستحق تعني ما أمرت به الشريعة في الحقيقة والواقع. وهناك عبارة للنويري (نهاية الأرب، مخ٢٧٣، ص٥٩٢) تبرهن بوضوح على هذا المعنى لكلمة مستحب ولكلمة مستحق، المعنى الذي سنبحث عنه في معاجمنا ولكن دون جدوى. (وألاحظ بصورة عابرة أن هناك كلمات قد حركت عن مواضعها في مخطوطاتنا النويرية من قبل الناسخ). وإن جملة: استدل بحديث (تعني استخدم الحديث لإثبات ادعائه. وفي مخطوطة لكتاب ابن خلكان عائدة إلى ويلمت، هي الآن جزء من مكتبة معهد البلاد المنخفضة، نجد في الصفحة ٢٢: استدل بحديث أبي لبابة. وقد بحثت عبثاً عن كلمة حريثية التي هي اسم مكان، في عدة كتب مطبوعة ومخطوطة. أما عن كلمة ظهر فراجع: (كاترمير، مذكرة حول الميداني، ص٤٢).

وهناك موضع اسمه حريثة يبدو أنه كان مشهوراً بحياكة هذا النمط من اللباس. وها إنكم ترون في النصوص التي أوردناها عدم ذكر أي شيء عن النسيج الذي تصنع منه الخميصة، والجوهري نفسه لم يعلمنا أكثر مما أعلمنا سواه. وإنني على جهل مطبق بالمصدر الذي استقى منه فريتاگ علمه بصنع هذا الملبوس من الصوف والحرير. ترى أين وجد هذه المعلومات؟ وعلى كل حال فلم يكن بالتأكيد هذا الكساء حريرياً في عهد محمد ﷺ.

ويذكر الجوهري في معجمه بيتاً بوسعكم قراءته في قاموس فريتاگ يتضمن إن الشعر الأسود لفتاة يافعة يشبه خميصة.

الخَنيف والخَنِيفة

كلمة خنيفة لا وجود لها في القاموس.

وتشير هاتان الكلمتان إلى رداء من الصوف الغليظ، يرتدي في بلاد البربر.

يقول مارمول (وصف أفريقيا، ج٢، ص٤، مجـ١) في معرض حديثه عن البربر في ولاية حيحة أشد ولايات المملكة المراكشية غربية إنهم يرتدون كذلك المعاطف الغليظة، المعمولة من القماش الصوفي الخشن الأسمر، وهم يسمون هذه المعاطف Hanyfas. وفي موضع آخر (ج٢، ص٣٣، مجـ٣): وفوق هذا الثوب (لعله الخفتان)، ترى (سواد الرجال في مراكش) يرتدون المعاطف الخشنة الغليظة السمراء، ويسمونها Hafiafas وأخيراً. (ج٢، ص١٠٢، مجـ٤)، يقول المؤلف نفسه، وهو يتحدث عن عامة رجال مدينة فاس: «يرتدون المعاطف

الصوفية الخشنة الغليظة السمراء، المسماة Hanifas. (ويقول داپر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص٢٤٠، مجـ١) ضمن التفصيلات التي يوردها حول زي سفراء ملك مراكش وفاس، الذين قدموا إلى امستردام عام ١٦٥٩): «إن السفير إبراهيم الدك Duque كان يرتدي هو أيضاً الحيك، ولكنه كان لابساً فوق هذا الثوب رداء واسعاً، وقد وصل حزامه، وهو مصنوع من شعر المعزى الأسود، أو من الصوف، ومزود من جهته الخلفية بقبع كبوشي ومزرر على صدره بأزرار. وهذا الرداء الفضفاض المسمى في اللغة العربية شنيفا Chanyf أو شنيفة Chanyfa يرتدي عادة فوق الحيك».

شنيفة أم خنيفة؟ شنيف أم خنيف؟

ولكن تتخذ الحيطة في الشتاء لتغطية الرأس الذي يعمم بالقبع الكبوشي. وحين يرتدي هذا المعطف على هذه الشاكلة يدعى (مغنس) «Mugannes» راجع شكل هذا اللباس في كتاب داپر (ص٢٤٠ - الشخص الثاني الأيسر). أما عن كلمة مغنس Mugannes فيجب عليّ أن أعترف شئت أم أبيت - بأنني أجهل كيف تكتب الكلمة في المغرب. فحسب النطق الهولندي ينبغي أن نكتبها (مغَنس) - وهي كلمة لا وجود لها في القواميس واقعياً، ولكنها مع ذلك يمكن أن تكون قد استعملت من قبل سكان الشمال الأفريقي.

الدِرْع

يفسر العرب كلمة درع بكلمة قميص Chemise، وإني أجهل ما يميز الدرع عن القميص، ولكن كلمة درع لا تنطبق إلا على قميص المرأة، وكثيراً ما استعمل الشعراء هذه الكلمة للإشارة إلى المرأة نفسها. وهكذا

نجد في قصيدة للمعتمد في كتاب (قلائد العقيان للفتح ابن خاقان، ح١، مخ٣٠٦، ص٨) (الكامل):

إن نشّرت تلك الدروع حنادساً ملأت لنا هذي الكؤوس ضياء

لإدراك معنى هذا البيت، ينبغي أن نتذكر أن الشعراء يشبهون الغيد بالليل بسبب شعرهن الأسود، ويشبهون الخمر بالنهار أو بالشمس لبريقها ولألائها.

وعلى هذا الأساس أترجم هذا البيت:

«إذا كانت هذه الفتيات (حرفياف: هذه القمص) قد نشرت الظلمة، فمقابل ذلك هذه الكؤوس قد ملئت لنا بالضياء».

والشاعر نفسه يقول أيضاً (المرجع السابق):

(الكامل):

قد رمت يوم نزالهم ألّا تحصنني الدروع

«لقد رغبت بحماسة متقدة منازلة الأعداء، ولكن النساء (حرفياً: القمص) منعتني من ذلك». وهكذا نرى من هذه العبارات إن كلمة الجمع (دروع) وليس فقط كلمة أدرع، كما تحاول أن تحملنا على الاعتقاد معاجمنا، مستعملة للإشارة إلى قمصان المرأة، والواقع هو أن الشاعر ابن اللبانة (المرجع السابق، ص٣٨) يستعمل هو أيضاً كلمة الجمع (دروع) للدلالة على قمصان المرأة[١].

(١) لقد تعسف المستشرق الكبير حتى ضل سواء السبيل (المترجم).

الدِرّاعة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإتباعاً لرأي داپر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا الشمالية مجـ٢، ص٢٤١) نرى أن كلمة Dhiraa دراعة تشير في المغرب، إلى هذا الرداء الواسع العظيم المسمى كذلك بالإزار، راجع هذه الكلمة.

الدُرّاعة

لقد أورد سيلفستر دي ساسي بعض التفصيلات عن هذه الكلمة في كتابه (طرائف عربية، ج١، ص١٢٥) ونستخلص من عبارة القاموس، التي استشهد بها هذا العالم، إن الدراعة قديماً لم تكن تعمل إلا من الصوف. ويعلمنا المقريزي (المرجع السابق) إن اللباس هو الذي كان يميز الوزراء من بقية ضباط القلم أو العدالة. وهذا المؤلف يصف الدراعة بأنها مفتوحة من الجهة الأمامية أعلى القلب ومزررة بأزرار وعرى. ونحن نقرأ لدى نفس المؤرخ في كتاب سيلفستر دي ساسي (ج١، ص٢٥٠ النص العربي) إن الخليفة الحاكم بأمر الله كان يلبس الدراعة المصنوعة من قماش أحادي اللون.

ونجد لدى ابن خلكان (وفيات الأعيان، ج١، ص٢٣١) عبارة رائعة للغاية، عن حياة الوزير المغربي. فهذا الرجل، المصري المولد، كان قد هجر وطنه، لأنه كان يخشى الحاكم، الذي كان قد أعدم أباه وعمه وأخوته. فهام على وجهه متنقلاً من بلاط إلى بلاط، حتى نصب وزيراً من قبل الأمير البويهي مشرّف الدولة، ولكن ابن خلكان يضيف أنه لم

يتلق لقب شرف ولا خلع، ولم ينقطع عن ارتداء الدراعة (وقلد الوزارة من غير خلع ولا لقب ولا مفارقة الدراعة). ويقول البارون دي سلان في كتابه عن ابن خلكان (ج١ - ص٤٥٥) بأنه لا يفهم لماذا كان المغربي مرغماً على ارتداء الدراعة بصورة دائمية.. ينبغي أن نعترف بأن المسألة بالغة الغموض بحيث يتعذر تأويلها، ما دمنا غير واجدين في أي مكان كان وصفاً لزي وزراء السلالة البويهية. ولما كانت الوقائع تعوزنا فسأسمح لنفسي بإخضاع تخميني لحكم أصلان المستنير. إذن فإنني مفترض أن الدراعة لم يكن يرتديها وزراء السلالة البويهية، وأن مشرف الدولة، حين أرغم المغربي على ارتداء هذا اللباس على الدوام، أراد أن يؤكد على اعتباره أجنبياً بصورة مستمرة (بوصفه وزيراً مصرياً)، فلم يمنحه ثقته التامة، ولم يعتبره أحد رعاياه المولودين في ولاياته.

وحسبما يقول مؤلف كتاب مسالك الأبصار (تعليقات ومقتبسات، ج١٣، ص٢١٦) إن الدراعة كانت ترتدي في الهند من قبل القضاة والأدباء، كما كانت ترتديها جماهير الشعب.

ويرد لدى النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٤٤) ذكر (دراعة بنفسجي)، وكذلك يفعل المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك ج١، ق١، ص١٤٩). وكانت الدراعة مستعملة في الأندلس. فنحن نجد لدى المقري (تاريخ الأندلس، مخ دي غوتا، ص٣٧٣) إن عرب الأندلس قد اتخذوا (الدراريع التي لا بطائن لها) إزاراً بإشارة من زرياب، كما نجد في موضع آخر لدى المؤلف نفسه (مخ٨٦) (أن لباس الشرف، الذي منحه الحكم الثاني إلى اوردنيو الرابع، كان يتألف من (دراعة منسوجة بالذهب) ومن برنس.

ونحن ما زلنا واجدين هذا الثوب في مدينة الجزائر. فإن دييگو دي هيدو يتحدث في كتابه المعنون (خطط مدينة الجزائر، ج٨، مج٢):

يرتدي كثير من الناس قميصاً آخر من الكتان المرسل، بدلاً من هذه الغلالة، وهو طويل، مفرط في السعة، مغرق في البياض ويحمل اسم الدراعة Adorra. وفي موضع آخر (ص٢٧، مجـ٢) يقول المؤلف نفسه أن النساء العربيات في هذه المدينة يرتدين فوق أقمصتهن نوعاً من القمصان على ثلاثة أشكال:

١ - القميص المفرط في السعة والفضفضة، الدقيق للغاية، الأبيض إلى ما لا نهاية، الشبيه بذلك القميص الذي يرتديه أزواج هؤلاء النسوة المسمون بلدي Baladis أو من يدعون بالحضر، والذين تحدثنا عنهم آنفاً، وهن يسمين هذا القميص دراعة Dorat أو الدراعة Adorat[(١)].

ويؤكد ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٠٦) إن سكان مقديشو (راجع خرائطنا عن الساحل الشرقي الأفريقي) يرتدون «دراعة من المقطع المصري معلمة»[(٢)].

(١) اغتنم هذه الفرصة لأناشد المستشرقين، ما إذا كانوا يعرفون كلمة عربية، لها جرس لفظة Dorre وتدل في الوقت نفسه على الجوخ الأصفر. فإنني أقرأ في قصة رحلة (فان خيستلا، ص٣١) إن المغاربة: «يرتدون عادة ثياباً طويلة من النسيج الأبيض، ذات أكمام واسعة، وبصورة عامة لا أحزمة لها، والكثيرون منهم يلبسونها أيضاً على مختلف الطرز، ومتنوع الألوان، كالأحمر، والأخضر الفاقع، والأزرق والـdorre أي الجوخ الأصفر» (لم يذكر المؤلف الشكلين الآخرين - المترجم).

(٢) تدل كلمة مقطع على الكتان، ذلك لأن بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) يفسر هاتين الكلمتين Olanda lienço بأنهما تونسي ومقطع وجمعه مقاطع، ويفسر Avala (aube) بقميص من مقطع. ويعتبر ابن الخطيب في كتابه (الإحاطة، مخ دي گايانگوس، ص١٤) إن المقاطع التونسية من بين الألبسة التي يرتديها الغرناطيون. وينبغي إحلال كلمة التونسية محل كلمة التتوسية، وترجمتها: «أقمشة الكتان التونسية». وقد كانت مدينة تونس مشهورة بالكتان الذي يصنع فيها، وإليكم ما نقرأ حول هذا الموضوع في كتاب مارمول (وصف أفريقيا - ج٢ =

وأخيراً فإنني أود إلفات نظركم مرة أخرى إلى وجود من كانوا يلبسون عدة دراعات بعضها فوق بعض. فنحن واجدون في تاريخ العباسيين للنويري (مخـ٢، ص١٩٠). «وفي هذه السنة أمر المتوكل (بأخذ أهل الذمة بلبس دراعين (دراعتين) عسليين (عسليتين) على الدراريع والأقبية» وذلك عام ٢٣٩.

= - ص٢٤١ - مجـ١): «إن معظم سكان مدينة تونس هم من الحاكة - وينسج في هذه المدينة أفخر الكتان الموجود في أفريقيا، لأن نساء تونس يغزلان الكتان غزلاً في غاية الدقة والنعومة ويبرمنه برماً لا مثيل له. ومن هذا الكتان تحاك هذه العمائم المترفة (Tocas) التي تدعى Tunecis (de Tunis) (من تونس)، وهي مرغوبة بجنون لدى المغاربة «وهذه العمائم المنسوجة من كتان تونس، لم تبق مجهولة لدى شعراء أسبانيا المسيحيين. لأننا نقرأ في (مجموعة من أشعار الموريسكيين ص٣٥): «طاقية غامقة الخضرة، مع عمامة من النسيج».

ونقرأ في موضع آخر (ص١٦٤) «Tocas tunecies - الدراريع التونسية». وأعتقد إنني وقعت على كلمة مقطع وجمعها مقاطع - بمعنى قماش من الكتان - في كتاب مسالك الأبصار. إذ إننا نقرأ في ترجمة كاترمير (ملاحظات ومقتبسات - ج١٣ - ص٢٠٠) ما يلي: «تبعاً لما رواه لي سراج الدين عمر الشبيلي فإن الثياب التي تجلب من الاسكندرية ومن بلاد الروس ترتدي بصورة خاصة من قبل أولئك الذين ينعم بها عليهم السلطان. أما الآخرون فإن أقبيتهم وأرديتهم مصنوعة من القطن الناعم. وتصنع من هذه المادة الثياب التي تشبه مقاطع بغداد». وأود أن ألفت الأنظار إلى أن كلمة مقاطع لم تستعمل مطلقاً بمعنى الأردية. ولعل النص هذا يعنيها: «وتصنع به ثياب تشبه المقاطع البغدادية». ويجب أن أترجم كلمة ثياب هنا بقطع قمش آنفاً (ص٢١، ٢٢) وأرى أن معنى هذه العبارة هو: «تصنع من هذه المادة قطع من القماش تشبه الأقمشة الكتانية البغدادية». وأود مرة أخرى أن ألفت الأنظار إلى ورود كلمة (رفعة) هذه (المقاطع) *La finesse* مباشرة بعد ذلك، إذا قورنت برفعة الأقمشة الهندية، وإن هذه الأقمشة توازن بالموصلي (الموسلين). وكل هذا ينطبق كل الانطباق على الأقمشة المصنوعة من الكتان.

المِدْرَع والمِدْرَعَة

يخيل إلي أن هاتين الكلمتين تشيران إلى ما تشير إليه كلمة دراعة بالذات، ويرى القاموس أن المدرع والمدرعة يكونان دائماً من الصوف. والحقيقة أن هاتين الكلمتين تدلان على لباس من الصوف الغليظ الذي لم يكن يرتديه إلا العبيد أو فقراء عامة الناس. فنحن نقرأ في كتاب القرطاس Le Kartas (ط تورنبر، ص٦) إن عبداً كان يرتدي (مدرعة صوف). ونجد في سراج الملوك للطرطوشي (مخ، ٧٠، ص٤١) إن شخصاً كان يرتدي شملة ومدرعة من الصوف، دخل على الخليفة معاوية، وإنه زجر على انتهاكه للآداب المرعية. ويتحدث البكائي Al-Bikâî (لدى كوزكارتن، طرائف عربية، ص٥٨) عن نساء كن يرتدين المدارع الشعرية، فيقول (وعليهن مدارع الشعر).

الدَرْوَزة، الدَرْوازة

لا وجود لهذه الكلمة الفارسية الأصل في القاموس.

ولكننا نقرأ للمقريزي أو بالأحرى لابن سعيد (لدى فريتاگ، طرائف عربية، نحو، تاريخ، ص١٤٥): «وطريقة الفقر على مذهب أهل الشرق في الدروزة التي تكسل عن الكدر».

يعني فقراء الأندلس الذين لا يجرؤ أحد على لمس دروزاتهم لقذارتها[١].

راجع دي گايانگوس في كتابه (تاريخ السلالات المحمدية في الأندلس، ص١١٤ وتعليق ص٤٠٤).

---

(١) إذا لم يكن ثمة خطأ في هذه الكلمة، فينبغي أن تنطق هذا النطق (تَكْسَلُ).

الدِفْء، الدِفاء، الدِفْية

لا وجود للصيغة الأخيرة في القاموس.

إن كلمتي دفء ودفاء تشيران إلى لباس من الصوف أو من الشعر، أو من الفرو، يستعمل للوقاية من البرد. (راجع القاموس - ط كلكتا، ص٢٧). أما في أيامنا هذه فإن كلمة دفية مستعملة في مصر. فنحن نقرأ في وصف مصر (ج١٨، ص١١٠): «الدفية هي قميص كبير من البركان الأسود، الذي يستعمله أعيان السكان في قرية من القرى». ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٥): «هناك أفراد عديدون من الشعب يرتدون نوعاً من الأردية، واحدها أوسع من العباية، وهو مصنوع من نسيج صوفي ملون بالسواد أو بالزرقة الغامقة - يسمونه دفية».

الدِقرار، الدقرارة

يرى الجوهري والقاموس أن هذه الكلمة تشير إلى ما يدعى بالتبان. راجع هذه الكلمة.

الدِلّق

يرسم سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية، ج٢، ص٢٦٩ وفريتاگ) هذه الكلمة هكذا: دَلِق. ويقول لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٤٦) إن الكلمة تكتب كذلك على هذه الصورة (دَلِق) ولكن الناس يلفظونها بصورة عامة كما يلي (دِلْق). ويعتقد أن كلمة دَلِق تستحق الاصطفاء. ولم أتبين العلة في الموضوع. إنها دَلْقْ الكلمة الفارسية، وهناك وزن القصيدة وردت في كتاب سيلفستر دي

ساسي المذكور آنفاً، ج٢ ص٤٥، سطر ٤ من النص العربي، تبرهن بوضوح وقوة على أن كلمة دلْق كانت تلفظ في قديم الزمان هكذا (دلْق) بمقطعين، وليس بثلاثة مقاطع.

والدلق هو لباس الفقراء والدراويش والدجالين من الأولياء، ويرى السيوطي في (الطرائف، ج٢، ص٦٧) إن «القضاة والعلماء كانوا يرتدون دلقاً واسعاً لم يكن مشقوقاً، بل كانت فتحته من فوق الكتف، ويلبس الخطباء دلقاً مستدير الشكل أسود اللون، وهو اللون الخالص بسلالة العباسيين». ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٤٦، ٣٧٣) وفي (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٢٣٩) إن: «الدلق هو ضرب من الرداء الطويل، المؤلف من خرق الجوخ المختلفة الألوان». وقد سبق أن قطعت على نفسي وعداً، حول كلمة خرقة، بالدخول هنا في التفاصيل عن ثوب المتأملين، أو عن أشباههم، وهم مجاذيب الشرق وبهاليله. وإليكم ما وعدت به. فإننا نقرأ في قصة روجيه (الأرض المقدسة - ص٢٤٧): «هناك نوع آخر من العبّاد يدعون قولي؟ Quoueli بعضهم حليق الرأس - وهم يرتدون أردية مؤلفة من ألف نوع من الرخق والأسمال ومن مختلف الألوان، ولكنها نظيفة للغاية: (راجع الصورة ٢٤٠). وفي قصة ستوكوف المعنونة: (رحلة إلى المشرق، ص٤٣٣ و٤٣٤)» لدى وصفه القاهرة، «والخلاصة لا يوجد في أي ولاية من ولايات تركية شعب مؤمن بالخرافات مثل شعب القاهرة، القاهرة التي لا مثيل لها في حشد هذا العدد الهائل من مشعوذي الأولياء والدراويش. فهناك تجد منهم من يتسكعون في الدروب عراة كما ولدتهم أمهاتهم، وهناك آخرون يرتدون جلود الأسود أو النمور وإنك واجد أولياء آخرين يلبسون ألف نوع من الألبسة المختلفة المضحكة. وها إنني أصادف شخصاً لابساً أعجب ملبوس لا تستطيع أن تضحك من شيء أكثر مما تضحك منه، وهو يمشي

على عكازتين يعلو بهما نحو قدمين، وقد ألصق بجسمه رداء يصل إلى ركبته نصفه مصنوع من كل أنواع الجلود، والنصف الآخر من كل أنواع الأقمشة المختلفة الألوان، وقد شد على وسطه حزاماً من جلود الأفاعي، وهذا الحزام لم يمنع ثوبه من الانفتاح لدى كل خطوة يخطوها وإبانة عورته للسائل والمحروم، وقد شك عضوه التناسلي بحلقة ضخمة من الحديد.

ونقرأ لدى دارڤيو في كتابه (المذكرات، ج١، ص٢٠٩): «يرتدي دراويش مصر ملابس غاية في الغرابة: فملابس بعضهم حافلة بالخرق والأسمال البالية الملونة بكل أنواع الألوان، وملابس الآخرين أردية مجللة بالريش الكثير، وهناك عراة كل العري، ولهم لحى وشعور شبيهة بأشواك القنافذ». ويقول المؤلف في موضع آخر (ج١، ص٣٢٤) عن درويش في الصعيد إنه كان يرتدي: «سترة مؤلفة من الخرق الكثيرة المختلفة الألوان، وإن هذا الدرويش بذاته مسخرة قائمة بذاتها. فسعة حزامه قدم وهو يعج بعدد كبير من الحلقات النحاسية».

المِدْماجة

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٢٣٣) هذه الكلمة بأنها العمامة.

الدِنِّية

الدنية، كما ترى المعاجم هي طاقية القاضي، وسميت كذلك لأن لها شكل الدن، أي شكل برميل كبير للخمر. ونقرأ في رسالة موجهة من قبل حمزة إلى القاضي (لدى دي ساسي، طرائف عربية - ج٢، ص٩٢ من النص) إن حمزة أمر، في كثرة ما أمر، بأن يلبس هذا الأخير دنية طويلة سوداء، لها عذبات صفر تتدلى على الصدر.

الدُّواج

إنني أجهل حتى الآن ما إذا كانت هذه الكلمة تعني على العموم رداء أو إنها تعني ضرباً خاصاً من الأردية. ويفسرها القاموس (ط كلكتا، ص٢٣٤) بأنها (اللحاف الذي يلبس).

راجع المقريزي (لدى گوزگارتن، طرائف عربية، ص١١٦).

الدائِرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي على رأي هوست (أخبار من مراكش، ص١٠٢) الذي يكتبها ديرة Déira تشير إلى رداء أزرق يرتديه الخاطب فوق الحيك، وإنني أفترض أن هذه الكلمة هي الاسم المؤنث المشتق من فعل دار (ملابس تحيط الجسم) (Vestis) ambiens (corpus).

المَداس

استعمل النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص٢٠١) في عبارة له كلمة نعل وكلمة مداس بدون تمييز أو تفريق. فنستخلص من ذلك أن كلمة مداس تشير إلى الكلمة الفرنسية صندل sandale، كما تشير إليه كلمة نعل. والواقع أن النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص١٥٦) يؤكد أن المعنى بكلمة مداس هي الصنادل المزركشة الجميلة المنظر البارعة الصنعة، التي يلبسها الرجال والنساء على حد سواء». وبوسعنا قراءة حكاية ملذة للغاية بخصوص المداس لدى م.ج. همبر في كتابه (حوليات عربية لم يسبق نشرها، ص٤١ - ٥٤).

Analecta Arabica inedita (pag. 41- 45) de M.J.: Humbert.

الذَّيْل

تشير هذه الكلمة، كما نعلم، إلى ذيل رداء أو ذيل ثوب إلخ. ولكنها تدل كذلك في مالطة على: تنورة من النسيج الأبيض (راجع ڤاسيلي في كتابه ڤويميس مالطي، مجموعة ١٥٧). ويكتبها فيسكيه في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص٦) هكذا «ايديل l-deil»، ويقول عن الذيل: «تنورة من التيل أو القطن الأبيض، ترتديه القرويات في جزيرة مالطة».

التَّرْجيل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بمعنى مركوب.

وإن النصوص التي نحن واجدوها في كتاب ألف ليلة وليلة (تجدون هذه الكلمة، بهذا المعنى ثلاث مرات في الصفحة ٨٧ من الجزء الأول من طبعة مكناگتن) لا تدع مجالاً للشك حول هذا المعنى لكلمة ترجيل. والحقيقة أن كلمة ترجيل في الصفحة المذكورة مستعملة للدلالة على نفس ما تعنيه كلمة مركوب سولييه Soulier، فتورنس إذن مصيب كل الإصابة حين يترجم في كتابه (أنس الليالي العربية، ج١، ص١١٤) الكلمة إلى شوز Shoes. وأرجو أن يعذرني لين، كما أؤمل، إذا كنت لست مستحسناً ترجمته، حينما يترجم كلمة ترجيل بكلمة صندل Sandales (ألف ليلة وليلة، ج١، ص١٦٣).

الرِخاية وجمعها الرِخايات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) الكلمتين

الأسبانيتين على هذه الشاكلة: Escarpins et peal. ويتحدث توريس في (قصة الشرفاء، ص٨٦) عن الـ(الاسكاربينات) الخفاف التي يسميها رياس Reyas كما يدعوها جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش، ص١٣٨) الرياهات Rayahat أو البانتوفلات الحمراء Pantoufles rouges لنساء مراكش.

الرُّسّة، الأُرْسوسة

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٧٦٤) هاتين الكلمتين بكلمة قلنسوة. راجع هذه الكلمة.

الرسِية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وأعتقد إنها تشير إلى نفس النوع من عمرة الرأس المسمي رسة، ومعنى ذلك القلنسوة، وإني أزعم عدا ذلك أن الكلمات رسة وارسوسة ورسية مشتقات من كلمة رأس، وفي العبرية روش: واقرر أخيراً لفظها رسية. وقد وصف الشاعر الصقلي ابن حمديس أحد القصور، لدى (النويري، نهاية الأرب، مخ٢٧٣، ص١٠٦) فقال: (الكامل) خلعت عليه غلائلاً وَرُسيَّةً (شمس البيت).

وترجمتها: «خلعت عليه الشمس تكريماً له البسة، وهي الغلائل (الملابس الصفراء) وحبته كذلك رسية».

أمام الشاعر هنا بريق الذهب ولألأوه اللذان يسطع بهما هذا القصر، وقد زادته أشعة الشمس توهجاً على توهج. فيخيل إليَّ إذن إن بوسعنا أن

نستخلص من هذا البيت أن عمرة الرأس المسماة رسية كانت ذات لون أصفر[١].

الرُصافِيَّة

يدور البحث في عبارة لابن خلكان (ط دي سلان، ج١، ص١٥٥) عن هذا النوع من العمرة، وبعد هذا الكلام بقليل سميت سترة الرأس هذه قلنسوة. وقد سبق للبارون دي سلان (راجع الترجمة الانكليزية لكتاب ابن خلكان، ج١، ص٣١٥) إن لفت الأنظار إلى أن الرصافية كانت على هيئة طاقية ومن نوعها، وهذه الهيئة لم نعد نعرفها اليوم على وجه الدقة والتحديد. وإنني أجهل ما إذا كانت الرصافية التي كانت تلبس في بلاط بغداد هي من نوع العرقية Calotte والمسماة في مصر (كلوتة) أم من نوع الطاقية Bonnet، أم هي قلنسوة[٢].

الرُطَفَل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

أما في الأندلس فيطلق اسم رطفل على نوع عصابة رأس لها شكل الشبكة، وهي شبيهة بالشبكة التي تدعى بناقة. راجع بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) حول هذه الكلمات:

«Alvanega de red et capillejo de muger».

ويرى هذا المؤلف إن جمع كلمة رطفل رطفلات وكذلك رطافل.

---

(١) توهم المستشرق الكبير فحسب أن الواو في كلمة . ـة هو حرف عطف فأخطأ. وبني افتراضه على خطأ، فوصل إلى نتيجة خاطئة خطـ ـكبأ (المترجم).

(٢) أم هي الجراوية البغدادية بمختصر العبارة؟ (المترجم)

المُرَقَّعة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

وهذه الكلمة تشير إلى نوع دلق أو خرقة وهي الثوب المرقع، الذي يستعمله الأولياء والفقراء الأدعياء. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٠٢) في معرض حديثه عن أحد النساك: «لباسه مرقعة وقلنسوة لبد». ويقول في موضع آخر متحدثاً عن قديس أو ولي من جبل لمعان: «وعليه مرقعة وقلنسوة لبد، وليس معه ركوة ولا إبريق ولا عكاز ولا نعل». ونقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص١٣٣): «فلما قرأ مراسيم السلطان أخذ على رأسه المصحف وتشفع بأنه ما بقي يلبس الولاية ولا وضع على رأسه كلوته. وقد لبس مرقعة وصار من جملة الناس». . ونقرأ في (رحلة ابن بطوطة، مخ، ص٨٩): «وأمره في الكرم غريب. وربما جاد بكل ما عنده. وبالثياب التي عليه ويلبس مرقعة. فيدخل عليه كبراء المدينة. فيجدونه على تلك الحالة فيكسونه».

هذا النوع من اللباس المرقع ترتديه النساء أيضاً. فنحن قارئون في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص٢٢٨): «ولبست مرقعة ووضعت على رأسها إزاراً عسلياً». والحديث جار حول إحدى العجائز.

المَرْكوب وجمعه المَراكيب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير إلى مداس، وتوجد أحياناً في كتاب ألف ليلة وليلة. راجع مثلاً (ط مكناگتن، ج١، ص٨٦ - ٨٧) وانظر كذلك (ط هابيخت ج١، ص٢١٩، ٢٢٠ - ٢٢٢). فنحن نقرأ في وصف مصر (ج١٨،

ص١١٠): «هناك زوجان من المركوب أو فردتان من المداس حمراوان». ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٢): «إن المراكيب تصنع من الجلد المراكشي الأحمر السميك، وهي مدببة وأنوفها شامخة إلى العلاء». ويرد في رحلة ستيفنس (حوادث رحلة إلى مصر وبطرا العربية والأرض المقدسة، ج١) ذكر المراكيب الواسعة الحمراء، لأحد تجار القاهرة، التي يلبسها فوق المز الأصفر (Yellow slippers). وهذه الكلمة، حسبما أعلم، لا تستعمل إلا في مصر.

الرُّوَيزي

يرى القاموس أن الرويزي هو الطيلسان. راجع هذه الكلمة.

الرَّيْطة - الرائِطة

نقرأ لدى الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٥٠٧) إن الريطة هي «الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين». وجاء في القاموس (ط كلكتا، ص٩٤١): «الريطة كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة أو كل ثوب لين رقيق كالرائطة». وكلمة ريطة لها المعنى نفسه في شروح مقامات الحريري (المقامات، ص٢٥٥): «الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة. قال الشريشي: «الريطة عند العرب ثوب رقيق شبه الملحفة». ويقول التبريزي في (شرح الحماسة، ص٤٩٢): «الريطة هي الملاءة». ويقول بعد ذلك (ص٥٠٤): «هي الملاءة إذا لم تكن ذات لفقين».

والحقيقة إننا سنرى لدى كلمة ملاءة إن هذا الثوب يتألف من لفقين مخيطين معاً، أما الحبرة المحدثة فتتألف هي كذلك من لفقين مخيطين

معاً. وأما الرداء الواسع المسمى ريطة فتلبسه النساء (كتاب الأغاني لدى كوزگارتن، طرائف عربية، ص١٣٧). رجع البقية في كلمة ملاءة. وكانت ريط الشام على الأخص مشهورة للغاية. (راجع النويري، نهاية الأرب، مخ٢٧٣، ص٩٦).

ولكن كلمة ريطة، كما وردت في عبارة من مقامات الحريري، ص٢٥٤ - لا يمكنها أن تشير إلى رداء واسع. فنحن نقرأ: «فإذا شيخ عاري الجلدة - وقد اعتم بريطة». ويلاحظ الشارح (ص٢٥٥)، والحق معه، إن كلمة ريطة ليس لها هنا المعنى الذي تشير إليه عادة. فلو كانت كلمة ريطة تدل هنا على رداء لما استطاع المؤلف أن يقول: «فإذا شيخ عاري الجلدة». وعلاوة على ذلك فإنني سأجيز لنفسي ملاحظة إن هذه الجملة قد تلتها جملة أخرى مباشرة هي: «واستثفر بفويطة». وعلى ذلك فلو كانت الكلمة هنا قد أشارت إلى رداء كبير لما استطعنا أن نرى الخرقة التي كانت تستر عورة الشيخ. ولذلك قال الشارح أن الريطة تدل على كُرْزية (حقيقة قوله: شبه الكرازي) ومعنى ذلك خرقة من الصوف تلف الرأس. وإن الكلمة قد زحزحت عن معناها الأصلي (مغير عن أصله)، وكذلك كلمة فوطة، التي لم تكن في الأصل تشير إلا إلى قطعة قماش غليظة مستوردة من الهند، ولكنها بعد ذلك أصبحت تشير إلى (ضرب مما يعتم به). وهكذا نرى أن الشارح لا هو ولا مؤلف هذا الكتاب قد اتفق أحدهما مع فريتاگ حول المعنى الذي يشار به إلى كلمة ريطة في هذا النص[1].

---

(١) جاء في تكملة المعاجم العربية للمؤلف - تحت كلمة «ريطة» البيت التالي - الوارد لدى النويري في تاريخ أفريقيا (ص٥٠) المشير إلى المرابطين ولثامهم:

إذا التثموا بالريط خلت وجوههم ... أزاهر تبدو من فتوق الكمائم

(المترجم).

الزِبُّون

لا وجود لهذه الكلمة التركية الأصل في القاموس.

والزبون اسم نوع من الصديري أو السترة القصيرة، وكل منها له كمّان واسعان - مطرزان. والزبون معروف غاية المعرفة في طرابلس الغرب. راجع «رحلة النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٦) حيث تجد كلمة زبون.

الزَرْبول - الزَرْبون

أحيل القارىء إلى الكلمة الأخيرة، اعتقاداً مني بأن هاتين الكلمتين ليستا سوف تحريف لكلمة شربيل.

الزُرْمانْقَة

لعدم وقوعي البتة على هذه الكلمة، فليس بطوقي أن أضيف شيئاً إلى التفصيلات المعطاة من قبل فريتاگ. إذن تشير هذه الكلمة إلى نوع جبة صوفية ويرى بعضهم إن هذه الكلمة ما هي إلا تحريف للكلمة الفارسية اشتربانه، ويقولون إن هذا اللباس قد اكتسب هذا الاسم لأنه كان يطلق بصورة خاصة على حداة الإبل. (من اشتر وهو الجمل، ومن بان وهو الحارس ومن الحرف الملحق الهاء المربوطة). ويقدر آخرون إن هذه الكلمة هي عبرية (؟).

الزُّلْحمَ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش، ص١١٦ و١١٧): «ويرتدي بعضهم فوق الحيك زلحماً، وهو من نفس قماش الحيك. ومزود بقبع كبوشي لتغطية الرأس في أوقات سوء المناخ، ويعلق بهذا القبع لوزة من الحرير الملفوف تتدلى على الظهر. ويحلى قبل هذا اللباس من الجهة الأمامية أحياناً بلوزات على الطريقة التركية. وهذه تكون مطرزة الحواشي من الأسفل وذات هدبات صغيرة وحواش بديعة. راجع اللوحة الخامسة عشرة - الصورة الثالثة والصورة الرابعة». ويكتبها لمْپرير في كتابه (سياحة في مراكش - ص٢٢٩ - ٢٩٥) هكذا Sulam، ويقول إن الزلحم رداء فضفاض هفهاف معمول من الصوف الأوروبي الأزرق أو الأبيض، وهو يتدلى حتى القدمين وقد زود بقبع كبوشي لوقاية الرأس. ويكتب ريلي Riley في كتابه (بوار تجارة السفن الشراعية الأمريكية، ص١٩٦ و١٩٨ و٤٣١) هذه الكلمة على نفس الشاكلة، ويعرض علينا الرحالة التفصيلات التالية: «إن المعطف أو الـSulam مؤلف من جوخ أسود غليظ أزب أشعر، والطريقة المعمول بها تماثل طريقة عمل المعطف الأوروبي، وهو مزود بقبع كبوشي. ومع ذلك فهو مقفل من منتصف الصدر، وهكذا فلأجل أن يرتديه صاحبه يتحتم عليه أن يدخل رأسه من الفتحة العليا، وهو يغطي من لابسه الذراع، وهكذا يرتديه المرتدون».

ويكتبه همسو دي گرابر في كتابه (مرآة جغرافية وإحصائية للامبراطورية المراكشية، ص٨١) هكذا (سلهم) Sulham ويقول إنه معطف يصنع عادة من الكشمير الأبيض. وهو أوسع من البرنس،

ويلبس بدله. ويقول جاكسون في كتابه (تقرير عن مراكش، ص١٣٨): «إن هذه الكلمة تلفظ وتكتب هكذا (Silham)، وهو كما يرى هذا الرحالة معطف من الجوخ الأزرق العاتك، ومرتدوه هم البربر» وبعد ذلك (المرجع نفسه) يعلمنا المؤلف نفسه إن رجال البلاط لا يرتدون الحيك مطلقاً أثناء مثولهم بين يدي الامبراطور، ولكنهم يلبسون الزلحم دائماً، أو يرتدون معطفاً مشغولاً من الصوف الأبيض.

الزَّعْبوط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٤). إن الزعبوط يرتدي في مصر من قبل الذكور من سواد الشعب، وهو معمول من قماش أسمر وتفتح فيه فتحة من العنق إلى حدود الحزام وله كَمّان واسعان. ويلبس عادة في الشتاء. ويقول بارثي في كتابه (جولة خلال صقلية والمشرق، ج٢، ص٢٧٥): «لا يرتدي الفلاحون في مصر إلا دراعة (جلباباً؟) سمراء غليظة».

ولا مرية أن هذه الكلمة ليست عربية. وسنرى في قابل الصفحات أن الكلمة الأسبانية çapote قد تسللت إلى اللغة العربية التي يتكلمها الأفارقة فهي لديهم (كبوط). ومن المحتمل أن كلمة زعبوط كانت (كابوت) Capote فلفظ الحرف (ç) كالسين لإلحاق علامة السيدي cedille بقاعدته فأصبح çapote (سابوت) (زعبوط). ومع ذلك فلا تأخذوا قولي على أنه أكثر من تخمين.

الزُّنْجَب، الزُّنْجُبان

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٩٨) هاتين الكلمتين بأنهما المنطقة، أي الحزام الذهبي أو الفضي.

الزَّنْجَبَة

تشير هذه الكلمة إلى ما تشير إليه الكلمة الفرنسية (تورنير) Tournure لفافة، ويفسرها القاموس (ط كلكتا، ص٩٨) بكلمة العظامة.

الزُّنّار

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن كلمة زنار تدل على حزام، ولكن هذا النوع من الحزام لم يكن يلبسه إلا المسيحيون كما يؤكد ذلك الزمخشري: مقدمة الأدب وبهذا المعنى نقع على هذه الكلمة لدى الكتاب: (Lexicon Arab. Pres., part. 1, pag. 51) الشرقيين، وليس من واجب مجهودي هذا التحدث عن الملابس التي يرتديها النصارى في الشرق، ولو لم يكن لكلمة زنار حتى الآن معنى آخر لما سمحت بقبولها في قاموسي. ولكن هذه الكلمة كانت تشير في أسبانيا كذلك إلى: مئزر غليظ يلبسه الفلاحون. ويفسر بيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه الكلمات:

Capote vestidura sustica وكذلك vesidura para el campo بكلمة زنار وجمعه زنانير. ونجد في الإحاطة لابن الخطيب (مخ دي گايانگوس، ص١٨٧) النص التالي: «فرجعت إلى داري وقلت أخرج إلى الوادي إلى

باب القنطرة اغسل ثيابي من درن السجن وأفر إلى العدو. فقلت لامرأة تغسل الثياب: «اغسلي ما عليَّ. وجردتها. ودفعت لي زناراً ألبسه. فبينما أنا كذلك وإذا بالخصي قائد ابن مرذنيش (كذا) يسوق سنين (ستين) رجلاً من أهل الجبل لابسين الزنانير. فرآني على شكلهم فأمر بحملي إلى السخرة والخدمة بحصن مشقوط عشرة أيام. فقمت أخدم وأحفر مدة عشرة أيام»[1].

---

(١) لقد لاحظت في موضع آخر في (الصحيفة الآسيوية، س٤ ج٣، ص٤٠٠) من المحتمل كثيراً أن كلمة خديم تشير إلى جندي. والواقع أن مويت Mouette يؤكد في كتابه (نهاية غزوات مولاي رشيد إن رماة السهام في مراكش يسمون Le Codem الخديم. فمن السهولة إذن أن نرى إن كلمة Le Codem ليست سوى الكلمة العربية الخدام، وهي جمع خادم، والكلمة لها معنى كلمة خديم. وكلمة خدمة الموجودة في نصنا، تؤخذ بمعنى خدمة عسكرية. وابن الخطيب (مخ دي گايانگوس - ص١١٠) حين يتحدث عن أحد القواد البارزين، يعرب عن فكره بهذه الكلمات: «كان له في الخدمة مكان كبير وجاه عريض». ولعل هذا يجعلنا نفكر بوجوب ترجمة الجملة هكذا: في الخدمة بوصفه جندياً. وبعد ذلك يجب ترجمة الكلمتين العربيتين (فقمت أخدم، هكذا: فقمت أخدم في هذه القلعة بوصفي جندياً. ومع ذلك فلا أعتقد بلزوم ترجمة هذه الجملة على هذا المنوال. والصيغة الثانية لفعل خدم تؤخذ على أن لها عدة مفاهيم عبثاً يبحث عنها الباحثون في قواميسنا. وتستعمل بمعنى اشتغل وعمل. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس - ص١٩٦)، وكان يخدم أصحابه ومماليكه في خدمة البستان وبنائه ويقول: لا أرضى أن يأكلوا طعامي وهم لا يخدمون.

وكلمة خدمة تؤخذ كذلك بمعنى اشتغل وعمل، فنحن نقرأ لابن سعيد لدى فريتاگ: (قادراً على الخدمة). ونطالع لدى ابن بطوطة (مخ، ص٢٠١): كان عبيده يخدّمون تلك الأرض نهاراً. وقد رأينا في نص ابن بطوطة المتقدم إن كلمة خدمة قد استعملت بمعنى الفلاحة في بستان. وأخيراً فإن هذه الكلمة تستعمل بصورة خاصة في معرض الحديث عن أعمال البنائين والفعلة الآخرين. ويقدم لنا ابن بطوطة =

الزنط وجمعه الزنوط

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٣٩٠، حوادث سنة ٨٤٠) - أشهر السلطان المنادي في القاهرة بأن لا فلاح ولا غلام يلبس (رنط) (كذا) أحمر فامتثلوا ذلك. ونقرأ بعد ذلك (ص٤٠١): ثم إنه نادى (بان؟) لا فلاحاً ولا عبداً يلبس رنطاً (كذا) أحمر. وكانت الغاسلة إذا طلبت إلى ميتة تفعل كما تقدم[1]. وقيل إنه رأى في المنام عرباً بزنوط (كذا) حمر شاه حتينه (ختينه؟).

إن السبب الوحيد الذي حملني على وضع هذه الكلمة في باب الزاي وليس في باب حرف الراء هو اعتقادي بأن احتمال إغفال وضع النقطة فوق الراء أكثر سهولة من إضافتها إلى حرف الراء من قبل الناسخ. وعلى كل حال، فإنني اعترف بجهلي التام حول نوع اللباس الذي تشير إليه هذه الكلمة.

السُبّجة، السبيج، السَبيجة

يقول الجوهري (ج١، ص١٤٢) عن سبجة إنها (كساء أسود)، ويقول القاموس (ط كلكتا، ص٢٣٦) المقالة نفسها، ولكنه يضيف إن هذه الكلمة تشير كذلك إلى البقيرة. أما سبيج وسبيجة، فالجوهري يقول: البقير

= (مخ، ص٨٦) النص التالي: «ولما بنى أساسه رفع عن أهل المدينة التخديم فيه. وصارت الفعلة تخدم فيه (فيها) بالأجرة. وكلمة تخديم الموجودة في هذا النص الأخير ستبرر لفظي خدم بالصيغة الثانية في الأمثلة المتقدمة وفي نصنا المقتبس من ابن الخطيب، الذي له في الحقيقة شبه كبير بنص ابن بطوطة الأخير.

(١) راجع كلمة عصابة.

وأصله بالفارسية شبي وهو القميص. والمعروف إن الكلمة الفارسية سبي تدل على قميص النوم (إن شميز دي نوي Une chemise de nuit) كما يقول العرب.

السَبْلة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الثوب الأول من الثياب التي تتألف منها التزييرة، أي الزي الذي تلبسه النساء في مصر فوق أثوابهن الأخرى، حين يبرزن من منازلهن. ونحن نقرأ في وصف مصر (ج١٨، ص١١٣): «السبلة قميص كبير من التفتا يغطى كافة الملابس». (إلا الحبرة والبرقع، فهو يغطي جميع الملابس التي ترتديها النساء في البيوت)» وتتدلى حتى الأرض. والنساء يلبسن السبلة عند خروجهن من دورهن، سواء رحن إلى الحمام أو قمن بزيارة. وهن لا يخلعنها إلا إذا رجتهن خلعها من أدين الزيارة لها، لا سيما إذا كانت من علية القوم». ويؤكد لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٦١) إن هذا اللباس كساء واسع هفهاف، وإنه يسمى بالثوب فيساوي على وجه التقريب طوله بتمامه، وهو مصنوع من الحرير، ويكون عادة قرنفلي اللون وقد يكون ذا لون وردي أو بلون البنفسج. وليس هناك أدنى ريب بأن هذه الكلمة مشتقة من فعل أسبل.

السَبنيّة

إن هذه الكلمة هي بالتخصيص اسم جنس جمعي مؤنث من كلمة سبنيّ، وهي تشير إلى أقمشة مصنوعة في سبن Saban (مدينة قرب بغداد). ولكن كلمة سبنية في المغرب تدل على حزام أو منطقة

(Strophium) هكذا سيرى دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص٨٢)[1].

التساخين

يرى اللغويون العرب إن هذه الكلمة تدل على نوع من الخفاف وعلى ضرب من الطيلسان.

السُدُوس أو السَدوس

حول النطق بهذه الكلمة بوسعكم مراجعة تعليقة للعلامة الجليل هامكر المثبتة في كتاب ڤيرس المعنون (ابن زيدون، لدى الفتح بن خاقان، ص١٢٨). وهذه الكلمة تدل، في مذهب اللغويين العرب، على طيلسان أخضر.

وهناك بيت لأبي عبيدة، يرويه ابن الخطيب.

راجع (هامكر في كتابه القيم). وارجع إلى الجوهري (حول كلمة سندس، ج١، مخ٨٥، ص٤٢)، وانظر شارح ابن خاقان لدى ڤيرس كتابه القيم، ص٣٧ و١٢٦)، وهذه كلمات البيت (الطويل):

وداويتها حتى شتت حبشية   كأن عليها سندساً وسدوسا[2]

(١) إن كلمة سبنية تدل كذلك على قطعة قماش أو على منشفة. ويفسرها المطرزي في كتابه (الإقناع، مخ معهد البلاد المنخفضة، رقم ٧٣ ص٦٤) بكلمة شقة. ويقول ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس) ثم جاء أحد الفتيان ببقشة. والبقشة بضم الباء الموحدة وسكون القاف وفتح الشين هي السبنية (المعجم). وبوسعكم مراجعة تعليقات كاترمير حول كلمة بقشة. وقد سبق لي إن ألمعت إلى هذه الكلمات.

(٢) في مخطوطة ابن قتيبة تجد (وداريتها)، وHamaker يفضل هذه الكلمة، ومع ذلك -

«لقد عالجتها بحيث إنها الآن تستطيع قضاء الشتاء كامرأة حبشية (أي: تكاد تكون عارية)، وبوسعها القيام بهذه العملية بكل أمان واطمئنان، كما لو كانت مكتسية بالحرير أو بالسدوس». ويخيل إلينا أن بوسعنا أن نستخلص من هذا البيت أن السدوس كانت ترتديه النساء في الشتاء بصورة خاصة، ليقيهن من البرد.

السِيدارة

إننا نقرأ القاموس (ط كلكتا، ص٥٤٩) إن السيدارة بالكسر هي الوقاية تحت المقنعة والعصابة. إذن فهي نوع من طاقية.

السِرْبال

إنني لا اجرؤ على التأكيد، كما صنع فريتاگ، بأن هذه الكلمة هي تحريف للكلمة الفارسية شلوار، فهي على أقل تقدير لها معنى آخر مغاير كل المغايرة. ويرى القاموس (ط كلكتا، ص١٤٧٠) إن السربال هو: القميص أو الدرع أو كل ما لبس. ونجد كلمة سربال مفسرة في شرح أشعار جرير (مخ٦٣٣، ص٢١١) بكلمة قميص. ويرى كانيس في كتابه (النحو العربي الأسباني، ص١٧١) إن كلمة سربال تشير إلى قميص أو إلى قباء أبيض يرتديه الجنود والحوذيون لوقاية ملابسهم من الأدران.

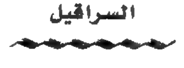
السَرْموز، السَرْموزة، السُرموج، الزرْموزة، الجُرْموق

إن هذه الكلمات جميعاً ما هي إلا تحريفات للكلمة الفارسية

= فإن الجوهري وشارح ابن خاقان متفقان على كلمة النص، وهي تعطي معنى أفضل.

سرموزة، وهي نوع من طماق أي من غطاء من لباد للساق يلبس فوق الخف. وكانت كلمة جُرموق تلفظ قديماً كما هي (جُرموق)، وهي الكلمة التي يشرحها الجوهري (ج٢، مخ٨٥، ص١١١) بأنها الخف الواسع الذي يلبس فوق الخف). ولكن يبدو إن كلمة سرموز قد استعملت في العصور المحدثة للإشارة إلى ضرب صندل، نعل - أو ربما لتدل على شبشب تلبسه النساء فوق أخفافهن. وفي أيامنا هذه يستعمل البابوش أو البابوج نفس الاستعمال. فنحن نقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٦٠): وبه إلى الآن سكن يباعي إخفاف النساء ونعالهن التي يقال للنعل منها سرموزة. هو لفظ فارسي معناه رأس الخف. فإن سر رأس وموزة خف. وأرى إننا ميالون إلى الاعتقاد، تحت طائلة نص المقريزي هذا، إلى أن السرموزة لم تكن تلبسها إلا النساء، ولكنها كانت تلبس أيضاً من قبل الرجال، خلال القرن السادس عشر على الأقل، عندما كتب كتاب ألف ليلة وليلة. (راجع ط مكناگتن، ج٢، ص٦٥، وط هابيخت، ج٢، ص٣٤). ويبدو أن هذه الكلمة لم تعد تستعمل في مصر. ومع ذلك ينبغي ملاحظة أن اتلكونت دي شابرول في كتابه (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٩) قد ذكر البابوج والسرمة، وهما من الأحذية المصنوعة من الجلد المراكشي التي توضع فيها القدم مغطاة بالمز Mest (راجع كلمة مز). فحين يدخل الداخلون إلى إحدى القاعات المفروشة بالسجاجيد فإنهم يخلعون بوابيجهم والسرمة: هذا ما تقتضيه الآداب. فهل يحق لنا أن نستنتج بأن كلمة سرمة اختصار لكلمة سرموزة؟.

السراقيل



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولا أدري معنى هذه الكلمة بأي وجه من الوجوه. ولكننا نقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٤٧) إن العواهر كن يلبسن السراقيل الحمر في أرجلهن (وفي أرجلهن سراقيل حمر). وإن المخطوطة التي تحمل إشارة الباء (B) تذهب المذهب نفسه.

السِروال، الشِروال، السرول، السراويل

إننا نقرأ في صحيح البخاري (ج٢، مخ٣٥٦، ص١٦٧) إن النبي ﷺ قد حرم على من يحج إلى مكة ارتداء السراويل. ويجب أن تحمل محل كلمة السراويل الإزار، فإذا لم يستطع الحاج إيجاد الإزار فيجوز له ارتداء السراويل. وهكذا نرى أن كلمة سراويل مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار، وكانت مستعملة منذ العهود الإسلامية الأولى.

والسراويل كانت شائعة الاستعمال في الأندلس. فهناك عدة مؤلفين عرب من شبه الجزيرة هذه قد تحدثوا عنها، والأسبانيون قد ضاعوا كلمتهم (zaraquelles) O caraguelles من الكلمة العربية.

وفي المغرب كذلك يستعمل هذا اللباس. فنحن نقرأ في كتاب دييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، مجـ٢، ص٢٨): «إن النساء يرتدين جميعاً لدى خروجهن من منازلهن تلك السراويل الكتانية، التي يجعلنها ناصعة البياض للغاية بمفعول الصابون، وهي تتدلى حتى تصل إلى مواضع أقدامهن». ويتحدث دارڤيو في كتابه (المذكرات، ج٥، ص٢٨٩) عن رجال مدينة الجزائر فيقول: «إن لبعضهم قمصاناً وتبابين (سراويل) ومعظمهم لا يملكونها قط، وخصوصاً في فصل الصيف، فإن حرارة الطقس تعفيهم من هذه النفقات. أما مغاربة الريف، الذين هم علماء القوم وفقهاؤهم فإن لهم على الدوام أقمصة وسراويل تكريماً لهم

واعترافاً بفضلهم، وهم يلبسونها احتشاماً». وبعد ذلك (ص٢٨٥): «سراويل القنب لسكان مدينة الجزائر». ويقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج٢، ص١٠٢، مجـ٢) في معرض حديثه عن الرجال في فاس: «يرتدي كل منهم سروالاً من القنب يتدلى حتى كعبي قدميه، وهو ضيق للغاية من أسفله».

والسروال القديم (أو دي شوس) (Le haut-de-chausse) الذي يلبسه الرجال في مدينة فاس وارد ذكره لدى دييگو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء، ص٨٥). كما نجد لدى غليوم ليتغوف (ص١٧ - ج٢، رحلات برية في القرن التاسع عشر Guillaume Lithgouve) أن «الرجال والنساء في مدينة فاس يرتدون السراويل (Lange broecken) في حين أن كعب القدم مكشوف». ويؤكد مارمول (ج٢، ص١٠٣، مجـ١) إن النساء في فاس، لا سيما الأسبانيات الأصل، يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن، سراويل مفرطة في الطول، يطوينها طيات متعددة ليظهرن جمال السيقان حسب أهوائهن (Para proporcionar la pierna) ما دامت هذه الثياب المرلوطات (Las marlotas) لا تصل إلا إلى منتصف الساق». وإذا آمنا بما يقوله دييگو دي توريس (ص٨٦) فإن النساء في مراكش يرتدين السراويل التي هي واسعة من الجهة العليا وتضيق من الجهة السفلى، وتتدلى حتى ربلة الساق». ومع ذلك فإن مارمول (ج٢، ص٣٣، مجـ٣) يلاحظ بنفاذ بصيرة إن نساء مراكش لا يرتدين مطلقاً هذا الثوب:

«No acostumbran traer caragueles como las de Fez».

وحتى الرجال في فاس لم يكونوا يرتدون هذا اللباس، إذا كان ليون الأفريقي يقرر الحقيقة في كتابه (وصف أفريقيا، ص٣١٩). وأخيراً فإننا نطالع في كتاب (أخبار من مراكش ص١٧٧): «أما الأغنياء فيرتدون سروالاً من القنب الأبيض، الذي يدعى سروالاً Serûal، والذي هو في

معظم الأحوال واسع فضفاض بإسراف. وأما البحارة فيرتدونه عادة من الجوخ. راجع اللوحة الخامسة عشرة، الشكل الثاني».

وكل ما أعلمه أن المغاربة ليست لهم كلمة أخرى للدلالة على هذا اللباس، وليست الحالة على هذه الشاكلة مطلقاً في مصر حيث، كما سنبرهن على ذلك بعد قليل، تستعمل كلمة لباس للإشارة إلى ما تشير إليه السراويل بالذات، وحتى في أيامنا هذه، فإن كلمة لباس شائعة الاستعمال للدلالة على السروال أو التبان فقط. (راجع كلمة لباس). ويقرر الكونت دي شابرول إن كلمة شروال (كذا) تشير إلى سروال مملوك، وهذا السروال أحمر ومصنوع من الحرير البندقي». (وصف مصر، ج٨١، ص١٠٧). وفي هذه العبارة يجب إحلال كلمة بنطلون Pantalon محل كلمة كيلوت Culotte. راجع الصورة في كتاب ويتمان (رحلات إلى تركية الآسيوية وسورية ومصر، ص٢٤٢).

ويبدو أن بدو مصر لا يرتدون التبان ولا السروال ولا البنطلون، لا رجالهم ولا نساؤهم. ولنمض الآن من مصر إلى سورية.

يقول بلون في كتابه (ملاحظات، ص٣٢٧) في الفصل الذي عقده حول مدينة الناصرة: «لا يلبس أهلها الذكور التبابين مطلقاً ولا يستعملون الجوارب ولا يرتدون السراويل، ولكن نساءها يرتدين هذه الملابس جميعها، تماماً كما يصنع الأتراك».

ويؤكد روالف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص٤٩) إن سكان طرابلس الشرق «يلبسون وبصورة خاصة في موسم الصيف، سراويل من القطن واسعة فضفاضة بيضاء بياض الثلج، وهي تتدلى حتى كعب القدم، وإنها محكمة الضيق من الأسفل وليست كذلك من الأعلى. وهي كذلك محرومة من الرافعات الخافضات، لاستطاعة غسل الأعضاء الطبيعية (العورة) والأقدام بدون عائق، أثناء التطهرات الشرعية اليومية، التي

يغسل القوم خلالها سواعدهم وأيديهم فيما يغسلون». وبعد ذلك (ص٥٠، ٥١) يقول هذا الرحالة عن نساء هذه المدينة، إنهن يرتدين سراويل واسعة شبيهة بسراويل الرجال». وهن يجعلنها طويلة بحيث إنهن يدرجن ثيابهن في هذه السراويل من الأسفل أحياناً». وتصنع عادة من النسيج الرقيق اللين، وتتألف بحلاوة وأناقة من عدة ألوان، وقد طرزت أذيالها الجانبية بتطريزات بديعة». ويذكر المؤلف نفسه أخيراً بعد ذلك (ص١٣٣) وهو يصف زيه الذي تزيا به للسفر من حلب إلى بغداد، فيقول أن «بنطلونه من القطن الأبيض الهابط إلى كعب قدمه».

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص٤٦) عن رجال طرابلس: «إنهم يسترون سيقانهم بالسراويل العريضة المصنوعة من القنب أو من نسيج آخر، وهي تتدلى حتى الأقدام». وبعد ذلك (ص٤٨): «وتستعمل النساء كذلك السراويل». ويذكر دي پرين أيضاً (الرحلات، ص٣٦٢، إلخ) «سراويل نساء حلب التيلية» ولكنه يضيف قائلاً: «على أنهن يرتدين السراويل المصنوعة من أقمشة أخرى، حسب متطلبات الموسم». انظر هيئة هذا اللباس في الشكل الرقم ١٨٩. ويقول دارڤيو في مذكراته (ج٦، ص٤٢٥) بأن «نساء حلب» يرتدين السراويل الطويلة كما يرتديها الرجال». ويصف لايت في كتابه (رحلات إلى مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص١٤٦) متحدثاً عن رحلته من يافا إلى الرملة وإلى القدس أزياء البغالة المسمى واحدهم (مكاريا) فيقول: «إن الشرويل Le sharweel أو السروال، لاكيلوت La culotte واسع فضفاض، وهو يتدلى حتى الركبتين، وقد صنع من الجوخ»[1].

(١) تتواجد هذه الكلمة كثيراً لدى الرحالين. ونجدها محرفة إلى Mucrelli في قصة بومكاراتن في كتابه (الزيارة، ص٥٧). وللمؤلف جان زوالار في كتابه (الرحلة المثلى إلى أورشليم، ص٧٢ – ٧٤) فصل تام عنوانه المكارون: Des Mouqueres، –

ويقرر دارفيو في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم، ص٢٠٦): «إن أمراء وشيوخ البدو في سورية يرتدون في موسم الشتاء السراويل من التيل، كما يرتدونها في الصيف». (المرجع السابق ص٢٠٨، انظر المرجع السالف، ص٣٧٤): «وللسيدات سروايل من الموصلي وهي مطرزة بالحرير من أطرافها وفي مواضع الخياطة» (المرجع السابق أيضاً) «ويرتدي سواد العرب سراويل من التيل» (ص٢١١).

أما عرب الطبقي الوسطى في اليمن فيرتدون، حسب رواية الرحّالة نيبور في كتابه (وصف الجزيرة العربية، ص٥٨)، سراويل واسعة. وأما عرب الطبقة العليا فيرتدون السراويل أيضاً (المرجع السابق، ص٦٠). ويرتدي بعض سواد العرب السراويل كذلك. وتستعمل النساء في المناطق الجبلية هذه السراويل كذلك (المرجع السابق، ص٦١) وسراويلهن مصنوعة من التيل الأزرق ببعض التطريزات الملونة.

ويخبرنا علي بيك في كتابه (أسفار، ج٢، ص١٠٦) إن نساء مكة

= حيث يقص علينا كيف يتحتم على زوار بيت المقدس التصرف مع هؤلاء الرجال. ويبدأ الفصل على هذا المنوال: «إن المكارين هم أولئك الذين يعلفون ويؤآجرون الحمير التي يمتطيها النصارى للتجول في الحقول، من مكان إلى آخر، وهم يقومون بخدمة ومتابعة هؤلاء الزوار، كما يقوم بنفس العملية من نسميهم الفيتوريين في إيطاليا Vetturins. ولكن المكارين أشد بربرية من أولئك الإيطاليين، إذ أنهم رجال قساة ضعفاء المروءة: ومعظمهم يدعون أنهم نصارى: ولكنهم من أولئك المارونيين المسيحيين ذوي الأنطقة. وهم ليسوا ألطف ولا أرق من العرب، ولا تستطيع تمييزهم من العرب إلا بقبعاتهم السوداء الموضوعة على رؤوسهم، وهذه القبعات غير مغطاة بقماش أبيض كقبعات المغاربة المحمديين ولا كقبعات العرب».

ومن كلمة المكاري وضع البرتغاليون والأسبان كلمتهم المكرف: Almocreve.

يرتدين «سراويلات هائلة، تتدلى حتى بوابيجهن بل تدخل فيهما، أو قد تندس في خفافهن، وهي مصنوعة من القطن المخطط المجلوب من الهند». ويقول بركهات في كتابه (أسفار في الجزيرة العربية، ح٢، ص٣٣٩) إن لهن سراويل زرقاء ومخططة واسعة بأفراط تصل حتى كعوب أقدامهن، وهي من الأسفل مطرزة بالفضة، وقد شاع استعمالها بصورة عامة حتى بين رجال مكة. (راجع علي بيك، ح٢، ص١٠٨ مع بركهارت، ح١، ص٣٣٦).

وإننا واجدون هذا اللباس في الأقطار الشرقية فقد ذكر بكنكهام في كتابه (رحلة إلى بلاد الرافدين، ح١، ص٦) الشروال المصنوع من الجوخ الأزرق «Sherwal». (وتجدون أن هذا الرحالة يلفظ كلمة شروال بالشين كما يلفظها الكونت دي شابرول). راجع بيترو دلافاله (رحلة إلى تركيا وفارس ح٢، ص١٦١).

وقد انتشر استعمال هذا اللباس بصورة عامة في الجزيرة وفي العراق العربي. إذ يعرض لنا روالف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص١٩٠) وصفاً رائعاً يبعث على التأمل حول رحلته إلى مناطق الفرات. وبعد أن يتحدث عن مدينة Schara الصغيرة وقبل أن يتكلم عن (عانه)، يصور لنا من يسميهم Moren الذين يقارنهم بمن يدعون Zigeuner (الغجر) ولعلهم البدو ممن يعرفون ببني سعيد، ما دام فريزر في كتابه (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ح١، ص٣٦٦) يسميهم قبيلة بني سعيد Beni Saeed وهم العرب الذين يوجدون أكثر ما يوجدون في الشمال على ضفاف الفرات، في شيرين Shereen. ويقول راولف بهذا الصدد: «إن الرجال لا يرتدون السراويل، ولكن نساءهم وحدهن يرتدينها. وسراويل هؤلاء النسوان معظمها من اللون الأزرق، وهي تصل إلى كعوب أقدامهن، مثلهن مثل النساء التركيات.

وسأتحدث في قابل الصفحات عن تعبير سراويل الفتوة. (انظر كلمة لباس).

السقمان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويحدثنا المقريزي في كتابه (وصف مصر، ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٠) إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانوا يلبسون، أيام حكم السلالة التركية (الجركسية) فوق الخف، السقمان (وفي أرجلهم من فوق الخف سقمان وهو خف ثان).

السلاري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وكان السلاري أو القباء السلاري (قباء الأمير سلار) هو اللباس الذي كان في غابر السنين (بغلطاق). راجع هذه الكلمة.

السَلْطة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى لين في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٥٨) إن هذه الكلمة تشير إلى سترة Jaquette تصنع عادة من الجوخ أو من القطيفة، وهي مطرزة على طراز تطريز الجبة، وإن النساء في القاهرة يرتدينها في غالب الأحيان بدل الجبة. ويكتبها فيسكيه (سلته) في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص٤١)، ويشرح هذه الكلمة بأنها سترة فوقانية للرجال والنساء.

السِليفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٩) إنها نوع زينة أو إكليل للرأس يشبه العذبة وتستعمله النساء في مراكش. ويكتب كرابردي همسو الكلمة (سفيفة: Sfifa) في كتابه (المرآة إلخ، ص٨٠). ولكن ربما كانت هذه الكلمة خطأً مطبعياً.

المِسْماة

هل تكون المسماة طماقا أي غطاء من لباد للساق والحذاء؟ لأننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص١٨٩٥): «واستمى الصائد لبس المسماة للجورب أو استعارها لصيد الظباء في الحر وطلبها في غيرانها عند مطلع سهيل».

السَنْتَبَر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويحدثنا دابر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مجـ١، ص٢٤١) إن أحد الخدام الذين رافقوا سفراء ملك فاس ومراكش، والذين وجدوا عام ١٦٥٩ في امستردام، يرتدي «ثوباً مبطناً بالفرو، مفتوحاً من الجهة الأمامية ومزوداً بقبع كبوشي يتدلى على الظهر، وله كمان مسدلان». ومن هذين الكمّين تدخل الذراعان أحياناً. ومن الأعلى إلى الأسفل من الجانبين الأماميين توجد قطع حمراء مستديرة مع شرائط مبرومة أو قياطين في الوسط تصلح لربط هذا الثوب. وهم يشدون

الأقسام العليا منها بصورة خاصة. وهذا الثوب يدعى لديهم sant à barre (سانتابار) كما يسمى كبوطا Kabbout (راجع كلمة كبوط)، وهو يرتدي في أغلب الأحيان من قبل البحارة وخصوصاً في الشتاء. والحقيقة أنه لباس مريح ملائم لأولئك الذين يتحتم عليهم أن يعملوا، ذلك لأنهم يخلعونه ويلبسونه بيسر وسهولة».

وأعتقد أن هذه الكلمة أسبانية الأصل، ولكن حتى يومنا هذا لم أستطع اكتشاف الكلمة الأسبانية التي شملها الإفساد والتحريف، فتحولت إلى: (سانتابار: Sant à barre).

الساج

هذه الكلمة حسب مذهب القاموس (ط كلكتا، ص٢٤٠) هي (الطيلسان الأخضر والأسود)[١].

السيقان

إن هذه الكلمة، وهي جمع ساق، تشير بصورة خاصة إلى (السيقان)، ولكن يجب إضافة إلى القاموس أن تؤخذ كذلك بمعنى السروال الواسع بإفراط. ويترجم پيدرو دي الكالا (Pedro de Alcala) في كتابه (مفردات أسبانية عربية) «Vocabulario Espanol Arabigo».

كلمة ساهون (çahon) بكلمة سيقان: وأعتقد أن الكلمة الأسبانية ساهون ليست إلا تحريفاً للكلمة العربية سيقان. ويبدو أن العلماء الأسبان في عهد كوباروفياس (Cobarruvias) قد حكموا نفس هذا

(١) قال المؤلف في ترجمة هذا النص: «الأخضر أو الأسود». (المترجم).

الحكم. وعلى كل حال، فإن هذا اللغوي يؤكد أن كلمة ساهون هي عربية الأصل.

الشامي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ويقرر النقيب ليون (9Lyon في كتابه (أسفار في الشمال الإفريقي، ص١١٧) إن النساء في مرزوق يرتدين قمصاناً من الحرير الذي يطلق عليه اسم الشامي. ويضيف هذا الرحالة إن الناس في هذه المدينة يرتدون هذه القمصان المصرية، ولكن، لما كانت كلمة شامي تعتبر عما هو وارد من سورية، فإنني أعتقد أن هذه الأنواع من القمصان مصنوعة في سورية، وإنها تعبر هذا القطر إلى مصر، وإن سكان مرزوق يظنونها صناعة مصرية، ذلك لأنهم يبتاعونها من تجار مصر. ويخيل إليَّ أن الناس قديماً كانوا يقولون (قميص شامي)، ولكن غبرت أزمان فغبر معها اسم قميص وظل اسم شامي باقياً ليعرب عن القميص الحريري المخطط.

الشاية وجمعها الشايات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد استعار عرب الأندلس هذه الكلمة من جيرانهم المسيحيين.. استعاروها من الكلمة الأسبانية سايا وسايو (اعتبرهما المؤلف كلمة واحدة فجاريناه - المترجم) التي هي كما تعلمون، مشتقة بدورها من الكلمة اللاتينية ساگيوم Sagum ويترجم پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة Saya de muger بكلمة شاية، وجمعها شايات، ويترجم على نفس النمط كلمات Sayo de varon. ونحن نعلم أن كلمة

Sayo تشير إلى عباءة واسعة لا أزرار لها، ويرتديها القرويون الأسبان». أما Saya فهي تنورة امرأة[١]. ونحن نقرأ في الإحاطة لابن الخطيب (مخ دي گايانگوس، ص١٧٨) عن حياة محمد الأول، ملك غرناطة: «وحدث أبو محمد البسطي». قال: «عاينته يوم دخوله وعليه شاية ملف مضلعة أكتافها مخرقة». وإن كلمة مضلع، الواردة في هذا النص، تؤخذ على أن لها معاني متعددة، كما بمقدورنا أن نرى مصداق ذلك في القاموس، لدى كلمة مضلع. راجع كلمة ملف الصفحة ١١٢ من هذا الكتاب، موضوع الجبة.

وقد دخلت كلمة Sayo كذلك إلى لغة المندنكو. وهذا الشعب يلفظها Saio. (راجع مكبرير في كتابه قواعد اللغة المندنكية، ص٤٢)[٢].

الشَد وجمعه الشُدود

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعاني المنشودة.

ويرى داپر (وصف حقيقي لأقاليم أفريقيا، مجـ١، ص٢٤٠) إن كلمة Sied أو Sjed تشير إلى قطعة قماش من القطن الرقيق التي يلف بها الرأس، والتي تستعمل للف العمامة. ويؤكد هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٤) كذلك إن كلمة شد تدل على ما يشير إلى العمامة، ومعنى ذلك قطعة من الموصلي، أو من قماش أبيض رقيق آخر، يسطح ويرفق فيتخذ منه الناس عدة لفات فنية تسوى فوق العرقية الحمراء (شاشية). ويبلغ سعرها خمسة ماركات وقد يصل أحياناً إلى خمسة دوكات. ويقول هوست أن هذا التاج لا يرتدي إلا من قبل الإشراف والحجاج (زوار

(١) كلمة صايه دارجة في اللغة العراقية الدارجة.

(٢) لغة شعب مالي؟ (المترجم).

مكة) والقضاة والرؤوساء وطلاب العلم والفقهاء[١]. ويقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا، ج٢، ص١٠٢، مجـ٣) عن سكان فاس: «لبعضهم عادة الاعتمار بالقلانس (Tocas) الرقيقة البيضاء، وهي مقدرة لديهم كل التقدير، وهم يسمونها (تونس Tunecis) ويلفونها ست أو سبع لفات حول الرأس»[٢].

وكلمة شد لها نفس المعنى في مصر، كما أثبت ذلك كاترمير بالاستناد إلى نص لابن إياس (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٥٠). والشد يشير كذلك في هذا القطر إلى: حزام من القطن الأبيض البعلبكي (الشد البعلبكي، المرجع السابق). ولكلمة شد معنى آخر أيضاً، فهي تشير إلى: قطعة قماش تلف بها الرقبة، وقاية لها من البرد أو الحر، فهي بمثابة رباط Cravate. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٤٠٩): «ألبسه قميصاً رفيعاً وثوباً من ثيابه وعمامة لطيفة وحزاماً رفيعاً ولف له شداً على رقبته». ونلاحظ هنا بسهولة أن المسألة ليست مسألة عمامة: ذلك لأن العمامة قد ذكرت باسمها، ثم أن العمامة لا تلف حول العنق، إلا لإظهار الخضوع والطاعة والاستسلام، وعلى ذلك فإن هذا الشاب اليافع موضوع بحث نصنا لم يكن ليحمله أي شيء على إظهار هذه الحالة. وأخيراً فإن هذا المعنى الذي أعزوه في هذا الموضع إلى كلمة شد قد ثبت بالبرهان، كما يبدو لي، وذلك بتوافر العدد الكبير من نصوص الرحالين الأوروبيين. فنحن نقرأ لدى كوتو ڤيك في

---

(١) تشير كلمة رئيس إلى ربان السفينة. راجع كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٩٣، ٩٥، إلخ). ونحن نصادف هذه الكلمة بهذا المعنى في كافة قصص الرحالين تقريباً، هؤلاء الرحالة الذين زاروا الشرق في مختلف العهود، ومع هذا فإن هذا المعنى لم يرد له ذكر في القاموس.

(٢) تونسي (نسبة إلى تونس. راجع كلمة دراعة، التعليق ٢).

قصته (رحلة - ص٤٨٥): «كانوا أثناء السفر يحيطون رقابهم بقطع من القماش أو بالمناديل (Linteola vel sudario) حماية لأنفسهم من لفح الشمس» ونقرأ في كتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص٢٠٩): «يلفون مناشف من التيل حول أعناقهم». ويعبر روجيه عن الموضوع في كتابه (الأرض المقدسة، ص٢٠٤) بهذه الكلمات: «يضعون تحت العمامة وفوق رؤوسهم خماراً واسعاً من الحرير الأسود، ويلفون به العنق عدة لفات فيتدلى حتى الأكتاف». (راجع الشكل ١، ص٢٠٦). ويقول پوكوك في كتابه (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٧): «إن شعب مصر يلف حول رقبته قطعة قماش زرقاء اللون تكون مفرطة في السعة أحياناً. وهو يغطي بها الرأس أيضاً، وقاية من البرد ومن أشعة الشمس».

ونجد في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١): «وفي الشتاء يضع كثير من الناس حول رؤوسهم وأكتافهم شالات من الموصلي أو من قماش آخر - شبيه بالنسيج الذي يستعملونه لتكوير العمائم».

المِشَدَّة

ذكر فريتاگ إن (المشدة هي التاج، إذا صحت قراءة نص «تحفة الإخوان»). ولعل كلمة مشد تشير كل الإشارة إلى تكويرة رأس شبيهة بالعمامة أو بالأحرى شبيهة بالشد. وعلى أقل تقدير فإن الكلمة موجودة في اللغة العربية للدلالة على: طرحة مشدودة حول رقبة الحصان. (المقريزي، تاريخ السلاطين المماليك - ج١، ق١، ص١٥٠).

الشَوْذَر

إننا نقرأ لدى الجوهري (ج١، مخـ٨٥، ص٣٠٩): «الشوذر الملحفة. وهو معرب. وأصله بالفارسية جاذر» (كذا). كما نطالع في القاموس (ط كلكتا، ص٥٦٢): «الملحفة معرب». والحقيقة أن الشوذر هو الكلمة الفارسية جادر، وهذا اللباس يماثل كل المماثلة - من حيث الهيئة، الرداء الواسع أو خمار المرأة، وهو ما نسميه بالملحفة. والشوذر أو الجادر مستعمل في العراق العربي وفي فارس. فنحن نقرأ في القصة المكتوبة باللغة الأسبانية، لمؤلفها البرتغالي الرحالة Teixeira تيخيرا (رحلات من الهند الشرقية إلى إيطاليا - ص١٢١): «إن جميع النساء الدارجات في الدروب والأزقة (جميع نساء بغداد) مستورات بقطع من القماش تشابه الأزر (Como mantos) ويدعى واحدها Chaudel - ومع ذلك فإن لون هذا الإزار ليس أسود». (كما هو في أسبانيا والبرتغال». وفي قصة بينرو دلاڤاله، ص٧٥٢) نقرأ عن بغداد: «وختاماً فإن الأزر التي تستتر بها النساء لدى خروجهن من منازلهن تختلف كل الاختلاف عن بقية أجزاء الملابس الأخرى وعن الأزر التي رأيتها حتى الآن، ذلك لأن هذه ليست ثياباً من الجوخ، كما هي في القسطنطينية (فراجة)، ولا هي قطع من التيل الأبيض، كتلك الموجودة في سورية ومصر (إزار): ولكن عوام النساء يرتدين بعض القطع المنسوجة من التيل الحاوي على مربعات بيض وزرق، كتلك الملاحف التي ترتديها نفس الطبقة في القاهرة (ملاية - ملاءة)، أما نساء الطبقة الأعلى فيرتدين الأقمشة الحريرية من نفس اللون، وهذه الملابس غاية في الرقة والنعومة والسعة والفضفضة، نظراً للحرارة اللاهبة التي تخيم على هذا القطر. وأخيراً فإن نساء الطبقة العليا يلبسن - كما تلبس زوجتي الحسناء معاني (Maani) نفس الأقمشة

التي هي أحادية اللون، فهي أما بنفسجية خالصة، أو زرقاء عاتكة، مع بعض الشرائط حول الحواشي التي تكون من لون مغاير. وهذا اللون داكن أيضاً. وهي تشبه كل الشبه الإزار الذي ترسم به سيدتنا مريم العذراء (Notre Dame). ونحن نطالع في قصة الأب پاسيفيك (رحلة من فارس، ص٤١٢) قوله: «أما اللباس فهو متماثل من الجهة المظهرانية لدى جميع النساء (الفارسيات) فهن لا يملكن إلا كفناً واسعاً أبيض اللون يسترهن ستراً شاملاً، من الرأس إلى أخمص القدمين». ونجد في رحلة أولياريوس (رحلة إلى موسكوفيا وبلاد التتر وفارس، ص٨١٩): «إن النساء) في فارس (لا يسفرن مطلقاً عن وجوههن لدى سيرهن في الدروب والأزقة، ولكنهن يكن مستورات تحت أزر بيض تصل إلى سيقانهن، وهن لا يفتحن منها إلا ثقوباً صغيرة في مواضع العيون، وذلك بغية القدرة على المشي. وطالما تغنى شعراء الفرس بهذا الإزار قائلين بأن أجساماً لدنة غضة بضة كثيراً ما أخفت نفوساً خبيثة شريرة، وإن تحت مظهر الحياة الصالحة طالما قبع عدد هائل من أمهات الرذائل، وقد يستر هذا الإزار الأبيض في أحايين كثيرة - تحت أزياء هي غاية في الروعة والبهاء، امرأة هي غاية في القباحة والدمامة». ونقرأ في كتاب تيڤينو (تتمة رحلة من المشرق - ص١٧٧): «إذا طوفت النساء الفارسيات في دروب المدينة فإنهن غنيات كن أو فقيرات يرتدين إزاراً هائلاً بل كفناً من التيل الأبيض، هو غاية في الرقة والنعومة، ولكن نصفه يعصب جبين المرأة حتى عينيها، ويدور فوق الرأس، ويصل حتى أخمصيها، أما النصف الآخر فيعصب وجه المرأة، تحت العينين ويرتبط بدبوس على الجهة اليسرى من الرأس، ويسقط حتى يصل إلى نعليها، ويغطي حتى يديها اللتين تمسك بهما جانبي هذا الشراع، بحيث أن المرأة تتكيس فيه بتمامها حاشا عينيها».

ونقرأ في كتاب أوليڤيه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر

وفارس، ص٢٦٢ وج٥): «تدفن المرأة الفارسية نفسها لدى خروجها من بيتها في إزار واسع من النسيج الموصلي أو من قماش قطني أقل رقة ونعومة. أما نساء الشعب فيستعملن قماشاً من القطن الملون».

ويؤكد كير پورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، ج١، ص١٣٢، إلخ): «نرى النساء (الفارسيات) حين يبرزن من مكامنهن - إنهن يمشين مترنحات الخطى، ملفوفات من رؤوسهن إلى أقدامهن في شراع أسيوي واسع يدعى بالچادر Chadre.

ويقول المرجع نفسه بعد ذلك: «لدى ذهابي إلى القلعة وعند ولوجي في السوق، شهدت بضع نسوة من مختلف الطبقات يمضين لاستنشاق الهواء في كنف الچادر الذي لا يستطيع اختراقه مخترق، ولم يكن سهلاً على أحد اكتشاف ما إذا كان هذا الكن قد حجب ثروة باذخة أم فقراً مدقعاً». راجع (امرأة فارسية مغلفة بچادرها، ج١، ص٣٥٤). وفي موضع آخر (ج١، ص٢٠٨) في معرض وصف ينگشاه (بين اريڤان ونكشيفان): «إنهن يلففن أجسامهن بالچادر الذي هو غطاء من القطن الأبيض، أو من المربعات الزرق والبيض الذي يحيط بهن كما يحيط الكفن بالميت». وأخيراً (ج٢، ص٢٦٨): «إن الجنس الطيف كله في مدينة بغداد، النساء الغنيات والنساء الفقيرات، يخرجن من منازلهن مرتديات الچادر ذا المربعات الزرق والبيض: في حين أن هذا النسيج بإحاطته للجسم لا يترك مجالاً للدلالة على أصل المرأة العريق التي ترتديه، اللهم إلا قطعة من الذهب، مكفتة في إحدى حواشيه تومىء إيماء إلى نبل محتدها».

ونطالع في كتاب بكنگهام (رحلات إلى بلاد ما بين النهرين، ص١٩٥، ج٢): «إن أزياء نساء مدينة بغداد هي كذلك بسيطة بساطة الأزياء التي تستعملها أفقر نساء قرى بلاد ما بين النهرين، ذلك لأن نساء

مختلف الطبقات يشتملن بقطع من التيل تحتوي على مربعات زرق وبيض تشبه تلك القطع التي ترتديها نساء أفقر الطبقات في مصر (ملاية، ملاءة): ويؤكد فريزر (رحلات إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، ج١، ص١١٩) إنه لم يكن في مقدوره رؤية النساء الكرديات لأنهن - كما يقول: «لا يظهرن إلا عل هيئة أكوام من الچوادر أو الأغطية الزرق ذات المربعات البيض والزرق». ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر من كتابه (ج١، ص٢٧٨) في معرض وصفه لبغداد: «إن أغطية النساء الهائلة المصنوعة من التيل الأزرق الغامق أو من اللونين الأزرق والأبيض، التي تغطي الجسم من الرأس إلى القدمين، تخفي في الحقيقة الخصر والقامة والحلة».

والشعراء والكتاب الفرس يذكرون الچادر في مجازاتهم وأمثالهم، ويسرفون في التعريض به. ويرى القاموس (ص٥٦٢) إن كلمة شوذر تشير كذلك إلى اللباس المشار إليه بكلمة إتب.

الشَرّبيّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي كما يذهب إليه دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص٨٢) عصابة تشدها النساء في المغرب حول الرأس **Strophium capitis**.

الشربوش وجمعه الشرابش والشرابيش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لكاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ص٢٤٥) إن استعار، من نص للمقريزي، الكلمات الجوهرية التي تعنينا

بصورة خاصة على فهم هذه الكلمة. وأؤمل ألا تتضايقوا من إدراج هذا النص بتمامه هنا. فدونكم النص (مخـ٣٧٢، ج٢، ص٣٥١): «وأما الخلع فإن السلطان كان إذا أمر أحداً من الأتراك ألبسه الشربوش. وهو شيء يشبه التاج كأنه شكل مثلث يجعل على الرأس بغير عمامة (ويلبس معه على قدر رتبته أما ثوب نخ[١] أو طرد وحش أو غيره. فعرف هذا السوق بالشرابشيين نسبة إلى الشرابيش المذكورة. وقد بطل الشربوش في الدولة الجركسية. وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء التشاريف والخلع[٢] وبيعها على السلطان في ديوانه الخاص وعلى الأمراء. وينال الناس من ذلك ويقتنون بالمتجر في هذا الصنف سعادات طائلة[٣]. فلما

(١) تشير كلمة نخ إلى نسيج من الحرير المذهب. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخـ دي گايانگوس ص١٢٩): ولم يبعث إليَّ إلّا ثوباً واحداً من الحرير المذهب يسمونه النخ بفتح النون وخاء معجم. وفي موضع آخر (مخـ، ص١٤٣) يقول هذا المؤلف، فتحدثنا عن جواري الخاتون لدى بلغاريا الفولغا: وعلى كل واحدة ثوب حرير مذهب يسمى النخ. ونقرأ بعد ذلك (ص١٤٩): على الخاتون حلة يقال لها النخ ويقال لها أيضاً الشيخ مرصعة بالجواهر. وعلى رأسها تاج مرصع.
وتصنع هذه الثياب في مدينة نيسابور، لأن ابن بطوطة يؤكد (مخـ. ص١٦٧) ما يلي: (ويصنع بنيسابور ثياب الحرير من النخ والكمخا وغيرها وتحمل منها إلى الهند».

(٢) وفي المخطوطة ب (مخـ٢٧٦، ص٥٦٦) يرد هذا الكلام: وكان بهذا السوق عدة تجار لشراء الشرابيش وقيل لشراء التشاريف والخلع.

(٣) لا وجود لكلمة طائل بهذا المعنى في القاموس. ونحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة مخـ دي گايانگوس ص١٩٤): أعطاه أموالاً طائلة. ونطالع في مكان آخر (ص٢٣٧): صاحب الأموال الطائلة. ونجد لدى المراكشي (المعجب، مخـ٥٤٦، ص٢٥٨): ما يعدل أموالاً طائلة. وأعتقد أن كلمة سعادة موجودة بنفس المعنى في هذا النص من كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ص٣٤٦، ح١) ونقرأ في تاريخ اليمن (مخـ٤٧٧، ص٣): شملته سعادات الدولة العثمانية. وفي كتاب سير الأعيان للذهبي (مخـ٣٢٠ (٢) ص٢٥٧): ونال سلار من سعادة الدنيا ما لا يوصف. =

كانت هذه الحوادث منع الناس من بيع هذا الصنف إلا للسلطان. وصار يجلس به قوم من عمال ناظر الخاص لشراء سائر ما يحتاج إليه. ومن اشترى من ذلك شيئاً سوى عمال السلطان فله من العقاب ما قدر عليه. والأمر على هذا في يومنا الذي نحن فيه.

وكان الشربوش العمرة المميزة للأمراء، ولم يكن يلبس من قبل الفقهاء (راجع نص جمال الدين بن واصل، الذي ذكره كاترمير. (الكتاب القيم، ص٢٤٤ وق١ وج١).

ويذكر مؤرخو مصر بصورة متصلة هذا النوع من عمرة الرأس. فنحن نقرأ مثلاً لدى النويري (تاريخ مصر، مخ١٩ب، ص١٣٢): «وركب الأمراء - بالتشاريف والشرابيش على عادة أمثالهم». وفي موضع آخر (مخ٢م، ص٢١٥): «أنعم على الأمير سيف الدين قلاوون بتشريف كامل بشربوش كان قد لبسه ثم خلعه عليه».

وهذه العمرة كانت كذلك شائعة الاستعمال في البلاد الشرقية الأناى، في بغداد مثلاً، لأننا نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ٢م، ص٤٩): «إن الملك الناصر داود، يوم كان في بغداد عام ٦٣٣ شمله التشريف فـ(خلع عليه قباء أطلس وشربوش).

وقد استعارت إحدى مدارس دمشق كما يظهر اسمها من هذا التاج، لأنني على أقل تقدير أطالع لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس ص٣٠): فنزلت منها بمدرسة المالكية المعروفة بالشرابشية. وقد عبرت

= وينبغي أن يعني تعبير أهل السعادة المسلمين فقط فهم (أهل السعادة): ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح٢، ص٣٥) هذا التعبير: صارت من أهل السعادة - والحديث تخص امرأة أعتنقت الإسلام. وقد رأيتم ورود (دار السعادة) في مدخل هذا الكتاب.

كلمة شربوش إلى اللغة السريانية بلفظ سرفوش (راجع الحوليات لابن العبري، ص٣١٣ وج١):

(Bar- Hebraeus, Chronicon Syriacum, tom. 1, pag. 313).

ولن نستطيع العثور على هذه الكلمة في القواميس السريانية، كما إننا لن نعثر على كلمة شربوش في المعاجم العربية.

والخلاصة إن كلمة سرفوش أدنى كثيراً إلى كلمة سرپوش الفارسية من كلمة شربوش إليها، التي يقول عنها كاترمير: «إن هذه الكلمة العربية تحريف للكلمة الفارسية».

ولست مرتاباً من صحة هذا المذهب، ولكن يجب علي أن ألفت الأنظار إلى أن الكلمة الفارسية (سرپوش) حسب علمي، لا تشير إلى عمرة رأس رجل، وإنما تدل فقط على إكليل رأس امرأة.

وكانت هذه العمرة Coiffure معروفة الاستعمال في القسطنطينية، وفي إزمير وفي مدن أخرى، أيام برين Bruyn. فهذا الرحالة يكتب الكلمة هكذا Carpous (كربوس)، وأعتقد بوجوب لفظها بعد إضافة السيدي cédille إلى الحرف (c) فيلفظ هذا الحرف بصوت السين، وليس بصوت الكاف، فتنطق الكلمة على هذا المنوال (سربوس) (çarpous) راجع (الرحلات ص٣٥، ٥٨، ٥٩ إلخ، الرسم المرقم ١٨).

الشربيل، الزَّربول، الزَّربون

لا وجود لكلمة شربيل وكلمة زربون في القاموس. وإنني لأجهل تمام الجهل أين وجد سيلفستر دي ساسي - راجع كتابه الموسوم: (طرائف عربية، ص١٤٦) إن كلمة زربول (؟) تعني في الشرق: أنعلة ومداسات قديمة، الأمر الذي هو غير مقبول على الإطلاق.

يقول دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، مجـ٤، ص٢٧) وهو يتحدث عن نساء مدينة الجزائر: «بعضهن (لا سيما النساء المغربيات) يلبسن نوعاً من المداسات unas servilas pantoufles على الطريقة المغربية، وهي مصنوعة من الجلد الملون بلطافة وأناقة. وهن يسمينها Xerecuilla ونحن نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش، ص١١٧): «جميعهم يلبسون أحذية مصنوعة من الجلد المراكشي تدعى بإسم Scherbil شربيل. وتكون أحذية الرجال صفراء، وأما أحذية النساء فحمراء. كما نعلم أن مداسات هؤلاء وأولئك لا كعوب لها». وفي قائمة الكلمات العربية التي انشأها بريتنباك في كتابه (وصف رحلات وزيارات، ص١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق عام ١٤٨٣، نجد أن كلمة Serbul مفسرة بكلمة Suhuh (مداس). .D. Germano de Silesia (pag. 905) الذي سبق لهابيخت أن ذكره في مسرد الجزء الثالث من طبعته لكتاب ألف ليلة وليلة، إن كلمة زربول وجمعها (زرابيل، هي مداس مزود بكعب: «scarpa con tallone; calceus cum talo» وما لم يثبت لي مثبت العكس، فإنني أشعر بكوني مرغماً على الاعتقاد بأن الزربول وكذلك الشربيل لا كعوب لهما. وقد نعثر أحياناً على صيغة زربون في كتاب ألف ليلة وليلة، إذ نجد هذه الكلمة مرتين في الجزء الأول من طبعة مكناگتن. وقد تفضل أماري فأعلمني إن كلمة سربون Sarbon وجمعها سرابين Sraben ما زالت مستعملة حتى أيامنا هذه في مالطة.

وأعتقد أن كلمة شربيل مماثلة للتعبير الأسباني Servilla، الذي يشير إلى مداس مصنوع من الجلد المراكشي ليس له سوى نعل واحد، والكلمة مشتقة من Serva (Sierva) ذلك لأن الخوادم والجواري كن يلبسن هذا النوع من المداسات. ومن كلمة سربيل تألفت، حسب رأيي، كلمة زربول، فإن حلول الزاي محل الشين ليس فيه ما يدعو إلى الدهشة

والعجب، وستذكرون أن (و) و(ي) في الشعر العربي يجيئان في قافية واحدة، كما هو الأمر في الشعر الألماني. فمن كلمة زربول تألفت كلمة زربون بإبدال بالنون، وهما حرفان من نفس الصنف. وقد قلت أن كلمة Servilla مشتقة من كلمة Servante' Serva (خادمة - أمة - جارية).

وهناك مسألة تدعو إلى الملاحظة وإمعان النظر وهي إننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص٢٥): جعله في رجليه زربوناً على عادة المماليك Sierpos، بالإضافة إلى إننا نطالع في هذا النص إن كلمة زربون مستعملة استعمال اسم جسم جمعي في كتاب ألف ليلة وليلة للإشارة إلى فردتين من الزربون. وقد لاحظت آنفاً نفس الملاحظة حول كلمة خف[١].

الشَطْفة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر برگهارت في كتابه (ملاحظات على البدو والوهابيين - ص٢٧) إن: «بعض أبناء قبيلة عنزة يشدون حول رؤوسهم طرحات يسمونها شطفات ومفردها: شطفة Shutfe.

(١) يقول كوباروڤياس (الكنز، مدريد، ١٦١١) حول كلمة Servillas مداس مريح، له نعل يصلح للبنات والخدم، وقد تسمى باسم الخوادم، لأنهن يلبسن هذا المداس الخفيف لسهولة المشي به، مثل القباقيب.

الشَّعْرية

نرى من قاموس فريتاگ إن ريسكه قد علق على هامش گوليوس بأن هذه الكلمة تشير إلى «Vitta, quâ caput tegitur» وهذا التفسير خاطىء. فإن كلمة شعرية تدل على خمار قصير مصنوع من شعر الخيل - كما يدل عليه اشتقاق الكلمة، فإن الشعرية مشتقة من الشعر Crines. ونحن نقرأ في قصة روجيه (الأرض المقدسة، ص٢٦٠): «وهن يغطين عيونهن بنقاب من شعر الخيل الأسود، ويسمين هذا البرقع شعرية Chaarie ومن خلال هذا الحجاب ينظرن ويستطعن أن يدرجن، ولا يجرؤن على كشف وجوههن إذا أردن التحدث إلى رجل كائناً من كان». وفي قصة بلون (ملاحظات، ص٢٣٣، ٢٣٤): «ولكن نساء المدن الأكبر (في مصر) يتبعن الطريقة التي تعلمنها من النساء التركيات، اللواتي يضعن على وجوههن برقعاً صغيراً معمولاً من نسيج شعر ذيول الخيل». وليس هناك من علة تدعوني إلى الشك في حقيقة ما يرويه بلون هنا، بل إنني ميال كل الميل إلى الاعتقاد بأن استعمال الشعرية في مصر لا يرتقي تاريخه إلا على تاريخ غزو هذا القطر من جانب السلطان سليم، لأنني لم أجد كلمة شعرية لدى مؤلف عربي قد كتب في فترة أبعد من الفترة التي نشر خلالها كتاب ألف ليلة وليلة. وهذه المناسبة دليل إضافي آخر، إذا كانت ما تزال هناك حاجة للإثبات بعد التنقيبات الحديثة، للبرهنة على أن كتاب ألف ليلة وليلة قد دبج بعد اجتياح الأتراك لمصر.

وكانت الشعرية في مصر برقعاً صغيراً لم يكن ليستر إلا العينين، وكان يلبس فوق النقاب. وهو حجاب أكبر يغطي الوجه، محدثة فيه ثقوباً لدى موضع العينين. ونقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابيخت - ج٢، ص١٤٦): «فشالت الشعرية فنظرت إلى أحداق سود عظيمة».

ونطالع بعد ذلك في نفس القصة (ج٢، ص١٤٩): «وشالت النقاب فنظرت نظرة أعقبتني حسرة». ويقول بعض الرحالين، وهم أقل دقة من روجيه، إن هذا البرقع يغطي الوجه. ونقرأ في قصة هيلفريتش (تقرير مختصر واقعي للرحلات، ص٣٩٣): «وهن (نساء القاهرة) يغطين وجوههن (Jr Angesicht) بقطعة من النسيج الأسود المخرم «Mit einem schwartzen gewirckten Thuchlein» المصنوع من وبر البعير (Camelszhaaren) الذي من خلاله يستطعن رؤية كل الناس». ونقرأ في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، ج٣، ص٢١١، مجـ٣): «ويضعن على وجوههن Delante del rostro) (نساء القاهرة) براقع سودا، معمولة من شَعْر الخيل». ويقول كوتوڤيك في رحلته (ص٤٨٨)، وهو أدق من سلفه، بأن «النساء يغطين عيونهن (Oculi) ببرقع صغير، على هيئة شبكة مشغولة من شَعْر ذيول الخيل الدقيق الناعم». وكانت الشعرية ما تزال مستعملة في القاهرة في زمان پوكوك (وصف الشرق، تعـ٤، ص٣٣٠، ج١) وبوسعنا رؤية شكل هذا الحجاب في اللوحة (٥٩، الصورة ١). ويقول پوكوك إن هذا الحجاب معمول من شَعْر الخيل الأسود ومحبوك حبكاً فنياً. ولكن منذ تلك الفترة حل البرقع محل الشعرية والنقاب، وفي أيامنا هذه يكاد الناس في مصر يجهلون جهلاً تاماً الشعرية والنقاب. وقد رأينا آنفاً عن طريق نص روجيه بأن الشعرية كانت مستعملة في سورية. وهذه الحقيقة قد تأيدت بشهادة راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص٥١) إذ يؤكد بأن «النساء في طرابلس الشرق يغطين أوجههن بقطع نسيج سوداء Schartzen «gewürcken» بعضها في غاية الرقة والنعومة، وبعضها مشغول من الحرير، ولكن بعض النساء يلبسن البراقع المعمولة من شَعْر الخيل، وهذه البراقع تلبسها نساء الطبقات الدنيا». ولم تعد الشعرية في يومنا هذا تلبس في سورية، إذ هجرت هنا كما هجرت في مصر. ومع ذلك فإن الشعرية ما

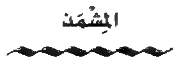
زالت شائعة الاستعمال في الأقطار الشرقية النائية، كالجزيرة والعراق العربي. ويقول أوليڤييه في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس - ج٤ - ص٢٢٠) في معرض حديثه عن نساء أورفة: «ويلبسن علاوة على ذلك قطعة مربعة من شعر الخيل الأسود تنساب على الوجه فتسمح لهن بأن يرين دون أن يراهن أحد». وإنني أعتقد والحالة هذه بتوهم بكنگهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج١، ص١٥٢) حين قال عن نساء أورفة: «إنهن يلبسن للتبرقع شفا أسود غليظاً ناتئاً عن الوجه بعقدتين». وأظن وجوب إحلال برقع من شعر الخيل بدل شف أسود غليظ». وعدا ذلك فإن وصف بكنگهام يطابق كل المطابقة هيئة هذا البرقع، كما نستطيع رؤية الحقيقة في لوحة پوكوك. ويقول كيرپورتر في كتابه (رحلات إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، إلخ، ج٢، ص٢٦٩) في معرض حديثه عن نساء بغداد: «إن هؤلاء السيدات يخفين وجوههن وراء أقنعة أكثر بشاعة وشناعة من براقع الفارسيات البيض التي تشابه المناشف والمناديل والفوط، أعني بذلك هذه الحجب السود المصنوعة من شعر الخيل المرزوءة بها وجوه نساء بغداد».

ويقول كذلك فريزر في كتابه (رحلة إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، إلخ.، ج١، ص٢٧٨) وهو يتحدث عن نساء بغداد: «إن البراقع المعمولة من شعر الخيل الأسود، المنسوجة نسجاً ناعماً رقيقاً، تحمى كل الحماية وجوه النساء اللواتي يلبسنها من نظرات السابلة، وفي الوقت نفسه بوسع هؤلاء النسوة أن يرين بصورة عجيبة كل ما يخطر أمام عيونهن، لهذا كله أميل إلى الاعتقاد بأن بكنگهام (ج٢، ص١٩٥) قد توهم كذلك حين قال عن نساء بغداد إنهن (يغطين وجوههن بقطع من الشف الأسود الغليظ). وهو يضيف إلى ذلك قائلاً: «لا تلبس نساء الريف المحيط ببغداد هذه الشقوق مطلقاً».

المَشْلَخ

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقول برگهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين، ص٢٧): «في شمال سورية، كل معطف صوفي، سواء كان أبيض أو أسود أو مخططاً بخطوط بيض وسمر أو بخطوط بيض وزرق، يدعى مشلخا Meshlakh وكلمة مشلخ موجودة كذلك بهذه الصيغة في قائمة الكلمات العربية، في ختام الجزء ولكننا في موضع آخر (ص١٣١) نجد كلمة Meshlah مشلح.



المِشْمَد

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٤٤١) هذه الكلمة بكلمة عمامة Turban.

التَشْمير وجمعها التشامير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم پيدرو دي الكالا هذه الكلمة بالكلمة الأسبانية بالتوك Paletoque في كتابه (مفردات أسبانية عربية). وهذه الكلمة مفسرة في كتاب (كنز اللغات الثلاث، جنيف ١٦٠٩) بـ:

Une casaque ou saye, un palletoc, une iacquette.

بوصفها: «سترة، أو صاية، أو جاكتة».

والحقيقة أن مؤلف كتاب L'Histoire des Abdolwadites يقول في معرض حديثه عن طحان: «وهو لابس تشامير».

الشَمَرير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ونحن نعلم أن القبعة (البرنيطة، الخوذة Chapeau) لم تكن معروفة قديماً لدى المسلمين، لذلك كانوا مرغمين على استعارة إحدى الكلمات، للإشارة إلى هذا الشيء، والمستعار منه إحدى اللغات الأوروبية، فاتخذ المغاربة الكلمة الأسبانية Sombrero. وهذا ما يؤكده هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٤). ولكن يبدو من قائمة الملابس المغربية التي انشأها دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي، ص٨٢) إن الشعب قد مسخ كلمة Sombrero فاستحالت إلى شمرير.

الشمشك

إننا نجد في أحدوثة أبي الحسن المهرج، وهي الأحدوثة التي لا توجد إلا في طبعة هابيخت لكتاب ألف ليلة وليلة (راجع لين، ح٢، ص٣٥٦) والتي لموضوعها شبه كبير بموضوع المدخل إلى ترويض النمور لشكسبير Taming of the Shrew te Shakspeare. وشبه بـ: Krells Louwen للانكنديك Langendjik.

أقول، إننا نجد النص التالي، الذي سبق لفريتاگ إن ذكره: «فقدم له المملوك شمشكاً مطبوعاً بالأبريسم والحرير الأخضر مرصع بالذهب الأحمر فأخذه أبو الحسن ووضعه في كمه وصاح المملوك وقال: يا الله يا الله يا سيدي هذا شمشك مداس لرجلك حتى تدخل المسترفق[1]». (ح٤، ص٣٥٧).

(١) النص بالعامية فلا يطالب كاتبها بالتزام النحو.

ويترجمه لين هنا (ح٢، ص٣٥٧): إنه فردتا مداس... ولما كان المؤرخ الإسحاقي يقص علينا قصة مماثلة، كما يقول لين، فسيكون من الأهمية بمكان أن نعلم ما إذا كان يستعمل هنا نفس الكلمة أم كلمة أخرى تفسر لنا كلمة شمشك.

لقد علمنا من (فليشر : M. Fleischer, de glossis Habichtiansis, pag. 92) إنه وجد في مسرد لمعاني كلمات قبطية عربية كلمة (كنسكن) ترجمة لكلمة شمشك. وهذه الكلمة ليست إلا الكلمة الفارسية موزه، التي تعني نعلاً أو مداساً أو جزمة أو خفاً، وهي في اللغة العربية موزج[1] ولم أقع على كلمة شمشك في موضع آخر.

الشَملة الشِملة المِشْمَلة

ينبغي إضافة كلمة شملة وجمعها شمل إلى القاموس.

وقد رأينا آنفاً، حول كلمة برد، إن الشملة هي البردة، وإن ما يميز الشملة من البردة هو حياكة شيء إضافي (بعض الزينة) في حاشية البردة، وليست الحالة هي هي بالنسبة للشملة. وقد لاحظنا سابقاً (في هذا الباب) إن هذا الكساء كان شائع الاستعمال في عهد الرسول ﷺ إذ أن أحد الرحالين العرب من القرن السابع الميلادي، وهو ابن جبير (راجع كلمة خرقة) بعد الشملة من بين ملابس البدو. وفي هذا النص ذاته نجد جمع كلمة شملة وهو شمل[2].

---

(١) تذكروا أن المصريين يلفظون الجيم لفظ الفرنسيين لحرف (G) أمام U, O, A.

(٢) يرى اللغويون العرب أن الشملة والمشملة تدلان على نوع من القطيفة، ولكنهما تختلفان عنها بقلة الفضفضة والاتساع. وكلمة قطيفة تدل على غطاء فراش. إذ يقول مارمول في كتابه (وصف أفريقيا ج٢، ص٤، مجـ٢) في وصفه لحيحة، وهي ولاية في =

وهذه الكلمة تذكرنا بالكلمة العبرية شملاً التي كانت تشير إلى رداء كان الفقراء يستعملونه كذلك بمثابة غطاء ودثار أثناء الليل. وقد سبق لنا أن عرفنا في مجال الحديث عن كلمة بردة، إن هذا الكساء كان وما يزال يستعمل نفس الاستعمال.

المِشمال

يرى القاموس إن هذه الكلمة تدل على الملحفة. راجع هذه الكلمة.

- أقصى الغرب من مملكة مراكش: (إن السرر الاعتيادية للرؤساء والأعيان تتكون من القطائف المزابرة التي نراها تجلب من أفريقيا، وهم يبطنونها بعدة بطانات ويستعملون إحداها، وهي طويلة - بمثابة غطاء فوقاني». وتجد في رحلة ابن جبير (مخ ص٢٧٧): «القطائف الجياد يفترشونها عند رقادهم». والقطيفة تشير كذلك إلى نوع بساط أو سجادة، ذلك لأن مؤلف كتاب (مهمة تاريخية في مراكش - ص٥، مجـ٢) يقول أن الملك يجلس في مجلس الشورى «على بساط أو قطيعة من الصوف». ويترجم پيدرو دي الكالا كلمة Alhonbra (بساط) (سجادة) بكلمة قطيفة. ونقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص٢٥٩) وأتوا بنا إلى بستان عليه حائط خشب وفي وسطه دار بناؤها بالخشب مفروشة بقطائف قطن». ولكنني سأجعلكم تلاحظون - بهذه المناسبة - إن كلمة قطيفة تشير أيضاً إلى المخمل. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص١١٩) رزمة قطيفة، وهذا ما يترجمه لين (ج٢ - ص٣٠٤) بما يلي: «رزمة قطيفة» a bale of velvet ويترجم پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) كلمة terciopelo (المخمل) بكلمة قطيفة. ونجد في كتاب تاريخ اليمن (مخ٤٧٧، ص٦٢): «أمر له بجملة من الكساء النفيس من ملابسه من القطائف». ونقرأ بعد ذلك (ص٦٥): «أمر له بجملة كساء من الشاش الغالي والقطائف النفيسة».

ولكلمة شملة أيضاً معنى آخر لا وجود له في القاموس. فهي تشير، حسبما يقول برگهارت في كتابه (تعليقات على البدو والوهابيين - ص٣٩)، وهو يكتب الكلمة شملة Shemle، إنها كيس مصنوع من وبر الإبل، ويستعمله البدو لحجب ضرع الناقة عن حوارها لكيلا يرضعه».

الشِنتيان

لا وجود لهذه الكلمة، التي لا ريب في أصلها الأجنبي، في القاموس.

وهي تشير في مصر إلى سراويل امرأة تلبس لبسة التبان. أما في أيام الحملة الفرنسية، فإن كلمة شنتيان لم تكن تدل إلا على «سروال شتائي» للمرأة، في حين أن التبان أو السروال الصيفي كان له اسم لباس. راجع (الكونت دي شابرول) في كتابه «وصف مصر، ج١٨، ص١١٢». ولكن في أيامنا هذه لا توجد إلا كلمة شنتيان للإشارة إلى التبان أو السروال النسائي، في حين أن كلمة لباس مخصصة لتبان الرجال، كما يمكننا رؤية ذلك برجوعنا إلى كتاب لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩، ٥٦، ٥٧، ٥٨) حيث نقع على الوصف التالي للشنتيان: «هناك تبان مسرف الفضفضة والسعة اسمه شنتيان، وهو مصنوع من القماش الملون المخطط، من الحرير أو من القطن، أو من الشاش الثمين الملون أو المطرز أو الموشى أو المفوف، الأبيض اللون الأملس الملمس، وهو يشد حول الخصر تحت القميص بدكة (راجع كلمة تكة) ولكنه على درجة كافية من الطول، بحيث أنه ينساب حتى القدمين، أو يكاد يصل إلى الأرض، عندما يشد على هذا المنوال».

ويقرر المقدم نابييه في كتابه (ذكريات عن سورية، ج١، ص١٤٤) إن هذا الكساء تلبسه نساء بيروت أيضاً. وهذا الرحالة يكتب الكلمة Shintien ويفسرها بهذه الجملة: «تبان حريري فضفاض» Loose silken drawers. ويتوهم فيكسيه قليلاً في كتابه (رحلة إلى المشرق، ص٤١) فيكتب الكلمة شكسيان Chakseiann.

الشَوْبَر

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ونحن نقرأ في أحد كتب برگهارت (ملاحظات حول البدو والوهابيين، ص٢٨) إن النساء لدى البدو يضعن على رؤوسهن طرحة تدعى Shauber (شوبر) أو (Mekroune مقرونة). وترتدي الفتيات اليافعات هذه الشوابر من اللون الوردي، أما النساء الطاعنات في السن فيتخذنها من اللون «الأسود» وهذه الكلمة مكتوبة على هذه الصورة (شوبر) في قائمة الكلمات العربية في نهاية الكتاب.

المِشْوَد، المِشْواذ

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٤٤١) هاتين الكلمتين بأنهما العمامة. فهل يا ترى تشير هاتان الكلمتان إلى نفس عمرة الرأس Coiffure كوافير، التي تشير إليها كلمة مشوش؟

الشاش وجمعه الشاشات

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد أورد عالمان من الطراز الأول بعض التفصيلات عن كلمة شاش، الا وهما سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج١، ص١٩٩) وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٣٧). وكما هو ديدني، لن أورد أي نص، سبق لهذين العالمين إن ذكراه، دون تنبيه القارىء لمن أنا مدين له بالشكر.

تشير كلمة شاش إلى: قطعة من البز تلف حول طاقية أو عرقية أو كلوتة العمامة. فنحن نقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٩٢). «تعمم بشاش دخاني عتيق». ونجد نفس الكلمات لدى المقريزي (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٦٣). وفي موضع آخر (مخ ١٩، ص١٣٥). «فأكرمه السلطان وأحسن إليه وأنعم عليه بتشريف أطلس معدني مزركش وكلوتة وشاش رقم وحياصة ذهب مجوهرة على عادة أكابر نواب السلطنة الشريفة». وفي مكان آخر (مخ ١٩، ص١٣٥): «ركب في الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية». ونطالع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٥٩): «فأخذ بدر الدين حسن الرقعة وطواها وخيطها بين البطانة والظاهرة ولف عليها شاشة». في هذا النص يتحتم عليه إضافة (في شاشيته) بعد (وخيطها)، وهذا التصحيح يصبح أكثر احتمالاً لدى حكاية نفس الواقعة في (طبعة هابيخت، ج٢، ص٢٩، سطر ٣) وفي موضع آخر (طبعة مكناگتن، ج١، ص١٦٥): «وكان عليه الطربوش والشاش». وفي (طبعة هابيخت، ج٢، ص٤٤): «وعليه شاشه بطرفين». وأخيراً (ط مكناگتن، ج١، ص١٧١): «وقلع شاشه وعلقها على الكرسي». (الكرسي المخصص لوضع العمامة عليه، راجع كلمة عمامة). ونقرأ في حكاية عربية (لدى كوسان دي پرسفال، النحو العامي، ص٩ من النص العربي) «اشترى قرطاس حلاوة وجعله في عمامته - فرأى في شاش الحكم حلاوة». والحديث عن حاكم اشترى وخليفة رأى. ونجد في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص٦٣) إن الشاشيات shashes «هي مناديل من البز تلف حول الرأس». ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص٤٤ و٤٥) عن سكان طرابلس الشرق: «ويلفون لفاً محكماً حول الطاقية قطعة من القماش

القطني الأبيض يسمونه sessa فيكورون عمامة كبيرة أو صغيرة حسب منازل الأشخاص وأقدارهم. فهؤلاء الذين يعلون عن الآخرين، بمولدهم أو بوجاهتهم، يلبسون العمائم الضخمة، وبينهم من يبالغ في تضخيم عمامته إلى حد الإفراط والإسراف». ونجد في كتاب (يوميات رحلات مونكوني، ص٣٨١، ج١): «إن الشرفاء يلبسون الشاش الأخضر». ونقرأ في رحلة م.ج.د.پ إلى الأرض المقدسة: «إن القلانس المخملية الحمراء والشاشات البيضاء التي لا يجوز التعمم بها إلا من قبل المسلمين وحدهم، محرمة على النصارى إذا لم تكن مشوبة بلون آخر». ويقول تاڤرنييه (الرحلات، ج١، ص٦٣٠) عن الفرس: «إن شاشهم الذي نسميه نحن عمامة مصنوع من نسيج حريري غاية في النعومة والرقة ومرصع بالذهب والفضة ويكاد يشبه شكل يقطينة مكورة من يقطيننا. وهو مسطح قليلاً من أعلاه حيث ينتهي طرف من القماش المزين بأزهار ذهبية أو فضية بشرائط تشبه طاقة ورد. وهذه القلانس ثقيلة الوزن كثيراً، لا سيما تلك التي يقال فيها الحرير، والتي تكاد تتألف من الذهب والفضة وحدهما. وهذه غالية الثمن بحيث أن أهونها يكلف مائتين من الايكوات.

ونجد من هذا النوع على رأس الملك وعلى رؤوس الكبراء والأعيان بحيث يبلغ سعر القلنسوة الواحدة أربعمائة أو خمسمائة قطعة من العملة المذكورة. «ومن النادر رؤية ضابط كبير لا يضع في قلنسوته بعض الأحجار الكريمة».

ونقرأ في كتاب دي لاموتري (رحلات إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا، ج١، ص١١): «إن الشاش هو قطعة من الموصلي أو من نسيج القطن الذي يحيط به الشرقيون طاقيتهم، فإذا طوقت الطاقية على هذه الصورة سميت (دلبند tulbend)، أو طربان turban عمامة، حسب نطقنا بالكلمة».

ونقرأ في كتاب الرحّالة نيبور (وصف الجزيرة العربية، ص٥٩)[1]: «وهم يحيطون هذا الحشد من الطاقيات بقطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش، وهو مزدان من الجانبين بحواش وهدابات حريرية بل وحتى ذهبية، ويدعها حاملوها تنساب على الظهر بين الأكتاف». والحقيقة إن كلمة شاش موجودة بهذا المعنى في تاريخ اليمن (راجع رتجرس ص١٥٩). ولما كانت كلمة الشاش تستعمل للدلالة على قطعة من البز تطوق الطاقية أو العرقية أو الكلوتة أو الكلوتات، فلن يأخذنا العجب إذا قرأنا إن هذا الشيء يستعمل استعمالات أخرى أيضاً. (يستعمل استعمال العمامة ويقوم مقامها أحياناً). وفي تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٨٧) نجد: «فخنقوه بشاش عليه وقيل بوتر وعلقوه بعمامته وأظهروا أنه شنق نفسه». ففي هذا النص نجد أن كلمة شاش كما ترون، هي معادلة لكلمة عمامة.

وجمع شاش شاشات، والكلمة موجودة في بيت ذكره السيوطي (راجع سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص١٤٥)، وإنني أقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخ ٣٧٢، ص٣٥١): «لبسوا الشاشات».

ولكن كلمة شاش كانت تشير كذلك في العهود القديمة إلى شيء آخر، فهي، كما برهن على ذلك كاترمير (كتابه القيم) مستنداً إلى كتاب السلوك للمقريزي: «عصبة ابتكرتها النساء عام ٧٨٠». وكانت تشبه سنام البعير. وهي تبدأ فوق جبين المرأة وتنتهي قرب الظهر. ولبعض هذه العصائب طول يقارب الذراع، ولها ارتفاع يبلغ أقل من ربع الذراع».

والواقع إنني أطالع في تاريخ مصر لابن إياس (مخ ٣٦٧، ص١٦،

---

(١) ذكر هذا النص سابقاً كل من دي ساسي وكاترمير.

حوادث سنة ٧٨٧): «وفي رجب جرت حديثة وهي امرأة صالحة رأت النبي ﷺ في منام وهو يقول لها: قولي للناس أن ينتهوا عن لباس الشاش. وكان شيئاً قد اقترحته النساء يلبسنه على (رؤوسهم) مثل صنم (سنم) (يلبسنه على رؤوسهن؟). (سنام؟) الجمل. طوله نحو ذراع وارتفاعه ربع ذراع ويزخرفونه بالذهب واللؤلؤ. وبالغوا في ذلك. وكان بدعة سيئة من السيئات».

وكلمة شاش، بمعنى قطعة القماش التي تحيط بالكلوتة أو الطاقية أو العرقية كانت معروفة الاستعمال في الجزيرة العربية وفي سورية ومصر وفارس، كما رأينا. ومن هذه الكلمة كون الانكليز كلمتهم Sash التي يستعملونها إشارة إلى طرحة أو حزام أو نطاق أو زنار.

الشاشيّة

بالرغم من اضطراري مراراً إلى اتهام القاموس بكونه ناقصاً، فإن من العدل كل العدل أن أقول إن كلمة شاشية قد وجدت في هذا القاموس مرتين. المرة الأولى يوم وضعها فريتاگ (ج٢، ص٤١٩، مجـ٢) بمعنى كلوتة، عرقية طاقية، في الحديث عن كلمة شسأ، والمرة الثانية (ج٢، ص٤٦٤، مجـ٢) في موضعها الأصلي، في معرض الكلام عن كلمة شوش، بوصفها تشير إلى الشاش الموصلي. . . في الموضع الأول لم يكن يكلف أحد نفسه عناء البحث عن هذه الكلمة، فالحقيقة إن الكلمة قد وجدت في موضعها هذا عن طريق الخطأ، ذلك لأن لعباً بالكلمات قد حدث في بيت نقله السيوطي (دي ساسي، طرائف عربية ج١، ص١٤٥)، حول كلمتي تشويش وشاشات يضاف إليهما كلمة مشوش وهذا اللعب يؤكد بصورة لا تقبل الشك أن عربياً صميماً لو كان في محل هذا الدخيل لوضع كلمتي شاش وشاشية في باب

كلمة شوش. وقد سبق لكل من سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج١، ص١٩٩ وكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٣٧) أن تحدث عن هذه الكلمة، في تفسيره لكلمة شاش.

وتشير كلمة شاش في المغرب، كما كانت تشير في مصر، إلى الكلواتة التي توضع على الرأس، والتي تلف حولها قطعة قماش لتتكون العمامة على هذا المنوال». ونحن نقرأ في كتاب الرحالة المغربي ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص٣٥): «ضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير فأنكروا عليه لباسه». وفي موضع آخر (ص١٨٩): «والنقباء بين يديه على رأس كل واحد منهم شاشية مذهبة وفي وسطه منطقة» (والحديث يجري عن النقباء ونقيب النقباء في Dehli). وبعد ذلك (ص١٩١): «ويمشي بين يديه عبيده ومماليكه وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب وعلى وسطه منطقة ذهب وبعضهم يرصعها بالجواهر». وأخيراً (ص٢٢٤): «عشر شواشي من لباسه إحداها مرصعة بالجوهر». ويقول داپر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص٢٤١، مجـ١) إن أحد خدام سفراء ملك مراكش: «كان على رأسه طاقية من الصوف الأحمر، مرتفعة قليلاً، وهي تسمى شاشية Hieissya. وكان رفيق هذا الخادم يلبس نفس النوع من الطاقية (المرجع السالف).

ويقول دييگو دي توريس (تاريخ الشرفاء، ص٨٦) عن سكان مراكش: «يلبسون الطواقي الحمراء من أرجوان طليطلة بدل القبعات، ويلبس كذلك كل منهم عمامة أو شدا».

ويذكر مارمول (وصف أفرقيا، ج٢، ص١٠٢، مجـ٣). إن قلانس سكان فاس هي الطاقيات الأرجوانية الشبيهة بالطاقيات التي يحملها التجار الأسبان للبيع».

ويضيف مارمول إلى ذلك قائلاً: «إن هناك قلة من الأشخاص تلف قطعة قماش حول هذه الطاقية» وهذا الزعم مؤيد بشهادة هوست (راجع كلمة شد). والحقيقة إن الناس في المغرب يكتفون على العموم بالطاقية وحدها، شأنهم في ذلك شأن الناس في أسبانيا، حيث كانت الشاشية تسمى غفارة. (راجع هذه الكلمة).

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٤) إن قسماً من الرجال المتزوجين لا يلبسون إلا طاقية من الصوف الأحمر تدعى ساسية sesia ولهذه الطاقية وقع خاص لدى المغاربة «بحيث إذا وضعها أحد من النصارى أو اليهود على رأسه ولم ينزعها أمام لابسيها من المغاربة، فإنهم في هذه الحالة يعتبرون هذا العمل تصريحاً باعتناق الديانة الإسلامية، ولن يستطيع هذا المسيحي أو ذلك اليهودي إفلاتاً من هذا الاعتبار».

أما بالنسبة لمصر، فإننا واجدون هذه الكلمة في الأغلب لدى مؤلفي هذا القطر، أمثال المقريزي، ونعثر على هذه الكلمة مستعملة كذلك بكثرة في كتاب ألف ليلة وليلة. ولكنني لا أفهم على الإطلاق كيف وسع سيلفستر دي ساسي (كتابه القيم) أن يقول: «أعتقد أن الشاشية في نصنا تعني قطعة من الشاش الموصلي، ولها نفس الاستعمال في مصر، هذه الكلمة هي الاسم الذي يطلق على الشاش الموصلي».

إنني محرج غاية الحرج أن أكون في حالة حتمية القول بوجود أخطاء كثيرة هنا بقدر وجود كلمات. فإن العبارة هي (ج١، ص٦٧ من النص العربي): «وصار الحاكم يركب حماراً بشاشية مكشوفة بغير عمامة». وهذا ما يترجمه دي ساسي ترجمة حسنة للغاية (ص١٠٩). والخلاصة أن كلمة شاشية لا تعني الشاش الموصلي البتة، كما يؤكد ذلك دي ساسي، دون الركون إلى أي دليل، وكما تقبل هذا المذهب فريتاگ بجرأة وتهور. وإنما كلمتا شاش وشاشات هما اللتان تحملان هذا

المعنى، كما أثبت ذلك كاترمير في (كتابه القيم). ولكن ما يضيفه دي ساسي وهو: «إن الطاقيات التونسية الحمراء، التي يقلدونها في فرنسا، وخصوصاً في مدينة أورليان، معروفة في مصر باسم طربوش وجمعه طرابيش» مطابق كل المطابقة للحقيقة، ذلك لأنه يبدو أن كلمة شاشية مجهولة في مصر في أيامنا هذه، وهم يسمونها اليوم بالطربوش.

ويظهر أن هذه الكلمة تلفظ في سيوه شاشة، ذلك لأن هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق ص٢٢ و٢٤) يكتبها تشاتشت tschatschet ويقول إنها طاقية من الصوف الأحمر ومن القطن الأبيض. وكان لهذه الكلمة معنى آخر في مدينة الجزائر، فقد كانت تدل على: طاقية امرأة. إذ يخبرنا دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر، ص٣٧، مجـ٤) إن نساء هذه المدينة يلبسن فوق البناقة ثلاثة أنواع من عمارات الرأس حين يحضرن الحفلات والأعراس، وهن يضعن أيضاً على رؤوسهن، لا سيما إذا كن موسرات، بيريه مستديرة مصنوعة من الخز أو نسيج الأطلس أو الدمقس المرصع بالذهب بعذوبة وحلاوة وروعة. وهن يسمين هذه البيريه Xixia وبعضهن يزين هذه العمارة بعدد كبير من الجواهر والأحجار الكريمة، ما استطعن إلى ذلك سبيلا».

المِشْوَش

لقد لاحظ گوليوس Golius معتمداً على Maroufi إن هذه الكلمة تدل على عمامة صغيرة. إذن يبدو، والحالة هذه، إن المشوش هو شاشية قصيرة لا تدور إلا عدة دورات حول الرأس.

الشال

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

والشال هو الكلمة الفارسية شال châle التي تسربت إلى عدة لغات أوروبية. فنحن نقرأ في بحث الكونت دي شبرول (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨): «الشال هو قطعة طويلة من الشاش الموصلي أو من النسيج الصوفي الذي يطوى ويلف عدة لفات حول الطربوش. ويتخذ الأثرياء هذا الشال من الكشمير».

ونجد في كتاب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٨) إن: «جميع نساء قبيلة (رولة) يضعن على رؤوسهن طرحاً من الحرير الأسود، تبلغ مساحة كل طرحة مترين مربعين، وهن يسمين هذه الطرحة châle kâs (شال قز، خز؟، المترجم)، وهي تصنع في دمشق، وأعتقد أن جملة châle kâs تعني شال قاسح أي الشال الكثيف أو الكثاف.

الصُتيّة

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص١٨٥) إلى أن الصتية هي الملحفة، أو بالأحرى هي نوع من القماش (أو اللباس) الوارد من اليمن، (الملحفة أو ثوب يمني). وأعتقد أن هذا الكساء كان مخططاً.

الصَدُود[١]

توجد هذه الكلمة في طبعة كلكتا للقاموس (ص٣٨٠) مفسرة بكلمة

(١) لا أعني كلمة الصداد، التي ذكرها القاموس (ط كلكتا، ص٣٨٠) قائلاً: «ما =

المحول. وأجد كذلك هذه الكلمة بحرف ح في مخطوطات ليدن رقم ٣٧٥ ورقم ٣٧. ولكن مخطوطة المرحوم ڤان در بالم Van der Palm التي تملكتها حديثاً مكتبة ليدن والتي تحمل الآن رقم ١٥٨١، تعرض المجول بحرف ج. فإذا كان هذا هو الإسم الحقيقي للكلمة فإن الصدود يشير إلى: قميص قصير للمرأة.

Une courte chemise de femme.

الصِدار

إليكم ما نقرأ في سفر الجوهري (جـ١ وص٣١٦): «قميص صغير يلي الجسد». وفي المثل: «كل ذات صدار خالة». أي من حق الرجل أن يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه.

وهذا المثل موجود أيضاً لدى الميداني (ط فريتاگ، ح٢، ص٣١٠)، حيث أن الصدار كان كساء قديماً قد تبنته النساء كافة دون استثناء. ويفسر القاموس (ط كلكتا، ص٥٧٦) كلمة صدار على هذه الشاكلة: «ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر». ويتفق التبريزي (شرح الحماسة، ص٨٠١) - وقد سبق لفريتاگ إن ذكره - مع القاموس أكثر من اتفاقه مع الجوهري، إذ يقول أن الصدار هو: «الثوب الذي يبلغ الصدر».

الصُدْرة

إن تفسيرات الجوهري (ح١، ص٣١٦) والفيروزآبادي (القاموس ط

= اصطلَت به المرأة وهو الستر».

كلكتا، ص٥٧٦) عقيمة الجدوى. إذ يقول الأول: «الصدرة التي تلبس»، ويفسرها الثاني بكلمة الثوب. وأرى إنها تشير إلى ما تشير إليه الكلمة الفرنسية Veste فيست، مثل كلمتي الصدرية والصديري اللتين سنتحدث عنهما بالتفصيل[١].

الصِدْرية أو الصَدْرية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإننا نجد في مذكرات دارڤيو (ح٥، ص٢٨٢، ٢٨٣): «بقية ثياب الأتراك في مدينة الجزائر تنحصر في قمصلة لا أكمام لها، والقوم يسمونها صدرية Sadderie وهي محرومة من تقريرة أمامية ومن فتحة خلفية، ولكن لها ثلاث فتحات، الفتحت الأولى لإمرار الرأس، والفتحتان الأخريان لإدخال الذراعين. وهم يدخلون الأيدي بادىء الأمر من الفتحتين، ويرفعون الذراعين بلطف وهوادة، فتنساب القمصلة دون أن يشعر بها شاعر. أما الرأس فيمر من التقويرة الوسطية، وهذه الصديرية تصافح الجسم مباشرة». ونقرأ في رحلة النقيب ليون (أسفار في الشمال الإفريقي، ص٦) كلمة «صدرية»، Sidrea ويعرفها بأنها صدارى يلائم

(١) كل ذات صدار خالة: الصدار كالصدرة تلبسها المرأة. ومعناه أن الغيور إذا رأى امرأة عدها في جملة خالاته لفرط غيرته.. وهذا المثل من قول همام بن مرة الشيباني وكان أغار على بني أسد، وكانت أمه منهم. فقالت له النساء: «أتفعل هذا بخالاتك؟». فقال: «كل ذات صدار خالة». فأرسلها مثلاً. قلت ويجوز أن تكون الخالة بمعنى المختالة. يقال رجل خال أي مختال. يعني أن كل امرأة وجدت صداراً تلبسه اختالت. (مجمع الأمثال للميداني، ١٣٥٣هـ، ج٢، ص٧٨، ٧٩). (المترجم).

الجسم تماماً، وهو محروم من فتحة أمامية، وليس له سوى تقويرتين لإمرار الرأس والذراعين». وهذا الثوب يلبسه معظم سكان طرابلس الغرب. ويتحدث الرائد دنهام (رحلات في شمال أفريقيا ح١، ص٢٧) عن صدرية من الحرير «Sidiria» تلبس تحت البنش، راجع كانيس (القاموس، ح٢، ص٣٤٠، حول كلمة جوستيللو Justillo) إذ يقول الصدرية لباس تحتاني يلامس الجسد، ولا أكمام له. ويترجم دونباي (النحو المغربي العربي ص٨٢) كلمة انتريولا Interula بكلمة صَدرية أو صِدرية.

وهذا الثوب كان يرتدي أيضاً في مالطة، وما تزال القرويات حتى أيامنا هذه يرتدين صدريات لا أكمام لها في هذه الجزيرة، وهن يسمين واحدتها صدرية Sidria. (راجع ج. فيسكيه رحلات إلى الشرق ص٦، وانظر فاسالي، اللغة المالطية، مجـ٦١٠).

الصُدَيْري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨): «الصديري مشد صغير petit corset لا أكمام له». ونطالع في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩): «ويرتدي بعض الناس في الشتاء، أو بصورة عامة لدى حلول البرد، صديرياً، أي سترة صغيرة لا أكمام لها، مصنوعة من الجوخ، أو من الحرير والقطن، ذات خطوط ملونة». ولا ارتاب مطلقاً في كون هذا الكساء هو الذي يتحدث عنه پوكوك Pocoke في كتابه (وصف الشرق، ص٣٢٧، ج١)، (Beschijving van hat Oosten) فيقول: «إن الحلة التركية تتألف قبل كل شيء، من نوع كساء قصير لا أكمام له، منسوج من القطن أو من التيل،

ويكون هذا الثوب أحياناً مقفلاً من الجهة الأمامية، ولكنه مثبت بإحدى الجهات». راجع هيئة الكساء هذا في كتاب پوكوك السالف الذكر، (ج١، اللوحة ٦٨).

الصِقاع، الصَوْقَعة

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٠٥١) كلمة صقاع «بخرقة تقي الخمار عن الدهن» والبرقع كالصوقعة، أما ابن جني (شرح ديوان المتنبي، مخـ١٢٦، ص١٠٣) فيميل إلى كلمة صقاع بمفهومها الثاني من المفهومين المذكورين في القاموس. إذن فالكلمة تشير إلى ما يسمى ببرقع، وكلمة صقاع تشير أيضاً، كما تشير كلمة صوقعة، إلى قطعة من القماش تقي الخمار الدهن الذي تدهن به المرأة رأسها أو تعطره. وعلى هذا فالمسألة هي مسألة طاقية.

الصَولق[1]

يخبرنا المقريزي (وصف مصر، مخـ٣٧٢، ص٣٥٠ و٣٥١) إن

---

(١) يرى هوست (رحلة إلى مراكش ص١١٩): (Höst, Nachrichten von Marokos). إن كلمة صوالق التي لا وجود لها في القاموس تشير إلى نوع زينة رأس، نوع عمارة شبيهة بما يدعى عزابة. ولكيلا يظن بأن هذه الكلمة تدل حقيقة على نوع عمارة فإنني سأورد النص التالي لديگو دي هيدو و(خطط مدينة الجزائر ص٢٧، مجـ٤) التي تثبت لنا أن معلومات هوست خاطئة. فنحن نقرأ فيه: «جميعهن، بصورة عامة لهن عادة قص كل شعورهن بالموسى، الشعور الموجودة حول العنق وحول قفا الرأس، حيث البناقة لا تصل وهن يقصصن أيضاً جزءاً من شعر الجبين: بحيث تبقى لهن من جانبي الرأس خصل من الشعر ممشطة بعناية تنساب على الصدر: وهن يسمينها صوالف. =

السلطان والأمراء والجنود كانوا يلبسون الصوالق على الأقبية أيام حكم السلالة التركية (الجركسية): صوالق بلغاري كبار يسع الواحد منهم أكثر من نصف ويبة[1] غلة مغروز فيه منديل طوله ثلاثة أذرع. وهذا النص الذي سبق لكاترمير إن ذكره (تاريخ السلاطين المماليك، ج٢، ق١، ص١٥٢) يزودنا بجمع كلمة صولق وهي صوالق التي ينبغي إضافتها إلى القاموس.

راجع كذلك تعليقة كاترمير التي يستخلص منها أن كلمة صولق كانت تشير إلى جيب جلدي كان يضم إلى الحزام أو المنطقة من الجهة اليمنى. ويظهر من عدة نصوص من كتاب ألف ليلة وليلة إن حافظة النقود كانت تشد أيضاً إلى الصولق.

المُضامة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٥): «إن الفرد المراكشي يلبس فوق القفطان أما حزاماً من الحرير وأما مضمة Modhéma أي حزاماً جلدياً بابزيم، ويلبسه رجال البلاط وجلساء الملوك بمثابة زينة، راجع اللوحة ١٥ الصورة ٣، ولكن بعض الناس لا يستغنون عن المضامة، لأنهم يلمون أثوابهم بواسطة هذا الحزام، وبدونه تربكهم ثيابهم أثناء العمل». ونرى من اللوحة أن القوم يحملون منديلاً في هذا الحزام.

ولا ريب أن هذه الكلمة عربية الأصل وأعتقد إنها الكلمة المؤنثة من

= ويكتبها پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) (صالف وصوالف). ولكن كانيس Canês يكتبها (سالف والجمع سوالف) ويفسرها بأنها خصل الشعر.

(١) الويبة هي مكيال حنطة وهو يبلغ اليوم سدس الأردب، راجع لين (المصريون المحدثون، ج٢، ص٤١٧).

الصيغة الثالثة من فعل ضم». وافترض كذلك أن هوست ضل في كتابتها مضمة، في حين إنها تلفظ جيداً Modhéma وذلك لأن (أ) تلفظ في المغرب (é) آية.

إذن فالمضامة تعني تماماً:

«Res unam rem cum alià coniungens».

أي إنها حزام يجعل شطري الجهة الأمامية يتلامسان، أو، إذا صادفت هوى في نفوسنا، هي الحزام الذي يجعل الثوب الواسع يلاصق الجسم.

وبالرغم من أن هذا التخمين يبدو احتمالياً، فإنني لن أسكت عن دونباي (النحو المغربي العربي ص٨٢) وهو يكتب الكلمة (مضمة) (كذا) وينطقها مُضَمَّة. وهو يفسرها بأنها حزام من الجلد:

«Cingulum er corio, une ceinture de cuir».

الطربوش

ينبغي التمييز بين الطربوش الذي يلبس في مصر والطربوش الشائع الاستعمال في سورية والأقطار الشرقية الأخرى.

ويرى لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١ و٤٢) إن: «العمامة تتألف حالياً في مصر من ثلاث مواد - المادة الأولى الكلوتة الصغيرة المسماة طاقية - والمادة الثانية الطربوش الذي هو طاقية (أو كلوتة) من الجوخ الأحمر - الملامس للرأس كل الملامسة والمزود في ذروته بقنزعة من الحرير الأزرق العاتك - أما المادة الثالثة والأخيرة فهي القطعة القماشية الطويلة التي تلف حول الطربوش».

ويقول فيسكيه (رحلة إلى المشرق، ص١٨٢، ١٨٣): «إن طربوش

مصر هو الكلوتة المستديرة المصنوعة من الصوف الأحمر الملبد المنتهية (بخيوط حريرية) قلت أو كثرت». والنساء أيضاً يلبسن الطربوش (لين، المصدر نفسه، ص٥٨). ونطلع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٦٥): «وكان عليه كما ذكرنا الطربوش والشاش (العمامة)». (راجع لين، ألف ليلة وليلة، ج١، ص٣٢٤). وجاء في رحلة فنسان لبلان الشهيرة (ج٢، ص١٣٩): إن نساء القاهرة يلبسن «طاقية صغيرة على الرأس من قماش غالي الثمن يعلوها قيطان مبروم في نهايته ندفة أو قنزعة». ونجد في قصة پوكوك (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٨): «إن سواد الشعب يلبس بدل العمامة الطاقية الحمراء التي تلتصق بالرأس كل الالتصاق. وهي تلبس أيضاً من قبل الأعراب (البدو) «ويلبسها كذلك المولودون في مصر، ولكن التجار وحاشية الأمراء العرب والقسس الأقباط يستعملون الطاقية». وجاء في كتاب الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨): «الطربوش هو الطاقية أو الكلوتة الكبيرة الملبدة التي تغطي الرأس حتى الأذنين». وبعد ذلك، في وصف أزياء النساء (ص١١٣): «الطربوش هو الغطاء الذي يوضع فوق الطاقية». ويخص ستيڤنس في كتابه (حوادث سفر في مصر، ص٢٢٥) بالذكر «الطربوش الأحمر» من بين ملابس أحد تجار القاهرة. انظر هيئة الطاقية في كتاب پوكوك، اللوحة ٨٥، وراجع كتاب ج ڤيسكيه.

وها قد رأينا بفضل نص أورده پوكوك أن هذه الطاقية هي أيضاً يلبسها بدو مصر. والواقع أن منتگازه يقرر في كتابه (**رحلة إلى أورشليم، ص١١٢**) إن: «فرسان البدو يلبسون طاقية صغيرة من التيل». ونجد في كتاب كوپان (درع أوروبا) ما يلي: «أما العوام فيستترون بقطعة طويلة من القماش الصوفي يلفونها حول الجسم (بردة) مع طاقية حمراء مزودة بقطعة من التيل الأبيض والأسود». ونقرأ في كتاب ستيڤنس (حوادث السفر -

إلخ - ج١ - ص٢٢٤): «وسرعان ما ارتدى پول الحلة العربية البدوية الاعتيادية: القميص القطني الأزرق والطربوش والنعلين البدويين».

ويؤكد پارثي في كتابه (جولة عبر صقلية والمشرق، ج٢، ص٧٧» إن البدو المجاورين للاسكندرية يلبسون «الطاقيات الحمراء الصغيرة». وإن ما يميز الطربوش المصري عن الطربوش السوري وطرابيش البلاد الشرقية الأخرى، هو أن الطربوش السوري لا يلامس الرأس تماماً - ولكن له نهاية متدلية إلى الوراء أو إلى الجانب. ونحن نقرأ في أحد كتب بكنگهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج١، ص٦): «هناك طربوش واسع، أو طاقية حمراء، تتدلى إلى الوراء، على الرقبة والكتفين».

ويقول ريشتر في كتابه **(رحلة إلى الشرق الأوسط، ص٦٨)** عن سكان عكا: «يستعملون كعمرة للرأس طاقية حمراء تتدلى إلى الجانب، وتتثبت في الرأس بقطعتين من القماش مرقطتين». وفي موضع آخر (ص٨٢) يقول عن سكان بعلبك: «يلبسون على رؤوسهم الطاقية الحمراء التي تتدلى إلى الجانب». ويقول بكنگهام (رحلة إلى بلاد ما بين النهرين، ج١، ص١٥١) عن رجال أورفه) «يلبسون الطربوش الواسع الذي يتدلى إلى الخلف بصورة عامة». ولعل أوليڤييه يتحدث عن الطربوش أيضاً في كتابه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج٤، ص٣٢٧) حين يقول عن نساء بغداد: «إن زينتهن الاعتيادية الطربوش المخملي الأسود الكبير الذي يتدلى إلى الوراء، المنتهي بقنزعة من الحرير الأسود أو الذهب: فإذا كانت القنزعة من الذهب فإن المغارز تكون مغطاة بالحرير أو القصب». وهذه الطاقية مثبتة بالرأس بشال كشمير (اللوحة ٢٧). ولكنني لا أريد أن اؤكد إن القضية هنا هي قضية طربوش، لأنني لم أقع في موضع آخر على أن الطاقية تكون من المخمل الأسود.

وسأجعلكم تلاحظون أن الطربوش في الساحل السوري لا يبدو إنه يختلف دائماً عن الطربوش المصري، ذلك لأن ريشتر في كتابه (الرحلة، ص١٢٣، إلخ) بذكر في وصف الحلة التي اشتراها من بيروت، للولوج إلى داخل سورية: «هناك فيس أحمر يدعى هنا طربوشاً أي طاقية صغيرة مدورة».

ولعل هذه الكلمة حين استعملت لم تصل إلى العرب إلا في مطلع القرن السادس عشر، ولم تكن إلا تحريفاً لكلمة سرپوش الفارسية، وهي في العربية شربوش. . . حقيقة أن هذه الكلمات تشير إلى نوع عمرة للرأس مختلف، ولكن كلمة سرپوش الفارسية في غاية الغموض أصلاً - ما دامت لا تشد إلا إلى زينة رأس على وجه العموم. إذن فمن الممكن كل الممكن - كما أعتقد - إن هذه الكلمة قد طبقت على أنواع من عمارات الرأس.

وتسمى هذه الطاقية في الجزيرة العربية بـ(فس) وكذلك تدعى في القسطنطينية. وكان الناس يسمونها قديماً في مصر شاشية، وهو الاسم الذي ما تزال تحمله في المغرب. ومع ذلك فإن كلمة طربوش ليست مجهولة في المغرب - ذلك لأن دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي - ص٨٣) يترجم كلمة طربوش بكلمتي Galericus nautarum. وتسمى هذه الطاقية في أسبانيا «غفارة».

الطَّرحة

سبق لكاترمير إن زودنا في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٢١ - ٢٢) بتفاصيل حول نوع الخمار المسمى طرحة. ونلاحظ في تعليق هذا العلّامة التعمق العلمي الذي يميز كل كتاباته. وقد تحدث كذلك سيلفستر دي ساسي في كتابه (طرائف عربية، ج٢، ص٢٦٩) عن

الطرحة، واستشهد به فريتاگ. وسأحرص على إعطاء هذه المعلومات التي اصطفاها هؤلاء العلماء شكلاً، أن يكن باهتاً من الناحية التاريخية فإنه خلاف ذلك من جهة إضافة ثمرة قراءاتي الخاصة إليه.

ولنشرع بوصف طرحة الرجال. فإنها خمار مقور: Voile empesé مصنوع من الشاش الموصلي الذي يلاث على العمامة، أو يطرح على الكتفين فقط. فيتدلى على الظهر (والطرحة تشبه الطيلسان، وإن التباين الذي ظن دي ساسي إنه قد عثر عليه بين الطرحة والطيلسان هو ظن وهمي. إذ يرى هذا العالم إن ما يميز الطرحة من الطيلسان أن الطيلسان يوضع على العمامة وأن الطرحة تطرح على الأكتاف. وإن كلمات المقريزي (لدى كاترمير): «فوق عمامته طرحة سوداء» و: «ألبس طرحة على عمامته» تؤكد أن هذا الافتراض افتراض لا يقوم على أساس. ونحن نقرأ كذلك في تاريخ مصر (مخ كاترمير): «حضر القاضي وعلى رأسه طرحة». وقديماً كان الناس يلبسون الطرحة مع العمامة (عمامة - شاش) كما بوسعنا أن نشهد ذلك في عدة نصوص للمقريزي وفي مسالك الأبصار ولدى النويري، وقد استشهد بها كلها كاترمير.

ويظهر أن الطرحة نفسها قد استعملت استعمال العمامة في العصور الحديثة - لأننا نجد في وصف مصر (ج١٨، ص١٠٩): «الطرحة قطعة من الشاش الموصلي أو جزء من الشال الذي ينساب إلى قفا الرأس بعد أن يكون قد التاث عدة لوثات حول الطربوش، وهذا النوع من الخمار يقف بارتفاع الكتفين ويحدث تأثيراً في غاية الحلاوة: ويكون أحياناً مطرزاً أو مرصعاً بالذهب في حواشيه».

وكانت الطرحة لباس القضاة الخاص، بل شعار قاضي القضاة. وقديماً كان لا يحملها إلا القاضي الشافعي. (السيوطي لدى دي ساسي، ص٢٦٧، مسالك الأبصار لدى كاترمير). وفي عام ٦٦٠ من أيام حكم

الملك الظاهر بيبرس تلقى القضاة الأربعة السماح لهم باتخاذ الطرح. (المقريزي، السلوك، ترجمة كاترمير). وهذا ما يؤيده النص التالي الذي استعيره من النويري (تاريخ مصر، ج٢، ص٨٨). إذ يقول هذا المؤرخ وهو يقص علينا (حوادث سنة ٧١٦): «فوض قضاء القضاة الحنفية بمصر للقاضي سراج الدين عمر بن شهاب الدين بن محمود وخلع عليه بطرحة على عادة القضاة». ولكنني أجد من المحتم على أن أحملكم على ملاحظة إن هذا الأمر لا يطابق البتة أحد نصوص السيوطي (حسن المحاضرة، مخ١١٣، ص٣٤٦، حوادث عام ٧٧٣) حيث نقرأ: «وفي هذه السنة أراد السراج الهندي قاضي الحنفية أن يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتقرير القضاة في البلاد وتقرير مودع الأيتام، فأجيب إلى ذلك. فاتفق إنه توعك[1] عقب ذلك وطال مرضه إلى أن مات ولم يتم الذي أراده». وعلى هذا نرى أن شهادة ابن حبيب (درة الأسلاك، مخ٤٢٥، ص٥٧٩) لا تدع أي مجال للشك بوفاة قاضي القضاة الحنفي سراج الدين الهندي حقيقة في عام ٧٧٣. فهل في المقدور حل هذه المعضلة بافتراض أن القاضي الشافعي كان هو وحده يلبس الطرحة بصورة اعتيادية، وأن القضاة الثلاثة الآخرين لم يكونوا يلبسونها إلا في المناسبات الرسمية؟ والواقع أن القاضي الشافعي هو الذي كان يتمتع في مصر باحتلال الصدارة، وإليه كان يعهد الحكم على قضاة الطوائف الأخرى. (ليون الإفريقي، وصف أفريقيا، ص٧٠٦) وإن الخطباء كذلك (خطباء الجوامع والمساجد) كانوا يلبسون الطرحة. (السيوطي لدى دي ساسي).

---

(١) إن التصريف الخامس لفعل وعك لا وجود له في القاموس. وبوسعكم رؤية مثال آخر في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٤٣).

وأول من خلع الطرحة كلباس تشريف يكرم به عظماء الدولة وكبراء ضباطها كان الملك السعيد بركة خان ٦٧٦ (النويري لدى كاترمير). ونقرأ لدى النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص٣٢): «خلع عليه خلعة الوزارة. وكانت الخلعة جبة عتابي حمراء وفوقه فرجية زرقاء مسنجبة (مقندزة) وطرحة». (مقايسة مع كلمة فرجية). ويخيل إلى أن طرحة القضاء كانت سوداء على الدوام.

وقد قلت آنفاً أن الطرحة كانت مماثلة للطيلسان - وهذه الملاحظة تحتاج إلى بعض التحوير، لأننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير): «لبس الطرحة وألقى الطيلسان». فهل الفرق بين الطرحة والطيلسان ينحصر في أن الكلمة الأولى تشير إلى الطيلسان المقور Voile empesé؟ فإن ما يدعوني إلى هذه العقيدة هو إننا نقرأ للنويري (لدى كاترمير): «يلبس الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة». ويتحتم علينا الآن التحدث عن طرحة النساء. وهي كذلك خمار يوضع على الرأس ويتدلى إلى الوراء، ولكن هذا الخمار أطول من الخمار الذي يحمله الرجال. ويخبرنا أبو المحاسن (لدى دي ساسي) إن النساء في مصر قد لبسته أيام حكم الملك الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١) فإذا آمنا بما يقوله هذا المؤرخ فإن هذا النوع من الخمار كان يكلف كثيراً، ما دامت كل طرحة كانت تساوي من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف دينار. على إنني لا أصدق إن هذه الطرح الثمينة كانت تلبس من قبل العموم، لأننا نرى من النص التالي للمقريزي أن الطرحة كانت تلبس أيضاً من قبل طبقة واطئة من طبقات المجتمع، وإن هذه الطبقة في الأغلب الأعم كانت فقيرة، ومن هذه الطبقة كانت المومسات تلبس الطرح فنحن نقرأ في كتاب (وصف مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٤٧): «وأدركت سوق الشماعين عن الجانبين معمور الحوانيت بالشموع الموكبية والفانوسية والطوافات لا

تزال حوانيتها مفتتحة إلى نصف الليل. وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين لهن سيماء يعرفن بها وزي يتميزن به وهو لبس الملاوات الطرح. وفي أرجلهن سراقيل حمر. وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال السالقين في وقت لعبهم. ومنهن من تحمل الجديد معها. وكان يباع في هذا السوق في كل ليلة من الشمع بمال جزيل. وقد خرب ولم يبق به إلا الخمس حوانيت بعدما أدركتها تزيد على عشرين حانوتاً وذلك لقلة ترف الناس وتركهم استعمال الشموع».

ويخيل إليَّ أن طرح النساء كانت تعمل من الكتان أو من القطن - فإنني اقرأ لدى المقريزي (ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٤ - ٣٥٥): «وفي أوله كثير من البزازين الذين يبيعون ثياب الكتان من الخام (والأزرق) وأنواع الطرح وأصناف الثياب القطن».

وفي أيامنا هذه أيضاً تعمل الطرحة من الكتان أو القطن. إذ يقول لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٦٠) في معرض حديثه عن طرز لباس سيدات الطبقة العليا ونساء الطبقة الميسورة: «إنهن يضعن على رؤوسهن أما قطعاً من الشاش الموصلي الأبيض المطرزة بالحرير اللون والمرصعة بالذهب وأما قطعاً من الكريشة الملونة المزركشة بأسلاك الذهب، إلخ، أو بأسلاك معادن أخرى». وإن الزراكش والتزويقات التي ذكرها لين توضح لنا، مهما بلغت ضآلة هذا التوضيح، السعر الفاحش الذي تباع به الطرح طبقاً لرواية أبي المحاسن، وطرحة نساء الشعْب ذات لون غامق وهي من الشاش الموصلي أو من الكتان. (لين، ج١، ص٦٤). وتعمل الطرحة في مصر العليا من قماش صوفي أسمر (لين، ج١، ص٦٩). راجع هيئة هذا الخمار في كتاب (لين، ج١، ص٥٧، ٦٤ - ٦٨).

وأعتقد إننا واجدون الطرحة في حلب. فعلى الأقل نراها لدى برين في كتابه (الرحلات، ص٣٦٢) إذ يصفها بأنها «قطعة كتان بيضاء مشدودة

إلى عمرونة الرأس ومسبلة إلى الوراء» انظر الكل ١٨٩ في كتابه. على أن طرحة نساء حلب لم تكن طويلة طول طرحة السيدات المصريات. وقد رأينا معتمدين على نصين للمقريزي مذكورين آنفاً وجوب إضافة كلمة جمع طرحة: طرح إلى القاموس. وإنني أجهل كيف ينطق العرب هذا الجمع، ولكن طبقاً لقواعد النحو بوسعنا لفظ طُرُح وطُرَح. (راجع دي ساسي، قواعد النحو العربي، ج١، ص٣٥٩ - ٣٦٠). وقد لاحظ كاترمير (كتابه السالف القيم) إن فعل تطرح قد تولد من كلمة طرحة: أي لبس الطرحة[1].

---

(١) لا وجود لكلمة طوافة، وجمعها طوافات، في القاموس. وإنني بمنحى هذه الكلمة المعنى المشار إليه في ترجمتي أعتقد بعدم مجانبتي للحقيقة كثيراً. ويخيل إليَّ أن الاستعمال الجاري لفعل طاف يؤيد ذلك. ويقول المقري أو بالأحرى ابن سعيد (راجع فريتاگ، طرائف عربية نحوية، تاريخية، ص١٤٤) إن الطواف بالليل هم رماة النشاب الحراس الذين يجوسون خلال المدينة، أثناء الليل لإلقاء القبض على اللصوص. ويسمى ابن خلدون (راجع دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص١٣٢ من النص) الجولات الليلية لهارون الرشيد بالتطواف بالليل، والقضية نفسها مبحوثة آنفاً (المرجع السابق - ص١٣١) بهذه الكلمات: «تطوفه بسكك بغداد». وهناك نصوص أخرى تشير بالتحديد إلى الاستعمال الذي يصلح له السراج المسمى طوافة. أما هذا النوع المضحك من المصابيح المسمى بالفانوس فراجع بشأن وصفه وصورته كتاب (المصريون المحدثون، ج١، ص٢٢٥، ٢٢٦) لمؤلفه لين.

وتشير كلمة زعر إلى البوهيميين المدعوين كذلك بالرمادية. وعن المشاعلية راجع (كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق٢، ص٤ - ٦) أما عن الزنجية (فراجع (كوسان دي بير سفال، النحو العربي العامي، ص١٦١) إلخ، حثالة الشعب. فنحن نقرأ لدى ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٤٤): «التف عليه جماعة من الزعر العياق». وفي موضع آخر (ص٥٨): «ومعه السواد الأعظم من الزعر والعشير». وبعد ذلك (ص١٣٨): «ثم أن الزعر تزايد أمرهم حتى أنهم كسروا باب حبس الرحبة». وفي موضع آخر (ص١٧٦): «ومعه السواد الأعظم من =

الطَّرطور أو الطُّرطور

لقد سبق لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج١، ق١، ص٧٧) أن تحدث عن الطرطور، ولكن هذا العالم الجليل لم يتحتم عليه أن يؤلف كتاباً خاصاً عن الملابس عند العرب: إذن فنحن مرغمون على الدخول في التفاصيل والتوسع في منعطفاتها، تلك التفاصيل التي كان بمقدور كاترمير أن يتحفنا بها دون ريب لو أنه شاء، ولكنها لم تستطع أن تحتل محلها في نطاق شرح على أحد المؤلفين.

= الزعر وغيرهم». وبعد ذلك (ص٤١٤): «نثر على الزعر الذهب والفضة بيده فاجتمع تحته الجم الحقير من الزعر والعياق (أي: القعد)». وأخيراً (ص٤٧٧): «ثار جماعة من العوام على المحتسب أمره (والي الشرطة) بأن يقبض على جماعة من الزعر والعبيد ويقطع أيديهم». راجع حول كلمة عياق تعليقة وردت حول كلمة طرطور. وتعابير (أهل الذعرة، الذعارة، ذوو الذعارة) تشير إلى نفس الصنف من الرجال). وإن أميراً متحللاً من الأخلاق، وهو محمد السادس الغرناطي، سماه ابن الخطيب في (الإحاطة، مخ دي گايانگوس ص١٦٣): «مالفا للذعر». وتقرأ للمقريزي (لدى دي ساسي، طرائف عربية ج٢، ص٣٦ من النص): «وكان قد ثار بدمشق جماعة من أهل الذعارة والفساد وحاربوا عمال السلطان واشتد أمرهم. وكان كبيرهم يعرف بابن الماورد» وفي (رحلة ابن بطوطة، مخ دي گايانگوس، ص٦٠): «اتفق في بعض السنين إن أوتي أمير الحاج بصبي من ذوي الذعارة بمكة قد سرق بعض الحجاج». وتشير كلمة دعار كذلك إلى البوهيميين. فنحن نجد لدى المقريزي (إيراد دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٣٩ من النص): «في عدة وافرة من الذعار».

إذن فكلمتا زعيرات الشماعين تعنيان بصورة خاصة: «البوهيميين أو المصريات، بائعات الشمع». والواقع إننا نعلم أن الراقصات العموميات (بائعات الهوى) هن في مصر من طبقة البوهيميات. ونرى فوق ذلك من نص المقريزي كلمة ذعارة تستعمل بمعنى Scortatio.

لا بد أن كلمة طرطور تشير إلى: طاقية عالية، وهذا ما ينم عليه اشتقاق الكلمة. حقيقة إن فعل طرطر لا وجود له في القاموس إلا بالمعنى المجازي: معنى التمجيد gloriatus fuit ولكن هذا الفعل يعني بصورة عامة الرفعة أو الرفع إلى الأعلى in altum sustulit elevavit فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٨): «طرطر ذيله: in altum sustulit caudam suam et cacavit وستتحدث أول ما نتحدث عن طرطور النساء، وبعد ذلك نتناول طرطور الرجال.

نحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٦١) إن نصابة استطاعت أن تحصل من عشاقها على ملابس نسائية فألبست عشيقها الثالث الوزير (غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر). ونجد في هذا الكتاب:

(يوميات رحلات السيد مونكوني ج١، ص٣٨١).

إن نساء الشرقاء يضعن «شريطاً أخضر في طرطورهن». وعلى هذا فلا أتردد في التفكير بأن بلون Belon يتحدث عن الطرطور، وهو الرحالة الذي زار مصر في الآونة التي كتب خلالها كتاب ألف ليلة وليلة» وذلك حين يصف الطاقية العالية التي تلبسها النساء المصريات. إذ يتناول الموضوع في كتابه (ملاحظات، ص٢٣٤) على هذا المنوال: «إن ملاحظة طراز لباس الرأس الذى تتخذه النساء المصريات جديرة للغاية بالتسجيل، ذلك لأنه يمثل القدم والعتاقة، كما نرى أشباهه مضروبة في الأوسمة وقطع النقود. وقد سماه المؤلفون التاج المبرج أو زينة الرأس على هيئة البرج: «الأشرطة المبرجة»: turritum capitis و turritam coranum vittam turritam ornamentum كما لو قال القائل: «عمارة رأس منصوبة على شكل برج»[1].

---

(١) قال حافظ إبراهيم:

يمشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاقا

(المترجم).

وبالنظر لأهمية غرَابة هذا الغطاء الرأسي فإن شعراء اللاتين القدماء لم يغفلوا ذكره فقد تناولوه بالوصف (راجع الصور المخطوطة في كتاب بلون Belon التي هي ولا مشاحة غير مستوفاة الشروط من الناحية الفنية). وأعتقد إنني واقع على الطرطور في ساحل سورية في بيروت. فعلى الأقل يقول تيرنر في كتابه: (يوميات جولة في المشرق ص٨١، ج٢) عن ابنة مضيفه في هذه المدينة (إنها كانت تلبس طاقية حمراء في غاية الارتفاع، مبثوثة فيها أنواع قطع النقود التركية أمثال ما يدعى: rubiehs, sequins وغير ذلك. تلك القطع التي قد يرتفع عددها إلى مائة وخمسين قطعة على أقل تقدير، وهذه القطع النقدية مجتمعة على أشرطة حريرية معلقة بسلاسل فضية». والواقع أن الطرطور تلبسه النساء المارونيات والدرزيات، ولكنه لديهن مشغول من أحد المعادن. وهذا ما يقول باجيس Pagès بالحرف الواحد في كتابه (رحلة حول العالم ط بيرن ١٧٨٣، ج٢ ص١٤١ voyage autour du monde): «الطرطور tantoura هو عمارة رأس على هيئة مخروط من الفضة تلبسه النساء الدرزيات[1]. ويذكر نابييه Napier كذلك الطرطور tontura في كتابه (ذكريات عن سورية، ج١، ص١٣٥ Reminiscences of Syria) ويسميه قرن نساء بيروت، وبعد ذلك (ج١، ص٢٣٣) يقول: «الطرطور أو قرن نساء لبنان tontura or horn». وهناك وصف مفصل عن الطرطور الذي تلبسه النساء اللبنانيات في كتاب المؤلف ذاته (ص٢٦٢ و٢٦٤). وإن كاترمير حين أورد نص باجيس حسب من المحتم عليه إحلال كلمة tartoura محل كلمة tantoura ولكن بالنظر إلى أن الكلمة توجد كذلك مكتوبة بحرف النون (n) في كتاب نابييه، وإن حرف الراء (r) وحرف النون (n) هما

---

(١) ورد ذكر هذا النص من قبل كاترمير (في كتابه الرائع) ولكن في طبعة أخرى.

حرفان ينتميان إلى نفس الفصيلة ويمكن أن يعتورهما الإبدال بسهولة في معظم الأحيان، فلذلك لا يبدو لي من الاستحالة بمكان إمكان النطق هذا اليوم بالكلمة بلفظ طنطورة لدى الدروز. وعلى كل حال فإن هذه الكلمة ليست سوى تحريف لكلمة طرطور.

وقد تحدث عدة رحالين آخرين عن عمارة النساء المارونيات والدرزيات هذه، ولكن دون ذكر لاسمها. فنحن نقرأ في رحلة لايت (أسفار في مصر والنوبيا والأرض المقدسة وجبل لبنان وقبرص، ص٢٢٠): «إن النساء المارونيات والدرزيات يضعن على رؤوسهن أنبوبة من القصدير أو من الفضة على هيئة مخروط له من الطول حوالي اثنتي عشر عقدة؛ ولعل هذا الجسم كان أضخم مرتين من بوق الحوذي» (انظر الصورة). ويقول الرحالة نفسه بعد ذلك (ص٢٣٢) في معرض حديثه عن عروس أمير جبل لبنان: «كانت تبدو أحياناً مرتدية حلة القطر، وقد زانت رأسها بقرن من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة بدلاً من القرن العادي الذي تحمله عادة نساء الجبل الأخريات (a golden horn) ونقرأ في رحلة تيرنر (ج١، ص٥٧): «لقد رأيت بضع نساء مارونيات خارجات من الكنيسة (في بيروت) وكن يلفتن النظر بقرن ضيق يبلغ طوله ثماني عشرة عقدة. وهو مغطى بخمار ويرتفع على الجبهة في نفس الاتجاه وعلى نفس الهيئة اللذين نصور بهما قرن الكركدن (الخرتيت) أو الحيوان الخرافي كحصان بقرن في جبهته. وإن طبقة النساء تشير إليها ضخامة القرن والمادة المصنوع منها هذا الجسم؛ ذلك لأن بعض هذه الطراطير مصنوع من الفضة؛ بل هناك طائفة من الطراطير المصنوعة من الذهب».

وفي موضع آخر (ج٢، ص٦٧، سورية ولبنان): «لقد سالت أحد الآباء Padre كيف تعمل النساء لتثبيت القرن على هذه الصورة المرتفعة للغاية بحيث يغطي الجبين فأعلمني بأن هذا القرن يثبت على قفا الرأس

بواسطة عصابة، وإن شريطاً معلقاً بهذه العصابة يحيط الجبين، وإن شريطاً آخر يحيط بالعنق، وإن ثقل وضغط هذا الإكليل كانا فاحشين للغاية، بحيث لا تستطيع أية امرأة حمله ما لم تكن قد اعتادت عليه منذ الطفولة. أما نساء الطبقة العليا فيلبسن الطراطير الذهبية، وأما عوام النساء فيضعن الطراطير الفضية أو تنحصر أكاليلهن في قرن اعتيادي أو في قرن مائل إذا كنَّ ميسورات الحال فاستطعن توفير هذا القرن المائل». وبعد ذلك (ج٢، ص٦٨ - ٦٩): «في هذه الجبال تلبس النساء نوع قرن لكنه أقصر وهو يمر فوق الأذن اليمنى ويرتفع بزوايا قائمة بدلاً من الارتفاع في خط مستقيم. وقد صادفت إحدى هاته النسوة فحملتها على خلع قرنها، وذلك بإعطائها بعض البارات. وقد وجدت إن هذا النوع من القرن مشدود بكل بساطة بفضل طرحة، ويكون أحياناً مثقوباً لاستطاعة تثبيتة بسهولة بالغة». وبعد ذلك (ج١، ص٧١) نقرأ أن الرحالة على علم بأن النساء اللواتي يحملن القرن على الجبين هن مارونيات، وإن أولئك اللواتي يحملنه على الإذن هي كذلك في الأغلب الأعم مارونيات ولكنهن في بعض الأحايين درزيات، ونحن نقرأ أخيراً في موضع آخر (ج٢، ص٧٢): «لقد أقنعت المرأة المارونية بخلع قرنها (وكان يرتفع في خط مستقيم) وأن تريني إياه؛ وكان هذا القرن مصنوعاً من الفضة، دون زينة أخرى، اللهم إلا عدة ثقوب صغيرة مستحدثة فيه على مسافات متساوية. راجع كذلك (ريشتر، رحلة إلى الشرق، ص٩٠ و٩١) وسنتناول الآن بالحديث طرطور الرجال. وقد كانت الطاقية الاعتيادية لبدو مصر. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣٦٥) إن سيدة في مقتبل عمرها قالت للأمير (شركان) بعد أن صرعته في مبارزة، وهي تضحك: «كأنك طرطور بدوي تقع في بطشة». والبطشة هي الضربة. وهذا المثل موجود كذلك في كتاب برگهارت (حول الأمثال

العربية، رقم ٣٩٨). ولكن قد أشير إليه بنجمة، وهذا يعني إنه لم يعد شائع الاستعمال في مطلع هذا القرن. ونحن نقرأ فيه: طرطوري يقع في لطشة. وعلى رغم برگهارت بل برغم فليشر (M. Fleischer- de glossis Habichtianis, p. 80) الذي يخيل إليَّ أنه يذهب نفس المذهب، فإنني لا يسعني التسليم بأن (طرطوري) هو شكل آخر من طرطور؛ إذ إنني على النقيض من ذلك أترجم طرطوري بكلمتي mon tartour (طرطوري) أي الطرطور العائد لي. إذن فمعنى المثل الذي أورده برگهارت في مذهبي: «طرطوري يقع من ضربة واحدة»[1] ومغزى ذلك: «إنني رجل لين العريكة مطاوع بحيث أن أهون شيء يحملني على تبديل رأيي». وفي نص آخر من نصوص ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٤١٩) يقسم بدوي بطرطوره فيقول: «وحق طرطوري». وبطبيعة الأمر يفضي بنا هذا إلى البحث عن ماهية الطاقية العالية التي يلبسها بدو مصر في القرن السادس عشر، بل في العصور الأقدم. وعلى ذلك فإن مؤلف حكاية (فون خيستلا في رحلاته، ص٣٠) يقول بالحرف الواحد: «إنهم يحملون على رؤوسهم برانيط حمراء واسعة، مصنوعة من اللباد المفرط في الكثافة (الكثاف) وهي على هيئة شبه بيضوية مسطحة؛ إذن فهذا الإكليل يماثل تاج الأسقف، البرطل، الطابية Mître ولكنه ليس مدبباً من الأعلى»: وحول هذه الطاقية يلفون ثلاث أو أربع لفات قطعة من الشاش والعمامة. ونقرأ لسالينياك في (رحلة إلى أورشليم، ج٨، ف٢):

---

(١) تعني كلمة لطشة في اللهجة المصرية ضربة لا هي بالعنيفة ولا الخفيفة - تعليق برگهارت. راجع ملاحظة فليشر القيمة في كتابه ص٨٠:

De glossis Habichtianis.

فأعتقد وجوب إحلال كلمة لطشة محل كلمة بطشة في نص ألف ليلة وليلة المذكور أعلاه.

Itinerarium Heirosol. VIII, cap. 2 «إنهم يكتسون بجلود الحيوانات وبطاقية عالية، مثل الأتراك». ويجزم ميلشور فون سيدلتز، في كتابه (وصف حقيقي لزيارة الأماكن المقدسة، ص٢٦١): «أن أطفال البدو يعدون بين الماشية وهم لابسون طاقية مدببة سنجابية اللون».

ونجد في قصة هيلفريتش (وصف رحلة مختصرة، ص٣٧٩): «إن البدو يلبسون في رؤوسهم قبعة مدببة زبار (مزببة، محوطة بقطعة من القماش الأبيض». (مسورة بالعمامة؟) وفي قصة الأمير رادزيفيل (ص٣٨، الحج إلى أورشليم) إن الطيارة للبدويين Tiara (تاج البابا، تاج قدماء الفرس) مذكورة أيضاً. ونحن نقرأ. في رحلة منتكازا (ص١١٢، قصة رحلة إلى أورشليم): «إنهم يضعون على رؤوسهم نوع قبعة عالية محرومة من الثنيات، لونها أسود، وترتفع أطرافها من الأعلى مستديرة أكثر قليلاً من أصبع».

ولم أجد الطرطور أو الطاقية العالية للبدو المصريين مذكورين من قبل الرحالين الذين زاروا مصر بعد منتگازا (زار منتگازا الشرق عام ١٦٠٠). ويخيل إليّ أن الطرطور لديهم قد أقيم مقامه الكلوتة المسماة بالطربوش الذي كما سبق إن قلنا آنفاً، في معرض حديثنا عن هذا الإكليل، كان يلبس سابقاً من قبل الفرسان البدو، أيام كان هذا الرحالة الإيطالي موجوداً في مصر.

ونحن نعلم أن البداة المصريين، وهم رجال غلاظ الأكباد قساة القلوب محرومون من الحضارة، كانوا يعانون ما يعانون من فظائع الازدراء والاستعلاء من جانب سكان مصر المتمدنين المزعومين. إذن فلن يبدو على شيء من الغرابة نظر سكان المدن إلى هذا الطرطور الهائل الذي يضعه البدو على رؤوسهم نظرة مضحكة مستخفة، لواقع أنهم كانوا يضعون دائماً على رأس المجرم، أو على رأس العدو

المقهور، طرطوراً ويطوفون به على هذه الشاكلة الوحشية في الشوارع والدروب. والحقيقة إننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٩٩): «وأبو ركوة على جمل. وعلى رأسه طرطور. وطيف به على هذه الصفة. وخلفه قرد يصفعه. ثم صلب وضربت عنقه. وجهزت رأسه إلى البلاد». وفي موضع آخر (مخ٢، ص١٠٨): «فحلقوا ذقنه. وألبسوه طرطوراً. وسمروه. وطافوا به المدينة السلطانية»[1].

---

(١) أبو ركوة أمير من البيت الأموي في الأندلس. وقد حاول أن يخلع خليفة مصر الحاكم بأمر الله عن العرش ولكن خانه أتباعه وسلموه. راجع حول هذا الموضوع فيما تراجعه هامر برگستال في كتابه (قاعة الرسم لأعظم سلاطين الإسلام ج٣، ص٢٤٥، ٢٤٦).

وإن فعل سمر، في الصيغة الثانية، يعني تثبيت مجرم بالمسامير على صليب وصلبه. ولما كان هذا الفعل كثير الذيوع لدى المؤرخين ومفسراً أسوأ تفسير في القاموس، فمن المحتم عليَّ أن أدخل بصدد هذا الموضوع في بعض التفصيلات. فإن كلمة مسمار تعني القطعة المعروفة المصنوعة من أحد المعادن. فكلمة مسمار تشير إلى هذا الجسم المعدني. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطولة (مخ دي گايانگوس، ص١٩٤): ثم صرفه وأعطاه أموالاً طائلة وفي جملة ما أعطاه جملة من صفائح الخيل ومساميرها. كل ذلك من الذهب الخالص. وقال له: إذا نزلت من البحر فانعل فرسك بها. وفي تاريخ مصر للنويري (مخ، ص١٥٤): «عشرة مسامير من الذهب». وفي كتاب ابن بطوطة: «مسمار فضة». وفي موضع آخر: «مسامير الفضة». ومن هذه الكلمة نجم فعل سمّر. فنحن نقرأ في تاريخ الأندلس للنويري (مخ٢، ص٤٧٩): «اخرج فسمر على خشبة». وبعد ذلك (ص٤٨٢) يقول المؤرخ عن الشخص نفسه: «انزل شنشول عن خشبته». ونجد في تاريخ مصر للمؤلف نفسه (مخ١٩، ص١٣٨): بات في ليلة الاثنين على خشبة التسمير». (وسأتحدث تالياً عن كلمة خشبة وجمعها خشب وعن مختلف مدلولاتها. راجع في كلمة طاقية (٣). ولكن ليس من الضروري إضافة كلمتي على خشبة أو على خشب للتعبير عن تسمير أحد على صليب. فإن فعل سمر يكفي للأعراب عن الفكرة، فكرة هذا النوع من =

وسأُنشر بهذه المناسبة نصاً لابن إياس ممتعاً للغاية من عدة وجوه. فنحن نقرأ في تاريخ مصر (مخ٦٣٧، ص١٦ وما جاء بعدها، حوادث عام ٧٨٧) لهذا المؤرخ: «ومن الحوادث إن السلطان رسم بإبطال ما كان يعمل يوم النوروز. وهو أول يوم من السنة القبطية. ومما كان يعمل بالديار المصرية ذلك اليوم أنه كان يجتمع في ذلك اليوم السواد الأعظم من العوام وغيرهم من الأسافل. ويركبون منهم شخصاً خليعاً على حمار وهو عريان وعلى رأسه طرطور خوص فيسمونه أمير النوروز. ويكون ذلك قوي الطباع فيتوجه إلى بيوت الأكابر وأعيان الناس ويقف على الأبواب ومعه السواد الأعظم من الأسافل فيكتب على صاحب تلك الدار الوصولات بالجمل الثقال وكل من امتنع من العطا بهدلوه وسبوه ولو أنه أكبر من في القاهرة. ولا يزالوا مرسمين على بابه حتى يأخذوا منه ما قرروه عليه ويأخذوا منه ذلك القدر غصباً وكان منهم طائفة يقفون في الطرقات ويتراشقون بالماء المنجس أو بالخمر ويتراجمون في وجوههم بالبيض ويتصافعون بالأخفاف على رقابهم ويتراجمون بعمائمهم حتى قيل في المعنى.

(الطويل): بـداري رجـال لـلـجـنـون تـرجـلـت

عـمـائـمـهـم عـن هـامـهـم والـطـيـالـس

فللراح ما زرّت عليه جيوبها (حبوبها)

ولـلـمـار مـا دارت عـلـيـه الـقـلانـس

= التعذيب المسمى تسميراً. فنحن نجد في تاريخ مصر للنويري (مخ، ص١٧٠): «فطولع السلطان في أمرهم وأمر بتسمير الخمسة فسمروا تحت القلعة. وشفع بعض الأمراء في إطلاق المرأة. وأطلقت وفكت المسامير فماتت بعد أيام». وفي موضع آخر (ص١٨٦): «أمر بتسمير جماعة كانوا معتقلين بخزانة البنود». وفي مجلد آخر من نفس الكتاب (مخ٢، ص١٠٨): «سمروه وطافوا به المدينة».

مساحب من حر الزقاق على القفا
وصفع بانطاع حبي ريالس (كذا)

وكانوا يقطعون الطريق على الناس ويمنعونهم من الخروج في ذلك اليوم إلى الأسواق. وتغلق في ذلك اليوم الدكاكين وتتعطل الناس عن البيع والشراء. وكل من ظفروا به في الطريق بهدلوه ولو كان من أعيان الناس أو من الأمراء فيرشونه بالماء المتنجس ويرجمونه بالبيض حتى يفدى نفسه منهم بشيء حتى يخلص من أيديهم فيحصل للناس في ذلك غاية الضرر ويتعطل عن أسبابهم. وكانوا يتجاهرون ذلك اليوم بشرب الخمر وكثرة الفسوق في أماكن المفترجات حتى يخرجوا في اليوم عن الحد. وربما كان يقتل في ذلك اليوم جماعة مما يعربدوا على بعضهم في السكر والعياقة. وكان هذا الأمر ماشي بمصر على القاعدة القديمة من الدولة الماضية ولا تنكر ذلك من ذلك (في الدول الماضية ولا ينكر ذلك) (وكان في ذلك اليوم يحمل إلى أكابر مصر من الأقباط والمباشرين أصناف الفواكه وغيره من جميع الأصناف. وكان يوم النوروز من أجّل المواسم بمصر. فلما تسلطن الظاهر برقوق أمر بإبطال ما كان يعمل في ذلك اليوم وأرسل الحجاب مع والي القاهرة ومعهم المماليك السلطانية. فطافوا بأماكن المفترجات وقبضوا على من وجدوه من العياق من يفعل ذلك وضربوه بالمقارع. وربما قطعوا أيدي جماعة منهم وأشهروهم. وأشهروا النداء بالتهديد على من يفعل ذلك بالشنق والتوسيط. فرجعوا الناس عن ذلك من يومئذ وانكفوا عما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم. وما رأوا يفعلون جماعة (في، ١) من ذلك اليوم في أماكن المفترجات ونحو ذلك» وهذه الواقعة ذكرها المقريزي من حوادث سنة سبع وثمانين وسبعمائة[١].

(١) راجع حول كلمة خليع فليشر في كتابه السالف ص٩٥.

=

وليس هناك أدنى ريب في أن ابن إياس يلمع هنا إلى كتاب السلوك للمقريزي، وهو السفر الذي خلت منه مكتبة ليدن وأسفاه!

= راجع كذلك لين، ألف ليلة وليلة، ج٢، ص٣٧٧.
إن فعل بهدل يعني أهان. راجع ألف ليلة وليلة ٧٢ هابيخت، ج٦، ص١٤٣، وقاموس الكلمات المضاف إلى المجلد السابع من هذا الكتاب. ونحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (ص٣٨٦): ثم قال (السلطان) إيش أعظم ما تبهدوا به الناس عندكم. قال نرميهم بثيابهم في الماء. وأرى ضرورة إحلال كلمة تبهدلوا محل كلمة تبهدوا. وتوجد كلمة بهدلة في نص آخر من كتاب المؤلف المذكور. فنحن نقرأ فيه (ص٤٥٢): وقد حصل للقاصد من العام غاية البهدلة من السب والرجم وغير ذلك.
يجب إضافة التصريف السادس من فعل رش إلى القاموس. وكذلك التصريف السادس من فعل صفع.
لقد حذفت البيت الثالث إذ اعترف صراحة إني لا أفهم شيئاً منه مطلقاً، والمخطوطة كثيرة الأخطاء في هذا الموضع.
لا وجود كلمة مقترحات في القاموس. وفي نص آخر من مخطوطة ابن إياس (ص٢٩٦) توجد هذه الكلمة مكتوبة مشكلة على هذه الصورة مُفْتَرَجات. ونقرأ فيه: وكان يحب التنزه والمُفْتَرَجات (العاهرات). ونجد في موضع آخر (ص٧٤): «إن أحداً لا يخرج إلى المفترجات قاطبة» (منع ذلك السلطان). بعد ذلك (ص٢٩٧): «وقد تقدم ما كان يقع له في المُفْتَرَجات». وأخيراً (ص٤١٥): «وهو كلام ملحن مطول. وصاروا يغنون به في أماكن المفترجات». ويجب على أن أحملكم على ملاحظة إنني لم أجد هذه الكلمة لدى أي مؤلف آخر، وإن المؤلفين الأوروبيين الذين يذكرون في معظم الأحيان الاسم الذي كانت تحمله المومسات في زمانهم في الشرق، لا يسمونهن أبداً مُفْتَرَجات.
لا وجود لفعل شهر بهذا المعنى في القاموس، إلا في التصريف الثاني. ولكن التصريف الرابع يعبر أحياناً عن نفس الفكرة. فنحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (مخ، ص٦٦): سمرهم وأشهرهم في القاهرة. وبعد ذلك (ص١٨٠): «أشهرهم في القاهرة علي جمال». وفي موضع آخر (ص٤١٦): «ضربه المقارع -

ولعل أناساً سيتاولونني باللوم على نشري وترجمتي للنص بتمامه: ولكن يخيل إليَّ أن من الغرابة كل الغرابة العثور في الشرق على عيد يشابه مهما كانت المشابهة ضئيلة، عيد مجانين العصر الوسيط والكرنفال، بحيث أستطيع أن أقرر نشر بضع فقرات فقط من هذا النص... لذلك كان لا مناص لي من نشر النص بأكمله. وسأحملكم مرة أخرى على ملاحظة أن احتفالاً مثل هذا يقام في بعض أقطار الشرق، في مطلع شهر رمضان. راجع وصف أحد هذه الاحتفالات في كتاب تيڤنو (ص٢٨٧، ٢٧٩، حكاية رحلة إلى الشرق).

وأعتقد أن المعني هو الطرطور في النص التالسي لتيڤنو في كتابه (تابع رحلة إلى حلب، ص٦٩)، الذي وصف الزينة في حلب[١] بالعبارات التالية: «إن أجمل ما في هذه الزينات هو رؤية مسيرة أصحاب الحرف. فقد بدأت هذه المسيرة بمرور الأساكفة اللذين كانوا يمشون بنظام. وقد انطلقت المسيرة بادىء ذي بدء يتقدمها رهط من الصبيان الذين كانت رؤوسهم مغطاة بطراطير ورقية مدببة على هيئة قوالب السكر[٢] Pains de sucie. وما يزال الدراويش يلبسون الطراطير. إذ يقول لين بصراحة في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٦٩،

= وأشهره في القاهرة». وفي مجموعة القطع المختارة الخاصة بالدروز (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٩٠ من النص): «إشهارك بالقاهرة المقدسة وشوارع مصر وأزقتها».

راجع حول العذاب الفظيع المسمى بالتوسيط سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج١، ص٤٦٨) وكذلك كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك ج١، ق١، ص٧٢). وعلاوة على ذلك بمقدوركم مراجعة اتيين دي گتبنير وغيره.

(١) راجع حول كلمة «زينة» كاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٢٩).

(٢) قالب السكر هو ما نسميه نحن (كُلة الشكر!). (المترجم).

ج٢، ص١٩٠): «إن بعض الدراويش يلبسون الطراطير أو الطاقيات العالية المعززة قممها بقنازع من قطع الجوخ المختلفة الألوان، والتي عادة لها شكل قوالب السكر». وإنني اقرأ في (رحلة ستوكوف إلى المشرق، ص٤٣٣) وهو يتحدث عن درويش من دراويش القاهرة:

«كان واضعاً على رأسه طاقية معمولة على هيئة قالب سكر مغطاة كلها بآلاف الريشات الصغيرة من مختلف الألوان». وفي حكاية (كوپان Coppin درع أوروبا، ص٢٣١): «يلبس الدراويش طاقية مشغولة على هيئة قالب سكر». وفي (يوميات أسفار دي مونكوني، ج١، ص١٦٧): «إنهم يضعون على رؤوسهم طاقية ضخمة من اللباد المعمول على هيئة قالب السكر. وكانت إحداها تشابه كل المشابهة تاج الأسقف أو البرطل أو الطابية» وتحف بها نقوش على صورة أزهار خضراء زاهية أخاذة، وقد وجدت إحدى الطاقيات الملفوفة عليها لفافة بيضاء كتلك التي تكور بها العمامة». انظر للمقارنة الصورة المرقمة ١٩، الملصقة في الصفحة ٣٤٦ من الجزء الأول، وتمعن كذلك في الشكل الموجود في كتاب بوكوك، رحلة إلى الشرق، ج١، اللوحة ٥٨.

ولعل من المحتمل الراجح أن دراويش سوريا يلبسون كذلك الطاقيات العالية المسماة بالطراطير؛ وهذا مؤيد بشهادة روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص٢٤٥) الذي يقول: «إنهم يعتاضون عن العمامة بالطاقية البيضاء المشغولة من اللباد الذي يصل سمكه أحياناً إلى عقدة وارتفاعه إلى قدم». ويقول دارڤيو كذلك في كتابه (مذكرات، ج٦، ص٤٦٥) وهو يتحدث عن دراويش حلب: «إن ما يميزهم عن سواهم هو طاقية من الصوف الأبيض، مفرطة في الطول ومدببة كل المدببة».

والطرطور يلبسه كذلك الفرسان الأتراك الذين يطلق عليهم كلمة دلى

Delis (راجع برگهارت، الأمثال العربية، الرقم ١٤٩، حول مثل: جندي ما قُبِلَ شبع طرطوره).

أما عن طرطور أتراك مدينة الجزائر فبوسعكم مراجعة الوصف الدقيق الذي دبجته براعة دييگو دي هيدو في كتابه (خطط مدينة الجزائر: ص٢٠، مجـ٣ و٤).

وهذا المؤلف يكتب الكلمة على هذا الشكل: تورتورا: Tortora.

الطَلَس

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص٧٧٢) إلى أن الطلس هو (الطيلسان الأسود)[1].

الطَيلِسان - الطَيْلُسان

إن التفاصيل التي أوردتها حول كلمة طرحة تجيز لي الإيجاز في معرض التحدث عن الطيلسان.

يقول لين (ألف ليلة وليلة، ج٢، ص٥١٢) عن الطيلسان ما يلي: «لم تتح لي الفرصة أبداً لفحص الطيلسان وعلى ذلك فليس بمقدوري أن أصفه وصفاً دقيقاً. ولكنني أعتقد أنه نوع بسيط من الخمار الذي يطرح على الرأس والكتفين. أو يلقى أحياناً على الكتفين فقط. وهو خاص بالفقراء أو بأساتذة الفقه والشريعة»[2].

---

(١) لعل المؤلف أراد أن يكتب (الطيلسان) فخط (الطيسان). (المترجم).

(٢) ويضيف لين قائلاً: «إنني ميال للظن بأن الطيلسان شبيه بأوشحتنا وقلانسنا الأكاديمية. ليس من ناحية المظهر فحسب، وإنما من جهة الأصل».

وهذه التفاصيل صحيحة دقيقة، وبوسعكم الاقتناع بالرجوع إلى مقالتي عن الطرحة.

وقديماً كان الطيلسان لا يلبس إلا من قبل علماء الشريعة، ومن هنا جاء التعبير الوارد في كتاب ابن حبيب (مخ٤٢٥، ص٢٨٣): «أهل السيف والطيلسان» ولكننا رأينا آنفاً أن الطرحة قد ارتداها أيضاً كبراء مصر، ابتداء من عام ٦٧٦ فانقطعت عن كونها لا تلبس إلا من قبل القضاة وأولئك الذين لم يكونوا يمارسون إلا سلطة روحية وقضائية. وكذلك شأن الطيلسان. فنحن نقرأ مثلاً في تاريخ مصر لابن إياس (مخ٣٦٧، ص٤١، ٤٢): «فلما وقعت عينه على الملك الظاهر برقوق جرى وقبل يده وقال للظاهر برقوق: «أنت أستاذنا كلنا ونحن مماليكك قاطبة». «ثم إن برقوق قام ولبس عمامته ولف عليها طيلساناً كبيراً».

ونقرأ في نص للسيوطي (حسن المحاضرة، مخ١١٣، ص٣٠٨): «إن المقور كان يعطي كلباس تشريف (خلعة) لأمير الجيوش».

وفي رحلة محمود بن جبير (مخ٣٢٠، ص٤٦) نجد أن الخطيب في مكة كان يرتدي الطيلسان من الكتان الرقيق (وعليه طيلسان شرب رقيق). ويذهب ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص٦٤) إلى أن الطيلسان كان أسود اللون (عليه طيلسان أسود).

وفي الأندلس كان الطيلسان معروفاً على وجه الإجمال. وشائع الاستعمال بصورة عامة بين الكبراء ولدى عامة الشعب، ولكنه كان يرتدى فوق الكتفين، ولم يكن يضعه على الرأس إلا شيوخ المشايخ المقرى - أو بالأحرى ابن سعيد، لدى فريتاگ - طرائف عربية نحوية وتاريخية، ص١٤٨). ولا ريب أن هذا الخمار هو الطيلسان الذي نرى الشيخ العجوز يرتديه وسط اللوحة ٦٥ من كتابه Cavanah Murphy الرائع (الآثار العربية في أسبانيا) «The Arabian Antiquities of Spain»

ونقع في كتاب ريحان الألباب (مخ دي گايانگوس) على النص التالي الذي يبعث على التأمل والملاحظة: ثم مات هشام، ويقال بل قتله المعتضد، ومشى في جنازته دون طيلسان راجلاً مشى الحجاب».

ويتحدث حاجي خليفة (ط فلوگل، ج١، ص١٦٢) عن كتاب معنون: «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان». وهناك نسختان من هذا الكراس في مكتبة الأسكوريال.

الطّاق

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص١٣٠٧) إلى أن الطاق هو الطيلسان أو بالأحرى الطيلسان الأخضر (ضرب من الثياب والطيلسان أو الأخضر).

الطاقية وجمعها الطَواقي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وتعني في اللغة العربية كلوتة صغيرة تلبس تحت العمامة. ولعلها من أصل فارسي، ولكنني يجب أن أحملكم على ملاحظة أن الكلمة لا تشير في فارس إلى كلوتة صغيرة، ولكنها تومىء على ما يبدو إلى نوع عصابة توضع على الرأس.

يقول ميرخوند Mirkhond (ص٦٦، تاريخ السلاجقة) في معرض حديثه عن السلطان السلجوقي ألب أرسلان «وطاقية نيز برسر مي نهاد گو يندكه از سر طاقية تانهايت لحيه، أو دو گز در نظر بيننده آمدي». أما خوندمير Khondemir (حبيب السير، ج٢، مخ فارسية ٢٩٦، ص٢٠٤) فيقرر نفس الواقعة بهذه الكلمات: «وطاقية طولاً في (اقرأ: نيز) بر سر ميكداشت - چنانچه بيننده أز بدايت طاقية تانهايت لحيه دو

گزمي بينداشت»[١]. وهذا النص الأخير يجب أن يترجم على هذه الصورة: «كان يلبس في رأسه طاقية طويلة، بحيث أن من يرى هذا الإنسان يلمح ذراعين من الطاقية، انطلاقاً من موضع عقد هذه حتى اللحية». والجدير بالملاحظة أن ميرخوند وخوندمير يعدان الطاقية من بين الصفات الحسنة، بل من بين الصفات الأخلاقية العالية للسلطان. ومع ذلك فإنني أعتقد أن ابن بطوطة (الرحلة مخـ دي گايانگوس، ص٨٢) حين يقول - في مقاله عن أصفهان: «وطلبت منه أن يلبسني طاقية من رأسه» كان الموضوع في هذا النص موضوع عرقية أو كلوتة، ذلك لأن هذا على الدوام هو معنى هذه الكلمة لدى الكتاب العرب. فنحن نقرأ في وصف مصر للمقريزي (ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٨) النص التالي، العظيم الأهمية: «سوق البخانقيين» هذا السوق فيما بين سوق الجملون الكبير وبين قيسارية الشرب الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكر القياسر. وباب هذا السوق شارع من القصبة ويعرف بسوق الخشبية تصغير خشبة فإنه عمل في بابه المذكور خشبة تمنع الراكب من التوصل إليه. ويسلك في هذا السوق إلى قيسارية الشرب وغيرها. وهي معمورة الجانبين بالحوانيت المعدة لبيع الكوافي والطوافي التي يلبسها الصبيان والبنات. وبظاهر هذا السوق أيضاً في القبصة عدة حوانيت لبيع الطواقي وعملها. وقد كثر لبس رجال الدولة من الأمراء والمماليك والأجناد ومن يتشبه بهم للطواقي في الدولة الجركسية وصاروا يلبسون الطاقية على رؤوسهم بغير عمامة ويمرون كذلك في الشوارع والأسواق والجوامع والمواكب لا يرون بذلك بأساً بعدما كان نزع العمامة عن الرأس عاراً وفضيحة. ونوعوا هذه الطواقي ما بين أخضر وأحمر وأزرق وغيره من

---

(١) يجب إضافة فعل بينداشتن إلى المعاجم الفارسية.

الألوان. وكانت أولاً ترتفع نحو سدس ذراع ويعمل أعلاها (مدور مسطح). فحدث في أيام الملك الناصر فرج منها شيء عرف بالطواقي الجركسية يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو الثلثي ذراع وأعلاها مدور مقبب بالفواقي بتبطين الطاقية بالورق والكثيرة فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس. وجعلوا من أسفل العصابة المذكورة زيقاً من فرو القرض الأسود يقال له القندس في عرض نحو ⅛ ذراع يصير دائراً بجبهة الرجل وأعلا عنقه. وهم على استعمال هذا الزي إلى اليوم. وهو من اسمج ما عانوه. وتشبه بالرجال في لبس ذلك النساء لمعنيين أحدهما إنه فشا في أهل الدولة محبة الذكران فقصد نسائهم التشبه بالذكران لتستملن قلوب رجالهن. فاقتدى بفعلهن في ذلك عامة نساء البلد. ثانيهما ما حدث بالناس من الفقر والفاقة. فاضطر حال نساء أهل مصر إلى ترك ما أدركنا فيه النساء من لبس الذهب والجواهر بل ولبس الحرير حتى لبسن هذه الطواقي وبالغن في عملها من الذهب والحرير وغيره وتواصين على لبسها. ومن تأمل أحوال الوجود عرف كيف تنشأ أمور الناس في عاداتهم وأخلاقهم ومذاهبهم».

ولعل مؤلف رحلة ڤان خيستلا (ص٤٨) يتحدث عن الطاقية، وكان زار مصر عام ١٤٨١، أي بعد وفاة المقريزي بأربعين سنة - فعبر عن خواطره في معرض الكلام عن المماليك بالكلمات التالية: «ثمة ناس يضعون على رؤوسهم البيريهات، أي الطواقي المستديرة العالية. وهذه الطواقي ضيقة من الأسفل وعريضة من الأعلى، والجزء الواطىء منها مصنوع من المخمل ومن نسيج آخر، أما الجزء الأعلى فمشغول من الصوف الأخضر الرديء». فإذا لم أكن متوهماً، فإن پيير مارتير السفير الفرنسي لدى قنصوة الغوري عام ١٥٠١ يتحدث في كتابه (سفارة بابلية، ص٤٠١) عن الطاقية أيضاً. وإليكم كلماته: «إن المماليك الذين هم في

خدمة السلطان يلبسون طواقي من الصوف، وهي ثقيلة الوزن وقاسية الملمس، وتتألف من لونين مختلطين، اللون الأول الأخضر في الأسفل، واللون الثاني الأسود في الأعلى». وبالرغم من انطباق هذه الأوصاف بعض الانطباق على أوصاف المقريزي، فإنني أرى من المحتم عليَّ أن اعترف بأن التفاصيل ليست هي نفسها بالضبط (ولكن ما لنا لا نفترض أن طاقية المماليك كانت عرضة لتحويرات اقتضتها الطرز المستحدثة؟ ألم يخبرنا المقريزي نفسه أن طاقية المماليك قبل حكم الملك الناصر فرج كانت تختلف اختلافاً جوهرياً عن الطاقية التي يلبسها هؤلاء المماليك في عهده).

وفي أيامنا هذه تشير كلمة طاقية في مصر إلى نفس ما تشير إليه العرقية، أي إلى كلوتة صغيرة من القطن تلي الرأس، كما يقول لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١). ويرتديها أفراد الجنسين تحت الطربوش (المرجع السالف، ص٥٨) الذي حوله تلف قطعة من القماش، وعلى هذه الصورة تتشكل العمامة. ويكتب ج فيسكيه (رحلة إلى الشرق، ص١٨٢) الكلمة هكذا Takie وهي في نظر الرحالة «عرقية صغيرة من القطن المنفوش الذي يكون عادة مزركشاً ومطرزاً بنقوش غاية في الإبداع والنفاسة». بل يذهب برگهارت في كتابه عن الأمثال المصرية المحدثة (الأمثال العربية، رقم ١٠١) إلى القول بأن هذه الكلمة تشير إلى «عرقية أو كلوتة بيضاء مصنوعة من القطن الناعم المطرز الحواشي عادة، وهي تلي الرأس مباشرة وتلبس تحت الطربوش الأحمر». ويتحدث پوكوك كذلك في كتابه (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٨) عن «الكلوتة الصغيرة البيضاء المعمولة من الكتان التي تستعمل لتغطية الدماغ أو تلبس تحت الطربوش». وبهذا المعنى كانت هذه الكلمة شائعة الاستعمال في زمان كتابة ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب

(ط مكناگتن، ج١، ص١٧٢): (فنظروا شاباً مليحاً بقميص وطاقية كشف من غير لباس». (أي لم يكن رأسه مغطى بالطاقية الحمراء، ولا بقطعة القماش المسماة عمامة) ولم يكن يلبس سروالاً».

وترسم طبعة هابيخت (ج١، ص٦٣) هنا كلمة قبع، وهي لفظة تشير بإحكام ودقة إلى نفس الشيء، كما سنرى مصداق ذلك حين نتحدث عن هذه الكلمة.

وفي الفترة التي زار خلالها دانديني سورية، أي عام ١٥٩٩، كانت كلمة طاقية تشير في هذا القطر إلى المادة التي يسمونها اليوم فيه بالطربوش. فنحن نقرأ في (الرحلة من جبل لبنان، ص٤٤) إن «سكان طرابلس يضعون على رؤوسهم عرقية يسمونها طاقية، وهي معمولة من الجوخ أو من الحرير المشوب بالقطن». وبعد ذلك مباشرة يتحدث الرحالة عن الشاش. ويوغل حتى يبلغ (ص٤٨) فيقول عن النساء: «إنهن يضعن على رؤوسهن طاقية من الجوخ أو من الحرير الذي يكون عادة أحمر أو أزرق، وهن يملأن طاقياتهن بتطاريز ذهبية وفضية. ومنهن من يلبسن الطواقي المصنوعة من الذهب والفضة خالصين». وما تزال كلمة طاقية حتى يومنا هذا تشير لدى البدو إلى نفس العمارة التي تشير إليها كلمة طربوش، ذلك لأننا نقرأ في كتاب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٧) إن بعض الشيوخ الأثرياء من بين البدو «يلبسون أحياناً عرقيات حمراء أو طاقيات تسمى في سورية طرابيش». وما يماثل في سورية الطاقية المصرية هو العرقية، وتدعى لدى البدو معرقة.

وقد رأينا آنفاً - من نص المقريزي الذي نشرته، إن جميع هذه الكلمة هو طواقي (طواق). وهذا الجمع موجود كذلك في نص آخر للمقريزي (راجع كلمة حياصة) - وفي نص من تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٥٢) حيث تقع على كلمتي «طواقي الأولياء» «Les tâkîyahs des Saints» :

وتشبه كلمة طاقية كل الشبه الكلمة الفرنسية توك Toque والكلمة الأسبانية توكا Toca. ولكن يتحتم عليَّ أن أحملكم مع ذلك على ملاحظة أن القدامى من الأسبان والفرنسيين يسمون توكا وتوك العمامة بقضها وقضيضها، وإنهم لا يطلقون هذا الاسم على الكلوتة. فنحن نقرأ ذلك مثلاً في كتاب أسباني، مكتوب بالحروف العربية (منشور من قبل دي ساسي في صحيفة العلماء عام ٥ - ١٦ جرمينال، رقم ٧): «من تراهم لابسي الطواقي البيضاء هم أتراك، أما مرتدو الطواقي الصفراء فهم يهود يتاجرون مع وجهاء الأتراك».

ويقول برتراندون دي لابروكيير في كتابه (رحلة عبر البحار، ص٥٠٤) وقد زار الشرق في ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - إنه اشترى من دمشق توكا كاملاً (Une toque accomplie) وهذه الطاقية فسرها دوسي الكبير تفسيراً في غاية الصحة بأنها «العامة المثلى».

● **تعليقات على نص المقريزي:**

* شارع القصبة - ما يزال هذا الشارع حتى اليوم هو الشارع الرئيس في القاهرة. ويمتد من باب زويلة حتى باب النصر.

* تشير كلمة خشب بصورة عامة إلى المادة المعروفة. فنحن نقرأ في كتاب القرطاس (مخ١٧، ص٨١): «وإذا بطاق في الدار عليه شباك خشب. ولكن كلمة خشبة وجمعها خشب أو خشبات أو أخشاب تستعمل في معاني عديدة». **فهي تشير:**

١ ● إلى جذع شجرة. فنحن نقرأ في شرح الشاذلي على رسالة الفقه المالكي لابن زيد (مخ١١٩٣، ص٥٢٦) خشبة ينشرها فيجدها معفونة. وفي رحلة ابن بطوطة (مخ، ص٢٦٨): «أتوا إلينا في قوارب صغار كل قارب من خشبة واحدة منحوتة».

٢ • إلى وتد. إذ يقول ابن بطوطة (الرحلة، ص٩١) في معرض الحديث عن جسر الزوارق في مدينة الحلة: «ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشطين تحف بها سلاسل حديد مربوطة في كلا الشطين إلى خشبة عظيمة مثبتة بالساحل». وفي موضع آخر (ص١٣٢): «وأخبرنا الناس أن المعدية أسفل من ذلك الموضع. فتوجهنا إليها وهي أربع خشبات مربوطة بالحبال يجعلون عليها سروج الدواب والمتاع ويجذبها الرجل من العدوة الأخرى ويركب عليها الناس وتجار الدواب سباحة وكذلك فعلنا». راجع حول كلمة معدية (كاترمير - تاريخ السلاطين المماليك، ج٢، ق١، ص١٥٦). وبعد ذلك (ص٢٧٤): «لها مرسى عجيب عليه خشب كبار دائرة عليه». راجع أيضاً ابن بطوطة، ص٢٧٠ حول كلمة الأخشاب.

٣ • إلى عارضة. إذ يترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) خشبة (وجمعها أخشاب) بكلمات ڤيكابارا ايديفيسيو Viga-para edificio. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٤٧٧): «انتهب الزاهرة حتى قلعت الأبواب والأخشاب».

٤ • إلى شجرة العصر. راجع الكالا حول الكلمات: فيكا دي لاكار: «Viga de lagar».

٥ • إلى خشبة الصلب، إلى الصليب. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للمقري (مخ دي غوتا، ص٥٢٨): «وبلغ من سرقته إنه سرق وهو مصلوب لأن ابن عباد أمر بصلبه على ممر أهل البادية لينظروا إليه. فبينما هو على خشبته على تلك الحال إذ جاءت إليه زوجته».

وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٢٠٢): «نصب

للنصراني خشبة وأوقفه تحتها. وجاء المشاعلي رمى في رقبة النصراني الحبل وأراد أن يعلقه».

٦ • إلى لوحة. فنحن نقرأ في الحماسة (ط فريتاگ، ص٣٦٥): (والمخرش اسم لما يخرش به خشبة كان أو غيرها) ونقرأ لدى ابن هيجان (راجع الذخيرة لابن بسام، مخ غوتا، ص٤): «خشبة من القنطرة». ويقول ابن جبير (الرحلة، مخ٣٢٠، ص١٩٤) في معرض الحديث عن ميناء مسينا في صقلبة: «ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية لأن المراكب الكبار تدنو فيه من البر حتى تكاد تمسكه وتنصب منها إلى البر خشبة يتصرف عليها والحمال يصعد بحمله وذلك لإفراط عمق البحر فيها».

ويقول ابن بطوطة (مخ، ص٢٣٨) واصفاً حادثة غرق سفينة، عن امرأة: «كانت قد التزمت خشبة في مؤخر الكنك». ومن هنا فإن كلمة خشب في صيغة الجمع تعني ألواحاً تؤخذ بمعنى:

٧ • الروافع - كما نرى في هذا النص لابن بطوطة (مخ، ص١٠): «ولها قنطرة خشب ترسو المراكب عندها. فإذا كان العصر رفعت تلك الخشب وجازت المراكب صاعدة ومنحدرة». (والحديث عن مدينة أشمون الرومان).

٨ • تشير كلمة خشبة إلى باب. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (ص٢٦٢): «ومجلسها مفروش بالحرير وعليه ستور وخشبة من الصندل وعليه صفائح الذهب». ونقرأ لدى ابن هيجان (السالف، ص٤) وهو يتحدث عن قصور فخمة شيدت في ڤالنسيا: «واتسع الحدس في عظيم ذلك الانفاق». فمنهم «من قدرت نفقته على منزلة مائة ألف دينار وأقل منها وفوقها حسب تناهيهم في سروها من نضار الخشب».

٩ ● وأخيراً فإن كلمة خشبة تشير كذلك إلى غرفة خشبية صغيرة. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص٢٤٤): «ولا سجن عندهم بتلك الجزائر. إنما يحتبس أرباب الجرائم في بيوت خشب هي معدة لأمتعة التجار. ويجعل أحدهم في خشبة كما يفعل عندنا بأسارى الروم».

* يشير الزيق بصورة عامة إلى كل حافة وحاشية في الثياب، وليس إلى ما يذهب إليه القاموس في هذا الشأن فقط.

* لا يذكر القاموس إلا كلمتي ابن مقرض. ولكن الكلمة مكتوبة في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٢٢) على هذا المنوال: (قرظ). إذ نقرأ فيه: «وكان - يبعث إليه بعض أصحابه في الشتاء بفروة قرظ يلبسها».

* راجع حول كلمة قندس بمعنى حاشية تعليق كاترمير في كتابه (تعليقات ومقتبسات، ج١٣، ص٢١٧) إذ لم يغفل العالم الجليل أن يورد نص المقريزي هذا.

* يقص علينا المؤرخون العرب والفرس، إن الأمين بن هارون الرشيد، حين انغمس في أعمال الفسوق والفجور التي يتهم بها المقريزي معاصريه من المصريين (وهو اتهام أيده تأييداً تاماً الرحالون الأوروبيون المعاصرون) ألبست أم هذا الأمير المسماة زبيدة أجمل الجواري لباس الغلمان لتحول بين ابنها وبين سلوكه الشائن الشاذ. ومنذ ذلك الحين اطلق اسم الغلامية في مقاصير حريم الخلفاء على أمثال هؤلاء الجواري.

العَبْرُوق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نقرأ في كتاب هوست (أخبار من مراكش وفاس، ص١١٩): «لا يجوز للنساء المتزوجات إظهار شعورهن، لذلك فهن يحطنها بخمار من الحرير، اسمه عبروق Abruk تنساب أطرافه على الظهر، ويسوى من الأمام كما سوى الشد (العمامة)». ويكتب گرابر دي همسو هذه الكلمة (مرآة جغرافية وإحصائية لامبراطورية مراكش، ص٨١) على هذه الصورة (عبروق) وإليكم ما يقوله: «إن نساء مراكش يحطن رؤوسهن بعصابة أو عصابتين من الذهب والفضة المخططين وتسمى هذه الزينة بالعبروق، وتعقد في العبروق عقدة بارتفاع الرقبة، أما أطراف هذه العصائب المتداخلة في ضفائر الشعر فتتدلى حتى الحزام».

العَباءة، العَباة، العَبَاية

تشير هذه الكلمة إلى نوع ملحفة قصيرة ومفتوحة من الجهة الأمامية، وهي لا أكمام لها ولكن تستحدث فيها تقويرات لإمرار الذراعين. والعباءة هي الثوب الخاص بالبدو وفي جميع الأوقات على وجه التقريب. ولنشرع بسورية. يقول دانديني في معرض حديثه عن سكان طرابلس سورية (رحلة إلى جبل لبنان، ص٤٥، ٤٦): «إنهم يلبسون فوق الجبة سترة فوقانية تدعى سپان spain أو العبا[1] Dandini, voyage du Mont Liban ويسمى (سپان) حين يكون الجوخ من الصوف الرقيق، وحين يكون متقن الصنع ونظيفاً كتلك الأردية المستعملة في

(١) يجب عليَّ أن أعترف بأنني أجهل كيفية كتابة هذه الكلمة سواء بالعربية أو بالتركية.

إيطاليا. لأنهم في ذلك القطر لا يملكون البراعة التي نملكها. والعباءة منسوجة نسيجاً أغلظ وهي من الصوف المبروم المخطط الموزع على سطور بيضاء وسوداء». ونحن نقرأ لدى روجيه (الأرض المقدسة، ص٢٠٥) Roger, la Terre Saincte إن «الجنود البسطاء أو الفلاحين، من بين البدو يلبسون عباءة هي رداء مفتوح جهته الأمامية مرقطة بالأبيض والأسود وبالألوان الأخرى». وبعد ذلك (ص٤٢٦): «إن رجال الدين (المارونيين) لا يرتدون القمصان مطلقاً ولا ما يماثلها مما نسميه (القانسون) أو سراويلات الرهبان (Cannesons)، ولكنهم يلبسون رداءين يسمونهما (عبلا) abla ولهما لون داخن وهما منسوجان من شعر المعزى، مع قبع أسود من الصوف الرديء». وينبغي ولا ريب إحلال كلمة عبا abba محل كلمة عبلا abla في هذا النص. ويشرح دارڤيو الموضوع في كتابه رحلة من فلسطين إلى الأمير الكبير، ص٢٠٨[1] على هذه الصورة: «d,Arvieux, voyage dans la Palestine vers le Grand Emir» وعندهم أيضاً عباءات من الجوخ الأحمر والأخضر أو من الألوان الأخرى مقصبة بالذهب والفضة من جهة الأكتاف ومطرزة بأزهار والعرى والأزرار من الجهة الأمامية. وتؤلف هذه العباءات بتخييط لفقين من الجوخ بكل ما فيه من سعة، كما لو كانوا يريدون أن يعملوا منه كيساً، ثم يشقون المقدم ليوضع على الأكتاف، بعد تقوير الموضع الذي يدور على الرقبة، ويدعون فتحتين في الزوايا لإمرار الذراعين وهذا الثوب معمول بصورة خاصة ليلبس لدى ركوب الخيل». وبعد ذلك (ص٢١٠ و٢١١) يقول المؤلف نفسه متحدثاً عن السيدات لدى البدو: «إن ثيابهن الداخلية هي عباءات من

---

(١) إن عبارات دارڤيو ونيبور التي نجدها في هذه المقالة، قد سبق أن أشار إليها كاترمير في كتابه (تاريخ السلاطين المماليك ج١، ق٢، ص٧٣).

الأطلس أو من القطيفة كأردية الرجال، وهي تصنع أحياناً من الأسلاك الذهبية (الزركش) الدقيقة المحوكة مع خيوط أخرى، وهكذا تتكون منها الثياب الفوقانية». وفي موضع آخر (ص٢١٢) يقول دارفيو في كلامه عن عوام الرجال: «إن كسوة أحدهم هي عباءة من البركان المخطط المرقط بالأبيض والأسود».

وترتدي عوام النساء كذلك عباءة فوق القميص. (المرجع السابق، ص٢١٣).

والعباءة التي كان يرتديها الرحالة نفسه كانت «مشغولة من نوع من أنواع البركان المرقط بالأبيض والأسود، مع أزهار صغيرة منسوجة من الذهب». (المصدر السابق، ص٤). ويتحدث برنگهارت كذلك في كتابه ملاحظات حول الوهابيين، ص٢٧ (Burckhardt, Notices on the Bedouins and Wahabys) عن الكساء المسمى عباءة، ويؤكد إنها ثوب غليظ مخطط بخيوط بيضاء ودكناء». ويضيف قائلاً: «إن عباءات بغداد هي نفس العباء - ولكنني لم أشهد قط عباءات سوداء لدى قبيلة عنزة، ولكنها كثيرة الوجود لدى شيوخ أهل الشمال. وكانت في بعض الأحيان موشاة بالذهب وقد يصل سعرها حينئذ إلى عشرة جنيهات استرلينية».

ويقول فون ريشتر في كتابه (رحلة إلى الشرق الأوسط ص٢١) (Von Richter, wallfaheten in Morgenlande) متحدثاً عن بدو سورية: «تتشابه عباء الجنسين لديهم» ويعتبر الرحالة العربي الأندلسي ابن جبير (الرحلة، مخ٣٢، ص٧٣) العباءات من بين ملابس سكان جزيرة العرب على وجه التخصيص. ويقرر نيبور في كتابه (رحلة إلى الجزيرة العربية، ص٢٦١) ما يلي: «في الصقع العربي من جزيرة العرب لم أجد من يلبس الكساء الفوقاني المسمى عباءة abba اللهم إلا التجار أثناء السفر. ولكن في الصقع الشرقي منها، لا سيما في ولاية الإحساء تؤلف العباءة اللباس

الاعتيادي للرجال والنساء على حد سواء». وإذ يتحدث نيبور عن هذا القطر (ص٣٢٢) يصف العباءة على هذه الشاكلة: «إن ما يدعى عباءة هو ثوب فوقاني فضفاض لا أكمام له ونستطيع تصور هذا اللباس بسهولة باستحداث فتحة في (أسفل) كيس حنطة لإمرار الرأس، وبأحداث فتحتين أخريين على الجانبين لإيلاج الذراعين، وأخيراً بشق الكيس من أعلى إلى أسفل. ولقد رأيت في الزبير أو البصرة القديمة خياطاً أعمى يكسب قوته من مهنته دون أن يكون قد أبصر النور. إذن فعمل العباءة لا يحتاج إلى فن خطير». وعن هذا اللباس نفسه يتحدث علي بيك في (الأسفار، ج٢، ص١٠٨) حين يقول: «إن العربي البدوي يرتدي عادة فوق ثوبه كساء فضفاضاً لا أكمام له، وهو مشكل من نسيج من الصوف الغليظ أو من الجوخ الرقيق، وجانبا هذا الكساء متساويان ويكونان عادة مرقطين باللون الأدكن مرة وباللون الأبيض أخرى، وكل خط من هذه الخطوط يبلغ عرضه قدماً واحدة». وهذا اللباس شائع الاستعمال في الأقطار الشرقية. وإني لا أتردد في حسبانه الكساء الذي تحدث عنه راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص١٩٠) Rauwolf, Aigentliche beschreibung der Raysz حين يقول عن البدو الذين أعتقد أنهم بنو سعيد: «إنهم يرتدون عادة أكسية صغيرة من قماش غليظ، وهي مفتوحة للغاية من الجهة الأمامية، ومحرومة من الأكمام وطويلة إلى حد كبير بحيث تبلغ الركب. وقد لبست هذا الرداء بنفسي أثناء السفر وكان مخططاً بخطوط بيضاء وسوداء». ونحن نقرأ في كتاب أوليفييه (رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج٤، ص٢٢١) إن رجال أورفة «يرتدون أثناء السفر عباءات Oliver, Voyage dans l.Empire Othman lEgypte et la Perse شاملة السواد أو ذات خطوط طولية بيضاء وسوداء واسعة أو ضيقة تشبه كثيراً من ناحية الشكل حلة القداس الخارجية

للقسس الكاثوليك». (وبعد ذلك، ص٢٢٢): «تعمل العباءات من الصوف أو من الصوف وشعر المعز. والعباءة الساذجة منها تباع بعشرة قروش أو باثني عشر قرشاً، أما النوع النفيس فيصل سعر العباءة منه إلى خمسين قرشاً». وإذ يتحدث بكنكهام (رحلات في بلاد ما بين النهرين، ج١، ص٣٤٣) Buckingham (Travels in Mesopotamia) فإنه يسطر الكلمات التالية: «إن الناس هنا من أي طبقة كانوا يلبسون العباءة المحوكة من الصوف الثقيل فوق ثيابهم الفوقانية». ويقول فريزر (رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ص٨٦) (Fraser, Travels in Koordistan, Mesopotamia) في معرض حديثه عن الأكراد: «إنهم يرتدون فوق ثيابهم جميعاً ما يشبه الملحفة وهي العباءة المصنوعة من وبر البعير ذات اللون الأبيض أو الأسود أو ذات الخطوط البيضاء والدكناء والسوداء، وهي مزررة من جهة الصدر وترفرف من الخلف بصورة أخاذة تستحق التصوير». وفي موضع آخر (ج١، ص٢٢٨) يقول الرحالة نفسه عن عرب بغداد، البدو منهم والحضر: «إنهم يلبسون عباءة أو شملة ذات هيئة في منتهى الغرابة. فهذه العباءة واسعة وبغير كُمين، ولكنها مزودة بثقوب لإمرار الذراعين، وهي مصنوعة من الصوف المغزول ومحبوكة حبكاً جيداً وفيها خطوط عمودية دكناء وبيضاء ولكنها تكون أحياناً سوداء وبيضاء. وهذا الكساء هو اللباس الوطني وهو الرداء العربي باستحقاق وجدارة». ويذكر بكنكهام كذلك في كتابه (رحلات في بلاد ما بين النهرين، ج٢، ص١٩٥): «العباءة أو الرداء الواسع الصوفي» الذي رأى الأعراب البدو يرتدونه في بغداد. وترتدي النساء البغداديات أيضاً هذا الكساء. (فريزر المرجع السابق، ج١، ص٢٨٧) راجع كذلك (ج١، ص٣٤٠، ج٢، ص٦٧ و٧٦). ونحن نجد هذا الرداء المسمى عباءة في مصر أيضاً، ولكن على وجه التخصيص لدى بدو هذا القطر. فإننا نقرأ

في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٤٩١) : (Mille et une Nuits; éd Macnagten) «فقال البدوي للتاجر: وما يصلح لهذه الكورة (العاهرة) من القماش والله أن هذه العباءة التي هي ملفوفة فيها كثيرة عليها». وجاء في كتاب كوپان (درع أوروبا، ص٣٢٥) Coppin, Le Bouclier de l'Europe «أما الأغنياء من البدو فلهم فوق ذلك عباءة تشابه ما ندعوه لدينا كازاك casaque أو ڤيست veste وتكون سوداء». وورد في هذا الكتاب (يوميات رحلات مونكوني، ج١، ص٣١٣) Journal des voyages de Monsieur de Monconys هجم بدوي على عباءتي ليسلبني إياها»، ونطلع في رحلة پيترو دلاڤاله، ج١، ص٦٧٠ : «إن Pietro Del'a Valle البدو يرتدون أحياناً فوق قمصانهم رداء فوقانياً من الصوف الغليظ، ولا شيء سوى ذلك. وهذا الرداء مشقوق تماماً من الجهة الأمامية ولا أكمام له. ويسميه العرب العباءة، وهم يلبسون هذه العباءة، وخصوصاً أولئك الذين يريدون أن يظهروا بمظهر الأناقة والوجاهة، وهي مزررة من طرف الصدر على هيئة الفيرايوليو Ferauolo[1]. ونساء البدو يرتدين العباءة أيضاً، ولكن عباءهن كثيفة وضيقة (المرجع السابق، ص٧٣٩). ويذكر ستيفنس في كتابه (حوادث السفر في مصر، إلخ، ج١، ص٢٢٥): (Stephens, Incidents of travel in Egypte) «عباءة من وبر الجمل الأسود التي كان يرتديها أحد تجار القاهرة. ولكن العباية التي تلبس الآن في مصر لم تعد العباءة القديمة للجزيرة العربية وسورية والعراق العربي، فقد تضم كُمين. وهي تتدلى حتى القدمين. ومع ذلك فإن النسيج المصنوعة منه قد ظل هو نفسه، وإن الرجال الموسرين يلبسون العباءة حين اشتداد البرد، وحتى أيامنا هذه بقي هذا الكساء يعمل من الصوف الأسود اللون. ويرتدي

(١) كساء يستعمل في نابولي. (راجع كلمة فرجية).

الفقراء العباءة أيضاً أثناء هجوم القر، ولكن القماش المصنوعة منه العباءة أغلظ. وأحياناً بدلاً أن تكون سوداء تكون مرقطة بخطوط عريضة دكناء وبيضاء أو زرقاء وبيضاء؛ ولكن هذه الحالة شذوذ في القاعدة الأصلية فإن الخطوط بصورة عامة تكون دكناء وبيضاء كما هي في الأقطار الأخرى. انظر لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١، ٤٥، والصورة اليمنى، ص٤٤) Lane, Modern Egyptians. وكلمة عباءة غير مجهولة في بلاد البربر، فهي تشير إلى بركان غليظ ثقيل. (راجع النقيب ليون، رحلات إلى أفريقيا الشمالية، ص Le capitaine Lyon, Travels in Northern Africa وانظر هورنمان، ص٨٥، في كتابه حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق، ص٨٥ Hornemann, tagebuch seiner Reise von Cairo nach Murzuck وسأحملكم أيضاً على ملاحظة أن طبقة الدراويش في بغداد ترتدي العباءة البيضاء (فريزر، رحلات في كردستان الخ. ج١، ص٣٠٢).

(Fraser, Travels in Koordistan ect., tom 1. pag. 302).

المِقْجَر

يبدو أن هذه الكلمة تشير إلى نوع من تيجان الرأس وعماراته. فنحن نقرأ للفتح بن خاقان (في كتاب تاريخ بني عباد، ص٥؛ Historia Abbadidarum) «. . . ولها بالتداعي تلفع واعتجاز».

ومعنى الجملة إن تلك البنايات قد تلفعت بأنقاضها تلفعاً تاماً، كما تتلفع المرأة من قدميها إلى رأسها بعباءتها وعمارتها».

العَرَقيَّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير في مصر كما يرى لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤١) إلى نفس الشيء الذي تشير إليه كلمة طاقية، أي تدل على كلوتة من القطن تمس الرأس مساً مباشراً. وهي توضع تحت الطربوش الذي يلف بعد ذلك بالعمامة. وعلى هذا الصورة تتشكل العمامة. ويرى برگهارت (ملاحظات على البدو الوهابيين، ص٢٧) إن كلمة عرقية (ويكتبها هذا الرحّالة أركيه arkye) تشير في سورية إلى ما تشير إليه الكلوتة. ويرى كانيس (النحو، ص١٧٢) إن كلمة عرقية تشير إلى طاقية صغيرة من الكتان (birreta de lienzo) ولكن هذه الكلمة كانت تشير في العصور الأقدم في سورية إلى نوع آخر من تيجان الرأس مختلف كل الاختلاف. فنحن نقرأ في كتاب روجيه (الأرض المقدسة، ص٢٥٧): «إنها لابسة في رأسها تاج أسقف (قلنسوة، برطلا) من الفضة يسمونه عرقية وهو مصنوع على هيئة قالب سكر». وفي موضع آخر (ص٢٠٤): «إن عرائس الأمراء البدو يضعن على رؤوسهن تاجاً من الفضة معمولاً على هيئة قالب سكر، وهن يحطنه بخمار حريري أسود مطرز باللآليء ومرصع بالأحجار الكريمة».

المَرقة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير، حسب تقرير برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٧) إلى شبه كلوتة يلبسها البدو، وهي نفس العرقية

السورية، ولكن المعرقة maaraka (هكذا يكتبها برگهارت) معمولة من وبر الجمل. ويقول فريزر كذلك (رحلات في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ج١، ص٢٢٨) إن معظم عرب بغداد يلبسون تحت الكوفية كلوتة تشبه شعرية غالية perruque gauloise (a welsh wig) مشغولة من وبر البعير[١].

القري

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير، حسب رأي لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٤): «إلى قميص طويل واسع أو تدل على ثوب من الكتان الأزرق أو من القطن من نفس اللون، وهو مفتوح من العنق إلى الحزام وله كمان كبيران». ويلبس فقراء الناس هذا الثوب. ولا بد أن كلمات ويتمان Wittman في كتابه «أسفار في تركيا الأسيوية وسورية ومصر، ص٣٧٣» «Travels in Asiatic Turkey, Syria and Egypt, pag. 373» تشير إلى هذا اللباس وتنطبق عليه، إذ يقول: «ينحصر لباس الرجال المنسوبين إلى الطبقة الدنيا من العرب في قميص من القطن الأزرق». وكذلك كلمات تيرنر Turner في كتابه «يوميات سفرة في الشرق» فهو يقول: «يلبس عوام الرجال عمامة وقميصاً من القطن الأزرق، وهو الزي الكامل للشعب الذي لا يرتدي تباناً ولا سروالاً ولا حذاء ولا جورباً». وترتدي نساء

(١) يقال شعرية وجمة وشعر اصطناعي أو شعر معار مقابل كلمة Perruque الفرنسية. وكلمة gauloise صفة لهذه الجمة. وبلاد الغال، كما لا يخفى، هي فرنسا. فكلمة غالي: فرنسي، وغالية: فرنسية (المترجم).

هذه المعرقة الوبرية تسمى في الموصل (العراق) طاگية (المترجم).

مصر كذلك هذا النوع من الدراريع، ولكن دراريعهن ليست لها سعة وفضفضة أخواتها التي يرتديها الرجال، وهي تتدلى حتى الأقدام، أما دراريع الرجال، فهي على نقيض ذلك، إذ لا تصل إلا إلى منتصف السيقان (لين، المصدر القيم السالف، ص٤٤ مع الصورة، ص٦٣، ٦٤ مع الشكل، تيرنر المصدر النفيس السابق، ص٣٩٦). وإنني أجهل الزمان الذي دخلت خلاله كلمة عرى في اللغة العربية واستعملت في مصر، ولكن اللباس الذي يحمل اليوم هذا الاسم كان شائع الاستعمال منذ عدة قرون. ففي حكاية شويكر (الكتاب الجديد للأسفار من المانيا إلى القسطنطينية وأورشليم، ص٢٨٨ Schweigger).

وهو الرحالة الأوروبي الذي زار مصر عام ١٥٧٧، نقرأ: «لا يرتدي المصريون - رجالاً ونساء - إلا قميصاً أبيض أو أزرق، له كمان واسعان يبلغ عرضهما ذراعين تقريباً، شأنهم شأن العرب البداة». انظر الشكل (A). أما وايلد في كتابه (وصف جديد لرحلة أسير مسيحي، ص٢٠٤) الفلاح المصري والشكل (B) ابن الشعب. أما عن دراعة المرأة فانظر ص٢٧٢ فيقول: «يبدو الفلاح بالغ البساطة، فهو يرتدي قميصاً فضفاضاً واسعاً، ذا لون أزرق أو أسود، وله كمان سعتهما عدة أذرع».

راجع حول سترة بدو مصر الزرقاء: جاك فورمبسر Juques Worbser في كتابه (وصف قيام برحلة ذهاباً وإياباً، ص٢٢٣).

وكذلك جان هيلفريتش Jean Heilfrich في كتابه: «تقرير مختصر واقعي عن رحلات، ص٣٧٩ و٣٨٧ و٣٩٧».

وكوپان Coppin في كتابه (درع أوروبا، ص٣٢٤ و٣٢٥).

وپيترو دلاڤالا في كتابه (رحلة، ص٨٣٨ و٧٣٩، ج١ Viaggi).

العَصْبة، العِصَابة[1]

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٢٨) كلمة عصابة بالعمامة. ومن الممكن إن هذه الكلمة كانت تعني في العهود الغابرة شبه عمامة (مقارنة مع فريتاگ الأمثال العربية، ح١، ص٣٣٣)، ولكن في أيامنا هذه لم تعد الحالة قائمة. ويقرر لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٦٧): «إن العصبة تشير إلى طرحة من الحرير مربعة الشكل سوداء اللون، لها حاشية حمراء وصفراء، وهي تبطن بصورة منحرفة، ثم يلف بها الرأس، وتتدلى من الخلف عقدة وحيدة منها».

وهذه العَصبة لا ترتدي هذا اليوم إلا من قبل النساء وحدهن. فنحن

---

(١) لقد توهم فريتاگ في كتابة الكلمة عَصَبَة، وإن شهادة صريحة قاطعة من رجل مثل لين لا تدع مجالاً للشك بأن عَصْبَة هي الصحيحة النطق.

أما كلمة عصابة وجمعها عصائب فتشير كذلك إلى الراية (راجع كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ح١، ق١، ص١٣٥، ١٨٢، ٢٢٧، ٢٢٨). وبعد ذلك (ص٢٥٠) يقول المستشرق الجليل بكل ما طبع عليه من صراحة، إنه أخطأ في ترجمة عصبة إلى (بيرق Drapeau) راية، في نصين للمقريزي، في موضوع النساء ويجب عليَّ بدوري أن أحملكم على ملاحظة أن سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ح٢، ص٢٦٨) قد أخطأ في ترجمته لأحد نصوص السيوطي كلمتي العصائب السلطانية بالطرابيش الملكية، فينبغي إحلال الرايات الملكية في هذا المحل. - وحين كانت ترد كلمة طاقية في أحد نصوص المقريزي، والمراد بها عصابة الطاقية، كنت أترجم العصابة بسنام الطاقية، وقد أردت بذلك أن أدلل بهذه الكلمة على الجزء العالي من التاج. وهكذا سرت في الترجمة على هذا المنوال، لأنني كنت قرأت في نص من كتاب للبلاغة والفصاحة لابن الأثير، (لعله المثل السائر - المترجم) الذي ذكره كاترمير من (كتابه القيم، ص٢٥٠) جملة «عصائب كأمثال الأسنمة» فاعتقدت من باب التوسع أن بوسعنا خلع اسم عصابة على أشياء أخرى مماثلة، من ناحية الشكل، سنام البعير.

نقرأ في كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٣٩٨، حوادث سنة ٨٤٠): وكانت الغاسلة إذا خرجت تغسل ميتة تأخذ ورقة من عند المحتسب وتجعلها فوق عصابتها مخيطة في إيزار حتى يعلم إنها غاسلة». لأن السلطان كان قد حرم على النساء الخروج من بيوتهن. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣٦٩): على رؤوسهن العصائب المزركشة بالفصوص التي هي من سائر أصناف الجوهر[1]. وفي موضع آخر (ط مكناگتن، ج٢، ص١٠١): «تعصبت أمة بعصائب الحزن». وأخيراً نقع في نص آخر، سبق لفريتاگ أن ذكره، في حديث عن عصبة هائلة، ومعنى ذلك، في ملتي واعتقادي، إن الموضوع عصبة يتدلى طرفاها من جانب واحد (ط هابيخت، ج٢، ص١٤٦) أو ط مكناگتن، ج١، ص٢٠٨، ترجمة لين، ج١، ص٣٢٨).

والكلمة مكتوبة في كتاب هوست (أخبار من مراكش، ص١١٩) على هذه الصورة: عزابة Azéba: وهي في مراكش تشير إلى شبه عمرة رأس مزينة باللآلىء وقطع النقود الذهبية من صنف الدوكات. وقد فرغنا منذ برهة من معرفة إن هذا الترف كان موجوداً كذلك في مصر. وتلبس العصبة فوق العبروق. ويكتبها گرابر في كتابه (المرآة، ص٨١): Azzàba.

ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٧) في معرض حديثه عن (البجاة) في مدينة عيذاب: «وهم سود الألوان يلتحفون ملاحف صفر ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة منها اصبعاً». وبعد ذلك (ص٢٥٨) يقول الرحالة نفسه، وهو

---

(١) راجع حول كلمة فص تعليقة لكاترمير، (تاريخ السلاطين والمماليك، ج٢، ق١، ص٢٧٠ وما تلاها). وفي كتاب تاريخ اليمن، لدى روجرز، يدور البحث عن خنجر مفصص.

يتحدث عن الجزيرة المسماة البرهنكار، القريبة من جاوه: «وأتي إلينا سلطانهم راكباً على فيل عليه شبه بردعة من الجلود. ولباس السلطان ثوب من جلود المعز، وقد جعل الوبر إلى خارج، وفوق رأسه ثلاث عصائب من الحرير ملونات، وفي يده حربة من القصب».

العَصا

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص١٩١٧) إلى أن العصا هي الخمار للمرأة. ولكن يتحتم على هذه الكلمة أن تشير إلى ضرب من الخمار على هيئة شبكة يشبكها البدو على الأكتاف، ذلك لأننا نقرأ في (مقتطفات من قصة عنترة: ص٢٤): «لبس حوائج[1] خليقات[2] مختلفات وشبك العصا على أكتافه».

المِعْقَب

تشير هذه الكلمة إلى ما تشير إليه الكلمة السالفة، أي إنها تعني خمار امرأة (القاموس، ط كلكتا، ص١٣٠).

العَقّال

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

---

(١) (٢) لكلمة حوائج هذا المعنى غالباً في كتاب ألف ليلة وليلة. فنحن نقرأ مثلاً في هذا السفر (ط مكناگتن، ج١، ص١٧٨): أمر بشيل الحوائج. وفي موضع آخر (ح١، ص١٩٢): نظر عمامته وحوائجه. ويترجم مويت Mouette في نهاية كتابه «تاريخ غزوات مولاي رشيد». كلمة Vestemens بكلمة Lenhaoiche الحوائج.

ولكننا نقرأ في أحد كتب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٧): «إن أبناء قبيلة عنزة، يحيطون عمرتهم المسماة كوفية بحبل مصنوع من وبر البعير ويدعى بالعقال - بدلاً من العمامة. ويقول فريزر كذلك في (أسفار في كردستان وبلاد ما بين النهرين إلخ، ج١، ص٢٢٨) بعد أن تحدث عن كوفية عرب بغداد: «إنهم يشدون، حول قمة الرأس المغطاة بهذه الصورة، وسيدة مصنوعة من وبر البعير البني اللون (A wisp of brown camels hair) المبروم جزئياً».

(قارن بهذا الكلام كذلك الجزء الأول، الصفحة ٣٤٠).

العَقْم، العِقْم، العَقْمة، العِقْمة

تشير هذه الكلمات - حسب مذهب القاموس (ط كلكتا، ص١١٦٦) إلى المرط الأحمر، أو بالأحرى تدل على كل ثوب أحمر (المرط الأحمر أو كل ثوب أحمر). راجع كلمة مرط.

العِلْقة

إننا نقرأ في القاموس (ط كلكتا، ص١٣١٦) إن العلقة هي: (أول ثوب يتخذ للصبي). إذن فهي قميص ذلك لأن أطفال البدو لا يرتدون إلا قميصاً حين لا يكونون عراة كل العري، وهذا ما يحدث في كثير من الأحيان. ويجزم ملشيور جزماً قاطعاً في كتابه (وصف دقيق للحج، ص٢٦١) فيقول: «لا يلبس صبيان البدو، البالغون من العمر خمس أو ست سنوات سوى القمصان، وعلى رؤوسهم الطرطور». ويقول راوولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص١٥٥):

«لا يرتدي ابن الأمير البدوي البالغ من العمر سنتين إلا قميصاً صغيراً من القطن».

ونحن نقرأ في قصة وايلد (قصة جديدة لرحلة أسير مسيحي، ص٢٢٠): «إن بعض صبيان البدو عراة وبعضهم يلبسون القمص».

ونجد في قصة تيرنر (مذكرات جولة في المشرق، ج٢، ص٤٨٠): «إن أطفال البدو عراة في معظم الحالات، فإذا لم يكونوا عراة فملابسهم القمصان القطنية الغليظة البيضاء أو الزرقاء اللون - فقط». ويضيف القاموس (أو قميص بلا كُمين). (أو ثوب يجاب ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية. وهو إلى الحجزة. أو الثوب النفيس).

العِمامة

لهذه الكلمة مدلولان، المدلول الأول يشير إلى العمامة بقضها وقضيضها: أي الكلوتة، أو الكلوتات، من قطعة القماش الملفوفة حولها (وهذه العمامة بتمامها تدعى كذلك عمة) (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨) ابن سعيد، المذكور لدى فريتاگ، (طرائف عربية وقواعد وتاريخ، ص١٤٧)[1]. والمدلول الثاني يعين قطعة القماش وحدها، وهي التي تلف عدة لفات حول الطاقية (الكلوتة) أو الطاقيات، الطواقي. ولو شئنا جمع التفاصيل المتيسرة حول العمامة لملأت سفراً بأكمله. لذلك سنقتصر هنا على إيراد المعلومات الرئيسية، موجهين نظر

(١) إن سيلفستر دي ساسي، في حديثه في صحيفة العلماء عن كتاب فريتاگ، يرى وجوب إحلال كلمة عمامة محل كلمة عمة في هذا النص. ولكن كلمة عمة موجودة في مخطوطة دي غويا (ص٤٥)، وهي صحيحة على العموم، ومؤيدة بشهادة دي شابرول.

القارىء الراغب بالمزيد من التفصيلات الواسعة إلى البحث النفيس الذي كتبه فيسكه في كتابه (رحلة إلى الشرق وما تلا، ص١٨٣) فهو بلا منازع خير من كتب عن العمامة. ولكننا سنحرص كل الحرص في هذا المقال على الإلماع إلى استعمال العمامة.

العمامة في العادة بيضاء اللون، معمولة من الشاش الموصلي. ولكنها تعمل كذلك من أقمشة أخرى ومن ألوان متفرقة. فهي تؤلف مثلاً من الحرير الأسود المرصع بالذهب، أو من الكشمير أو من الوصف الأحمر أو الأبيض، إلخ.

وكان سعيد بن العاص بن أمية يتميز بين العرب القدامى بجمال عمامته (الميداني، الأمثال العربية، ج١، ص٣٣٣)، (النويري، نهاية الأرب، مخ٢٧٣، ص١٣٧). وكان الرسول ﷺ يعتم بعمامة كانت معروفة باسم السحاب (Le auage) وقد أورثها أو تنازل عنها لعلي ﷺ (عيون الأثر، مخ٣٤٠، ص١٨٩). ولعل ابن جبير في كلامه عن (عمامة شرب رقيق سحابي اللون قد علا كعبتها على رأسه كأنها سحابة مركومة وهي مصفحة بالذهب) قد أشار إلى هذه العمامة البيضاء للرسول ﷺ. (الرحلة، مخ ٣٢٠، ص٨٣). وذلك أثناء حديثه عن أمير مكة.

وكانت العمامة في الأندلس والمغرب لا تلبس إلا في الحالات النادرة. (ابن سعيد، النص السابق). ومما لا ريب فيه أن الجيش لم يتخذ هذا الإكليل، ذلك لأننا نقرأ لدى النويري (تاريخ الأندلس، مخ٢، ص٤٧٤): «ثم عزم على الغزاة وتقدم إليه هشام أن يتعمم هو وسائر الجند. ففعل وعقد ألويته وخرجوا في العمائم. وكانوا بها في أقبح زي لمخالفة العادة». وكان الفقهاء في الأندلس يلبسون العمامة بصورة عامة.

وفضلاً عن ذلك فإن عمامة القضاة أضخم كثيراً من عمامة العرب الآخرين، ومن هذا الوضع كان يسمى واحدهم (المتعمم أو المعتم أو صاحب عمامة أو رب العمامة[١]. راجع حول هذا الموضوع ملاحظة ممتعة للغاية لكاترمير (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٢٤٥، ٢٤٦).

ويحرص جميع المسلمين، ولا سيما رجال الشريعة منهم، على حصر شرفهم في عمائمهم. وعادة أسبال طرف من قطعة القماش عريقة في التاريخ، وما تزال موجودة في أيامنا هذه. وهذا الطرف يحمل اسم عذبة أو ذؤابة[٢]، وهو أمر شائع إلى حد أن أحد الشعراء استعمل تعبير (كل ميال عمامة): أي كل عربي. (راجع بيت هذا الشاعر في طرائف عربية، كوزكارتن، ص٧٦). (والعمامة البغدادي) كان لها عذبتان. (راجع كاترمير في كتابه النفيس، ج١، ق١، ص١٣٣).

يلبس الشرفاء وأحفاد الرسول في يومنا هذا العمامة الخضراء. وكانوا قديماً يعلقون قطعة خضراء من القماش في العمامة، وفي عام ١٧٧٣ أمر سلطان مصر وسورية، الملك الأشرف شعبان، هؤلاء بربط

---

(١) إن عادة رجال الشريعة بالتميز بإكليل ضخم أو عال موجودة في الغرب. فإنني أطالع في مخطوطة هولندية من مخطوطات مكتبة هامبورك وهي تعالج لعبة الشطرنج، ومسجلة برقم ٤٩ وصفحة ٤٧، ما يلي: «تقرر أن يتألف مجلس الملك من رجلين من الشيوخ، يلبس كل منهما قبعة عالية».

(٢) لا وجود لكلمة ذؤابة بهذا المعنى في القاموس. ولكن المقري أو بالأحرى ابن سعيد (لدى فريتاگ، طرائف عربية نحوية تاريخية، ص١٤٨) والسيوطي (لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٢٦٧) يستعملونها بهذا المعنى. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٢٨): «أتى شيخ على رأسه عمامة لها ذؤابة عليه ثياب بيض وعمامته كبيرة لها ذؤابة وهي مائلة إلى جانب».

قطعة من القماش خضراء بعمائمهم. (ابن حبيب، درة الأسلاك، مخ٤٢٥، ص٥٧٨، ٥٧٩، السيوطي، حسن المحاضرة، مخ١١٣، ص٣٤٦).

وتصر الأشياء المختلفة في العمامة، والشرقيون يستعملونها استعمالهم لجيوبهم. فنحن نقرأ في كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخ٣٦٧، ص٤٢٩): «تغير خاطر السلطان على القاضي عبد الباسط ونقله من المكان الذي كان بالحوش إلى برج من أبراج القلعة. فلما استقر به دخل عليه الوالي وقال له: «إن السلطان رسم بنزع ثيابك» فعراه ثياب بدنه حتى أخذ عمامته من على رأسه وتركه وهو عريان. ودخل بأثوابه بين يدي السلطان. وكان قد وشى به عند السلطان إن معه شيئاً من السحر. فلما فتشوا عمامته وجدوا فيها قطعة من أديم ووجدوا أوراقاً فيها أدعية جليلة وخواتم فضة لا غير. فبعث السلطان يسأله عن تلك القطعة الأديم ما هي. فقال: «هذه من نعل النبي ﷺ. فباسها السلطان ووضعها على عينيه وأعاد إليه ثيابه ونقله إلى المكان الذي كان به أولاً».

ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣١٣): «فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته». وكثيراً ما توضع حافظة النقود في العمامة، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص. (راجع كتاب ألف ليلة وليلة، مكناگتن، ج١، ص٢٠١، وتعليق لين، ألف ليلة وليلة، ج١، ص٤٢٠).

ولما كانت كلمة عمامة تشير إلى قطعة من القماش فارعة الطول يلفها المتعممون حول الرأس، فلن يبدو أمراً مستغرباً أن تستعمل العمامة:

١ • لتكتيف سجين أو أسير. فنحن نقرأ في (قصة من قتله الشجن، لدى كوز كارتن، طرائف عربية، ص٦٩) «ربط السجين بعمامته». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٩٠): «اهدموه وكتفوه بعمامته وجروه غصباً إلى عندي من غير أذية تحصل له».

٢ • لشد الإنسان نفسه فوق شيء توقياً من السقوط، أو لغرض آخر، فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس ص٤): «فكنت أشد نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف».

٣ • لخنق الإنسان نفسه أو لخنق سواه. فنحن نجد في رحلة ابن بطوطة (مخ، ص١٥٧): «فدخل إلى بيته وربط عمامة بسقف البيت وأراد أن يختنق نفسه». وفي كتاب القرطاس (مخ١٧، ص٩٩): «فجعلوا عمامته في عنقه وشنقوه بها» ونقرأ في الكتاب المعنون (حكاية إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص٤): «إن أحد الأفارقة يعتقد أنه لا سبيل إلى قهره عندما يكون معتماً بالعمامة، ولكن هذه العمامة تكون أحياناً مصدر شؤم له، فالحقيقة إن الإنسان يستطيع أن يخنق بطرف عمامة من هذه العمائم التي تحيط بعنق الضحية بأقل من الوقت الذي يستغرقه سحب الحبل المشؤوم لخنقها بالحبل الذي يرسله إليها الباشا». وأعتقد أن تعبير (عمامته في عنقه) نجم من استعمال العمامة في كثير من الأحيان لخنق أحد الرجال (المقريزي، لدى دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٣١ من النص). وهذا يعني: إن الرجل دان وخضع وأطاع. ذلك لأنني أرى أن الناس كانوا يعبرون بلبس العمامة حول العنق عن اعترافهم للسلطان المطلقة بالتصرف في محياهم ومماتهم. راجع في موضع آخر كلمة منديل. واستعانة بهذه التفصيلات سيكون

بوسعنا أن ندرك بسهولة، حسب عقيدتي، نصوص المؤلفين العرب، التي لا تستعمل العمامة استعمالها الاعتيادي. وبوسعي كذلك أن أضيف إننا نقرأ لدى ابن بطوطة (الرحلة، ص٢٢٨): «وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم. وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت».

ويجب الحذر من التفكير بسبق استعمال النساء للعمامة. فإن هذا الإكليل خاص بالرجال وحدهم، وفي الشرق ينحت شكل عمامة على شاهدة القبر، في حالة ضم هذا الجدث رفات شخص من جنس الذكور. وبهذه الوسيلة يمكننا بسهولة تمييز قبور الرجال من قبور النساء، ذلك لأن أضرحة النساء ينحت لها إكليل امرأة. (راجع كوپان، درع أوروبا، ص٢٤٨) وانظر كذلك (حكاية عشر سنوات في طرابلس العرب، ص٣٧).

العَمْرُونة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن يبدو إنها تشير إلى نوع إكليل كانت تستعمله نساء الأندلس. ويفسر پيدرو دي الكالا في كتابه (مفردات أسبانية عربية) هذه العبارة Velo o toca de muger بكلمة عمرونة وجمعها عمارن. وتوجد كلمات Toca de muger عمرونة امرأة مفسرة على نفس الشاكلة، ونحن نقرأ حول كلمة «Xativa» Xativa toca de alli عمرونة شطبية.

الغِطاية[1]

تشير هذه الكلمة إلى الكلمة الفرنسية Une tournure لاتورنير – وهي الغلالة. (القاموس).

الغِفارة

يبدو أن هذه الكلمة كانت تشير قديماً إلى نوع طاقية من طواقي المرأة. ويقول الواحدي في (شرح ديوان المتنبي، مخ٥٤٢، ص٣٣) مفسراً هذا البيت (البسيط):

نعج محاجره دعج نواظره   حمر غفائره سود غذائره

«الغفائر جمع غفارة وهي خرقة تكون على رأس المرأة توقى بها الخمار من الدهن. وقد تكون اسماً للمقنعة التي تغطي بها الرأس – وإن جعلنا الغفائر المقانع فإنما جعلها حمراً لأنهن شواب. كما قال حمر الحلى والمطايا والجلابيب. وإنما جعلنا الخرق فهي حمر لكثرة استعمالهن الطيب من المسك والزعفران».

(راجع مدخل كتابي هذا، ص٧) – ويقول الشاعر كذلك – في معرض حديثه عن الغيد الأماليد:

من الجآذر في زي الأعاريب   حمر الحلى والمطايا والجلابيب؟

ولكن على النقيض من ذلك إذا عنينا بكلمة غفائر قطع قماش فينبغي

(١) الغطاية ما تغطت به المرأة من حشو الثياب تحت ثيابها – كالغلالة ونحوها (المعجم الوسيط).

افتراض إن الشاعر يصور لنا هذه الجآذر حمراوات لأن النساء اللواتي يتحدث عنهن يفرطن في استعمال العطور كالمسك والزعفران».

وأعتقد أن الواحدي يأخذ كلمة مقنعة بمعنى الطرحة التي توضع على الرأس أو العصبة أو المنديل. وكانت هذه المقنعة نوعاً من الإكليل أوسع من قطعة القماش أو الخرقة التي يتحدث عنها أيضاً. وهذا المعنى الأخير هو الذي تبناه ابن جني في شرحه لقول المتنبي (مخـ١٢٦، ص١٠٣) - ويضيف هذا الشارح قائلاً: «وقوله: حمر غفائره، يشير إلى أنهن شواب لأن الحمر من لباس الشواب أو يريد به أنهن ملطخاً (كذا) بالطيب[1] ولكن هذه الكلمة كانت تشير كذلك في الأندلس إلى طاقية، كلوتة يلبسها الرجال، وذلك ما ينبغي إضافته إلى القاموس. وإن المقري أو بالأحرى ابن سعيد (لدى فريتاگ، طرائف عربية نحوية تاريخية، ص١٤٧، ١٤٨) بعد أن سبق له أن قال إن عرب الأندلس لم يكونوا يلبسون عادة العمامة، وإن هذا الإكليل كان بصورة خاصة نادر الاستعمال في الجزء الشرقي من شبه الجزيرة، يضيف إلى ذلك قائلاً، بعد أن تحدث عن الطيلسان: «وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً. والصفر مخصوصة باليهود». وعلى ذلك فإن المراكشي (المعجب، مخ ليدن، وهذا النص قد نشر بعناية مونك في الصحيفة الآسيوية، س٣، ج١٤، ص٤٠، تموز ١٨٤٢) يقول، في معرض حديثه عن اليهود، إنهم كانون يلبسون «بدلاً من العمائم كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع تبلغ إلى تحت آذانهم».

وأعتقد إن هذا النص لا يدع مجالاً للشك في أن كلمة غفارة تعني

---

(١) أعتقد وجوب قول ملطخات أو متلطخات. إذ يقول ابن بطوطة (ص٢٤١): ويتلطخون بالغالية المجلوبة من مقدشوا. وفي موضع آخر (ص٢٤٦): تلطخوا بالصندل.

لدى ابن سعيد كلوتة بالذات، وأفترض أن الأندلسيين قد خلعوا كلمة غفارة على الطاقية التي يسمونها هذا اليوم في المغرب شاشية. والشاشية أيضاً مصنوعة من الصوف الأحمر، وتلبس عادة بدون عمامة.

وتوجد كلمة غفارة بمعنى كلوتة في النص التالي لابن بسام (الذخيرة، مخ دي غوتا، و٢٦٦، ص٦) حيث نقرأ: «ولابن طاهر عدة نوادر أحر من الجمر وأدمع من الصخر. أرسل إليه ابن عمار وقت القبض عليه، وهو معتقل بين يديه، يعرض له خلعة يتسربلها، ويشير إليه بكرامة هل يقبلها. فقال لرسوله: «لا أختار من خلعه أعزه الله إلا فروة طويلة وغفارة جبيلة» فعرفها ابن عمار واعترف بها على رؤوس أشهاده وبحضرة من وجوه قواده وأجناده. قال: «نعم إنما يعرض بزيي يوم قصدته وبهيئتي حين أنشدته، فسبحان من يعطي ويمنع ويرفع من يشاء ويضع».

بغية إدراك مغزى هذا النص، ينبغي علينا أن نعلم أن الشاعر الأندلسي المشهور ابن عمار قد ولد من أبوين مغمورين، وإنه تحت غائلة الفقر والإدقاع طاف الأندلس بأسرها في مطلع شبابه، منشداً أشعاره على الكبراء والأمراء. وبعد أن تألق نجمه حتى وصل إلى الوزارة بفضل حاميه المعتمد ملك أشبيلية، شنَّ الحرب، بأمر هذا الأمير، على ابن طاهر، ملك مرسيه فقهره ووضعه في السجن، وإن النص الذي فرغت من إيراده يكمل ما أردت أفهامكم إياه.

ونقرأ لابن حيان (لدى ابن بسام، الذخيرة، مخ دي غوتا، ص٢٣٢): «ومما وقع التعجب منهم إنه أخذ من البياض المقتولين من أهل طليطلة في تلك الوقعة ألف غفارة من لبوس أهل الرفاهية أيام المباهاة».

ويقول مثل هذا ابن بسام (لدى المقريزي، تاريخ الأندلس، مخ دي غوتا، ص٦١٨): «وكان من جملة ما غنمه الفرنج من أهلها لما خرجوا إليهم في ثياب الترفة ألف غفارة».

ونستخلص من هذه النصوص إن محاربي طليطلة لم يشكوا قط في أن النصر سيكون حليفهم، لذلك ارتدوا أجمل ثيابهم واعتمروا بأجمل غفائرهم، بدلاً من ستر رؤوسهم بالأقنعة.

وفي المغرب أيضاً كانت تشير كلمة غفارة في القديم إلى الكلوتة التي توضع تحت العمامة، ذلك لأن مؤلف تاريخ المرابطين والموحدين المعنون بالحلل الموشية (مخ٢٤، ص٩) يعد من بين الهدايا المهداة من قبل الأمير يوسف بن تاشفين إلى عمه أبي بكر بن عمر مائة عمامة مقصورة وأربعمائة من السوسة ومائة غفارة[١].

الغُفّارة وجمعها الغفافير

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في قائمة الأسماء العربية التي انشأها بريتنباك Breitenbach في كتابه (وصف رحلة وزيارة، ص١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق في عام ١٤٨٣، فسّرَ كلمة غفارة Goffara بكلمة Mantel (Manteau) كساء. والواقع إننا نقرأ في تاريخ النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٦١): «لم

(١) إن سوس Sous أو سوسة Sousah، اسم مدينة واقعة على ساحل البحر، في ولاية تونس. وفي هذه الولاية تصنع حسب قول الإدريسي (الجغرافية، ج١، ص٢٩٧) بعض العمائم التي أطلق عليها اسم عمائم سوسة. ويؤكد البكري في كتاب (ملاحظات ومقتبسات، ج٧، ص٤٨٨) وليون الإفريقي (لدى راموسيو، الأبحار والارتحال، ج١، ص٦٨) إن شطراً من سكان سوسة هم حاكة ونساجون - ويخبرنا شو في كتابه (الرحلات، ج١، ص١٧٣... والخ.) وقوع السوق الرئيسية للمملكة في هذه المدينة، وهي السوق المختصة بصناعة الكتان.

يبق أحد إلا ناله منه مكروه من الضرب والنهب[١]» وأخذ المال. وارتفع شأنه عند الآمر بإحكام الله إلى أن كان يستعمل له ملابس مخصوصة به بدمياط وتنيس[٢] من الصوف الأبيض المنسوج بالذهب. فكان يلبسها ويلبس من فوقها الغفافير الديباج».

ويقص علينا النويري في موضع آخر (مخـ٢، ص٩٦، مخـ٢، ص١٨٨) قصة أسر وحبس القديس لويس الذي يسميه المؤرخ - ملك الفرنج ريدا فرانس (ملك فرنسا باللغتين الفرنسية والإيطالية[٣] Le roi des Francs Re da Francia ويضيف إلى ذلك قائلاً أن السلطان حين كتب إلى حاكم دمشق (بعث مع الكتاب غفارة ريدافرانس إلى الأمير جمال الدين فلبسها وهي أسقلاط écarlate أحمر تحته سنجاب وفيها شكل بكلمة ذهب[٤].

ويبدو أن مؤرخين عرب آخرين، لم نعثر على كتبهم في مكتبة ليدن،

(١) إن كلمة نهب لا وجود لها في القاموس. ومع ذلك فهي شائعة الورود. راجع دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص٣٧ من النص. وانظر كذلك كوزگارتن، طرائف عربية، ص٨٠، والمراكشي، المعجب، مخـ٥٤٦، ص١٣٦.

(٢) كانت تنيس من أغنى المدن المزدهرة بمصانعها في مصر. (راجع كاترمير، مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر، ج١، ص٣٠٨، ٣٣٠). وهذه المدينة الكبيرة التي كانت قبلة إعجاب الشرق والغرب لم يبق في ربوعها ديار هذا اليوم!

(٣) يبدو أن النويري يعتبر هذه الكلمات الإيطالية Re da Francia وكأنها الاسم الخاص لملك فرنسا. ويخيل إلى أن معظم الشرقيين قد تعلموا أسماء الصليبيين من الإيطاليين - ذلك لأننا نجد لديهم جميعاً على وجه التقريب النطق الإيطالي.

(٤) المخطوطة (ب) تذكر مكلة. وأنا أعتقد إن بكلة هي الكلمة الحقيقية وإن كلة اسم وحدة من الكلمة الفارسية گل: (وردة). وعلى كل حال فإنني لا أتقدم بهذا الافتراض إلا على وجه التخمين والحدس.

يستعملون نفس الكلمة بهذا الصدد. وإنني لا أجهل أن كاردون Cardonne في نشره لكتاب جوانفيل Joinville حياة القديس بويس Vie de Saint Louis قد ترجم الكلمة بكلمة Bonnet طاقية الواردة في نصوص المقريزي (ص٥٤٢) وأبي المحاسن (ص٥٤٩) والإسحاقي (ص٥٥٥)، ولكن إذا كانت مخطوطات هؤلاء المؤلفين تذكر كذلك كلمة غفارة، فهي ليست غِفارة، كما يحتمل أن يكون قد توهمها كاردون، ولكن غِفّارة وهذا ما يبرهن عليه كل البرهنة وزن قصيدة أوردها النويري في (كتابة القيم) التي مطلعها (الخفيف):

إن غفارة الفرنس التي (الأبيات).

ويقول داپر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص٢٤٠، مجـ٢) إن الغفارة Gacara أو الغفارة Goffara هي ثوب واسع – معمول من الجوخ الملون وهو مزرر بأزرار من ناحية الكتفين.

الغِلالة

يرى القاموس إن هذه الكلمة تشير إلى ما نسميه الغطاية une tournure ولكن يبدو إنها تعني كذلك نوع ثوب للمرأة. فإننا نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة(ط مكناگتن، ج٣، ص١٦١) إن امرأة ألبست عشاقها ثياب بنات جنسها، وتواصل القصة سيرها على هذا المنوال: فقالت له: «يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر بالمأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك» فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع. (والكلام يجري مع القاضي). وبعد ذلك بقليل (نفس المرجع): قالت له: «اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه التخفيفة». فخلع ما كان عليه والبسته

غلالة زرقاء وطرطوراً أحمر. (والكلام هنا دائر مع العاشق الثالث الوزير).

والنص الرائع التالي موجود في تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٨٦، حوادث سنة ٦٤٣): «بعث الملك الصالح إسماعيل إلى الأمير الصاحب معين الدين بن الشيخ سجادة وإبريقاً وعكازاً». وقال: «اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك»[1]. فبعث إليه جنكاً[2] وزمراً وغلالة حريري أصفر وأحمر. وقال: «أما ما أرسلت به إليَّ فهو يصلح لي. وقد أرسلت بما يصلح لك»[3].

وهناك بيتان وردا في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٦٧) حول كلمة غلالة، هذا نصهما:

أقبلت في غلالة زرقاء لازوردية كلون السماء
فتأملت في الغلالة منها قمر الصيف في ليالي الشتاء

ويبدو أن الغلالة كان صفراء على الدوام في العهود القديمة - ومن هناك استعمل الشعراء تعبير غلالة نور. وهذا التعبير موجود في المختارات الأدبية المعنونة (يتيمة الدهر، مخـ٢٠٥٠٢، ص٦٥٢). انظر كذلك (تاريخ بني عباد، ص٤٠، وشرح هذه العبارة ص٨٧ و٨٨). وهناك بيت أورده ابن خاقان في (قلائد العقيان، مخـ٣٠٦، ص٢٦٤) جاء على هذه الصورة (الكامل):

لما تهلل في الظلام جبينها لبس الظلام بها غلالة نور

(١) يعني: ترهب. قايس هذا بنص ابن بطوطة حول كلمة مرقعة، ص١٨٩، سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ج٢، ص٢٦٨.

(٢) انظر صورة الآلة المسماة بالجنك في كتاب لين (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٢٢٨) وقايس ذلك بكتاب (المصريون المحدثون، ج٢، ص٨٦) حول الزمر.

(٣) معنى ذلك: «انهمك بالأمور التي تنهمك بها القينة المغنية».

ونحن واقعون على بيت آخر، رواه ابن بسام في (الذخيرة، مخ دي غوتا، ص٢١١) نقرأ فيه (المنسرح):

والشمس قد عصفرت غلائلها   والأرض تندى ثيابه الخضر

فهنا نرى أن موضوع هذا النص هو أشعة الشمس التي يصفها العرب بالصفرة. ويصف أحد الشعراء ثوب حسناء يافعة (لدى الفتح بن خاقان، مخ بطرسبورغ، ص٥٢) فيسميه غلالة نرجس.

ويظهر أن الغلالة كانت ثوباً مفرطاً في الشفوف والخفة. ومن هناك جاءنا إن ابن بدرون (شرح قصيدة ابن عبدون، مخ) حين وصف القبة التي رفع عمادها أحد أمراء طليطلة وسط غدير، وزاد حسنها حسناً بانبثاق نافورة اصطناعية وكان ماؤها يحيط بالقبة من كل جهاتها، قد استعمل تعبير: فكانت القبة في غلالة من ماء.

ومن هناك أيضاً أشرقت التعابير، أمثال: وقد طرزت غلالة خده (ابن خاقان - المطمح - مخ، ص٨١) حيث يدور الكلام عن زغب خفيف قد كسا خدي ساق في ريعان صباه. وهناك شاعر آخر (لدى ابن بسام، مخ، ص٢٢٨) عبر عن أحاسيسه بهذه الكلمات (البسيط):

أبقى الشباب عليه من غلائله   ما أثرّت فيه من لين غلالته

وأعتقد إنني مستطيع تحليل هذا البيت على هذه الشاكلة: «ليدم هذا الثوب الرقيق الذي كست به الشبيبة هذه الكاعب الحسانة! فما أحلاها وهي كاسية بهذا الثوب الرقيق - وما أرق بشرتها وأشفها!».

وأعتقد إنني واجد الغلالة في مدينة الجزائر، إذ يكتب دييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر ص٢٧، مجـ٢، ٣) هذه الكلمة على هذه الصورة gonila أو goleyla. والمؤلف إذ يتحدث عن زي نساء مدينة الجزائر يؤكد إنهن يلبسن فوق القميص الثاني عند اشتداد البرد ثوباً

(sayo) من الجوخ أو من القطن المندوف (o de colchas) شبيه بثوب أزواجهن، وهن يسمين هذا الثوب goleyla، وأخريات يسمينه gonila. أما النساء التركيات والمرتدات فيلبسن عادة فوق قمصهن ثوباً مسبلاً إلى أوساط سيقانهن، وهو معمول أما من الجوخ الرقيق الملون وأما من (أسقلاط، أرجوان بلنسية) أو من الأطلس أو القطيفة والمخمل، أو من الدمقس. وهذه الأقمشة الثلاثة الأخيرة تكون ملونة على الدوام. وهذا الثوب له ياقة مفرطة في التقور بحيث إنها مفتوحة حتى الصدر. وبارتفاع الصدر توجد بعض الأزرار الذهبية أو الفضية الكبيرة - وهي مصنوعة صنعاً متقناً، والنساء يسمين هذا الثوب نفس تسمية النساء المغربيات له أي: gonila. ويتحتم عليَّ أن أحملكم على ملاحظة أن الغلالة إذا كانت تلبس بصورة خاصة من قبل النساء في مصر، كما يؤيد ذلك النصوص الواردة آنفاً، فإن الحالة لم تكن هي نفسها في بغداد وفي مدينة الجزائر وفي أسبانيا. فإن النويري يقول (تاريخ العباسيين، مخ٢، ص١٦٩) في معرض كلامه عن أحد الخلفاء: «وهو في الحمام فهرب في غلالة (قميص)». ويقول ابن اللبانة (لدى المقري، مخ دي غوتا، ص٥٥٠) وهو يتحدث عن المعتمد «فبرز من قصره، عليه غلالة ترف على جسده». وهناك مؤرخون آخرون يروون عين الحادث، ويستعملون هنا كلمة قميص (chemise) والمعتمد نفسه يسمى هكذا اللباس الذي كان مرتديه ذلك اليوم[١]. ويعرب دييگو دي هيدو (ص٨، مجـ٢) عن هذا الموضوع في حديثه عن رجال مدينة الجزائر فيقول: «إنهم يرتدون حين استفحال شوكة البرد قميصاً أو ثوباً (un sayo) من الجوخ الملون يسبل إلى

---

(١) لا بد أن البيت المشار إليه هو:

وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفوع

(المترجم).

ما تحت الركب، وهذا الثوب يشبه القنباز الصغير la petit soutane وهم يسمونه gonela أو goleila ولكنهم يهجرونه في الصيف».

الغَمِرة

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص٦٢٠) إلى أن الغَمِرة هي: ثوب أسود تلبسه العبيد والإماء».

الغُنْباز

إن فريتاگ هو أول من تقبل هذه الكلمة في القاموس العربي، ولكنني اعتقد أنه غلط في كتابة غنبار بحرف الراء بدلاً من حرف الزاي. فإننا واجدون في تاريخ الأندلس للمقري (مخ دي غوتا، ص٦٢٤) النص التالي: «ولما استولى النصارى على ميورقة، في التاريخ المتقدم، ثار بجزيرة منورقة القريبة منها الجواد العادل العالم أبو عثمان سعيد بن حكم القريشي، وكان وليها من قبل الوالي ابن يحيى المقتول. وتصالح مع النصارى على ضريبة معلومة واشترط أن لا يدخل جزيرته أحد من النصارى، وضبطها أحسن ضبط». قال أبو الحسن علي بن سعيد: «أخبرني أحد من اجتمع به إنه لقى منه براً حبب إليه الإقامة في تلك الجزيرة المنقطعة. وذكر أنه ركب معه فنظر إلى حمالة سيف ضيقة قد أثرت في عنقه. فأمر له بإحسان وغنباز وكتب معه:

حمالة السيف توهي جيد حاملها   لا سيما يوم إسراع وإنجاز
وخير ما استعمل الإنسان يومئذ   لحسم علتها لباس غنباز

والغنباز عند أهل المغرب صنف من الملبوس غليظ يستر العنق. وأعتقد إن كلمة غنباز هي نفس الكلمة التي كتبها

(D. Germano de Silesia. pag. 276) بهذا الرسم: «غمباز من جلد» والتي فسرها بهذه الكلمات: Colletto sorte di veste. Amictorium ex pellibus.

وهذه الكلمة موجودة أيضاً في الشرق، وهي تشير كذلك، إلى نوع كساء، ولكن هذا النوع يختلف عن النوع الذي كان يحمل في الغرب اسم غنباز.

ويفسر (D. Germano de Silesia, pag 227) غنبازنا وجمعه غنبازاء وغنابيز بقمصلة من الصوف. ويذكر ريشتر (رحلة إلى الشرق الأوسط، ص١٢٣) من بين الملابس التي اشتراها في بيروت، للولوج إلى قلب سورية: «انطاريا، يسمى هنا قمبازا Kombas، أي ثوباً طويلاً مصنوعاً من شبه الحرير المموج» ويقول بعد ذلك (ص٢٠٦): «ارتديت قمبازاً مهلهلاً». ونجد أخيراً الكلمة نفسها كذلك، ص٢١٣. ويرتكب برگهارت، أو ربما ناشره، نفس الغلطة التي ارتكبها فريتاگ، لأنه يكتب الحرف الأخير (ر) بدلاً من (ز). وإليكم ما يقوله (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٦): «يلبس الرجال في الصيف قميصاً من القطن الغليظ، هذا القميص الذي يضع الأغنياء فوقه كمباراً Kombar - أو ثوباً طويلاً - كذلك الثوب الذي يلبسه سكان المدن التركية، المصنوع من الحرير والقطن. ومع ذلك فإن معظمهم لا يرتدون الكمبار Le kombar - ولا يلبسون فوق قمصانهم إلا كساء من الصوف». ويكتب ناپييه (ذكريات من سورية، ج١، ص١٤٤) الكلمة هكذا: خمبيز Khumbaiz، ويفسر هذه الكلمة بكلمة پليس Pelisse الفروة التي ترتديها نساء بيروت.

ولا ريب أن كانيس (النحو، ص١٧١) ينظر نفس النظرة إلى هذه الكلمة حين يرسم لفظة قنباز، والقنباز لديه لباس طويل يصل إلى منتصف الساق.

ويبدو أن كلمة غنباز كانت تشير في الأندلس أيضاً إلى نوع ثوب -

فإن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم: Jubon vestido neuvo بكلمة غنباز وجمعه غنابيز. (فهل تعني neuvo هذه لديه هنا - جديداً؟ أم شيئاً أدخل حديثاً؟).

الفِدام

يذهب القاموس إلى أن هذه الكلمة تشير إلى العمامة: Le turban.

الفَرُّوج

يعرض لنا البخاري (الصحيح، ج٢، مخ٣٥٦، ص١٦٧) فصلاً عنوانه «باب القباء وفروج حرير». ويقول حول كلمة فروج «هو القباء، ويقال هو الذي له شق في خلفه».

يبدو إذن أن الناس في عصر البخاري لم يكونوا يعلمون على وجه الدقة والضبط ماهية الفروج. وأياً كانت الحالة فإن الحديث التالي مروى في الصحيح عن عقبة بن عامر. قال عامر «أهدي لرسول الله ﷺ فروج حرير فلبسه، ثم صلى فيه ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له. ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين». تابعه عبد الله بن يوسف عن الليث. وقال غيره «فروج حرير».

الفَرَجيّة وجمعها الفراجي

يصف لين (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٣٢٤، النص الانكليزي) هذا اللباس على هذه الصورة: «الفرجية ثوب فضفاض هفهاف، يعمل اليوم من الفجوخ عادة، وله كُمان واسعان طويلان يتجاوزان قليلاً أطراف

الأصابع، وهذان الكُمان بغير تفريج البتة. ويلبس هذا الثوب أفراد طبقة العلماء». ونقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٤٩) إن الملك الناصر داود، لدى وجوده في بغداد، تلقى من بين الثياب التي تؤلف الخلعة (فرجية مموج)[1] أي فرجية من مادة ما يسمى بالفرنسية (الزملوط - وبر البعير)[2]. وفي موضع آخر (مخ٢، ص٣٢): يدور الكلام حول

(١) لا مندوحة من إضافة كلمة مموج إلى القاموس، بوصفها تشير إلى كلمة الزملوط Camelot والمموج هو بالضبط لباس اللاتين: .Vestis undulata, vestis cymatilis
ويفسر (D. Germano de Silesia) (موج من الجوخ بـ:

Ciambellotto drappo. vestis undulata.

(ولكيلا تفكروا بوجوب إحلال موج محل مموج، أرى لزاماً عليَّ أن أنبه إلى أن مخطوطة (ب) للنويري مذكور فيها مموج). ونقرأ في قصة كوتوفيك (الرحلة، ص٤٨٥): «وبالإضافة إلى الحريريات والصوفيات، فإن عندهم ألبسة من الأقمشة المتموجة (الزملوط) وهي تعمل في أنقرة وغلاطية، وذلك من شعر الماعز، ومن هناك توزع على العالم». ونقرأ في نص آخر من تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص١١٦): «وهو بغلطاق أطلس معدني بسنجاب مقتدرة». وفي موضع آخر (مخ٢، ص٢٨): «خلعة من خزانة السلطان كاملة مسنجبة مفتدرة». وإنني لا أتردد في إحلال مقندزة محل مقتدرة ومفتدرة الواردتين في هاتين المخطوطتين، وذلك لأن كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٢١٦. راجع كذلك ص٢٧١) قد برهن في تعليقة قيمة، على أن المقنلز أو المقندس يعني أنه مؤلف من فراء القسطور Le castor وهو مشتق من كلمة قندز أو قندس وهو القسطور. والخلاصة إنني ترجمت النص الأول للنويري.

(٢) ورد في كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) للدكتور زيغريد هونكه: ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي أن كلمة Zamlett الألمانية هي زملوط العربية (قماش من وبر الجمل). وهي تقابل كلمة Camelot الفرنسية الواردة في تعليق دوزي والمقابلة لكلمة مموج. فهل المموج يا ترى هو (قماش من وبر الجمل؟) المترجم.

فرجية زرقاء مسنجبة مقندزة. وفي مسالك الأبصار لدى كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٢١٦) يجري الحديث كذلك عن الفرجيات المسنجبة المقندسة، التي يلبسها سواد الشعب في الهند.

ونقرأ لدى السيوطي (حسن المحاضرة، مخ١١٣، ورقة ٣٤٩، حوادث سنة ٨٢٧): «جدد للمشائخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجي سنجاب. وهو أول ما فعل بهم كذلك». وفي موضع آخر (لدى دي ساسي طرائف عربية، ج٢، ص٢٦٧): «وأما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط هابيخت، ج٢، ص٣٤)، من نص مذكور في معجم فريتاگ: «فقصد نحو تربة أبيه وشق بين المقابر وأرخى فرجيته وكانت فوقانية بحاجات معطية مقصبة منسوجة بطراز ذهب مكتوب عليها هذه الأبيات من الشعر». وفي طبعة مكناگتن (ج١، ص١٦١) نقرأ هنا ببساطة: «وأرخى ذيل فرجيته من فوق رأسه وكانت منسوجة بطراز ذهب مكتوباً عليها هذه الأبيات». وقد حملت صفتي منسوجة ومعطبة على الثوب نفسه وليس على الأزرار لأننا نقرأ بعد ذلك بقليل، في نفس القصة (ط مكناگتن، ج١، ص١٦٥): «الفرجية المنسوجة بالذهب». ويتحدث پوكوك (ص٣٢٧، ج١، وصف الشرق) عن هذا الثوب، ويكتب الكلمة Feridsji فريجية ويضيف أن هذا اللباس معمول، حسب الموسم، من الجوخ (الزملوط Camelot المموج، أو الحرير[1].

(١) لا أدري، هل ينبغي أن أترجم (مقصب) بـ: Broché أم بـ: Orné de pierrerics. ويظهر أن لين من الرأي الأول، ذلك لأننا حينما نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٥٦٧): بعد أن زوقوا حيطانها بالقماش المقصب، يترجمها هذا العالم (ألف ليلة وليلة، ج١، Stus interwoven with gold). وحين نقرأ في موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناگتن، ح٢، ص٢٢٢): أخذت الستر وطرزته بالحرير =

والظاهر أن الفرجيات المصنوعة في مصر قد اكتسبت شهرة طبقت

= الملون وزركشته بالقصب فإن لين يترجم ذلك بـ:

Ornamented it with the gold and silverthread.

أما أنا فأوثر أن أترجم (مقصب) بـ: (Orné de pierreries) فإن كلمة (قصب) تشير إلى الأحجار الكريمة، وفي بعض النصوص، مثلاً في هذا النص الذي نقرأه، نكون حيال تكرار للكلام بصورة محسوسة، إذا ترجمنا (مقصب) بـ: Broché d'or.

وإنني أعلم بأن هناك من يعترض عليَّ بأن كلمة زركش في نص ألف ليلة وليلة الأخير تعني brocher d'or ولكنني سأحمله على ملاحظة أن كلمة زركش في الكتاب الذي أذكره لا تعني أحياناً إلا Orner magnfiquement زين بصورة رائعة. فنحن نقرأ فيه (ح٢، ص٤٦): زركش الرفوف بالذهب والقطع المثمنة. (راجع حول كلمة رف وجمعها رفوف: فليشر (De glossis Habichtianis, pag. 91) وعلاوة على ذلك، فنحن نطالع في تاريخ مصر للنويري (مخ١٩ب، ص٢٥): «إن خلع طرد وحش خلع طرد وحش مقصب». وبعد ذلك (مخ١٩ب، ص٣٠): «خلع على الاثنين طرد وحش مقصب بذهب». ويدور الحديث في تاريخ مصر لابن إياس (مخ٣٦٧، ص٣٧٧) عن: «نحو من ثمانين شقة أطلس مقصب». وفي كتاب (ألف ليلة وليلة، ٧ مكناگتن، ح١، ص٢٠٨) تسأل امرأة: «هل عندك تفصيلة طرد وحش مقصب طرش». ولما كانت كلمة طرش لا تهبنا هنا أي معنى، فينبغي إحلال كلمة بطرز (احتمالاً) محلها. ولأنني أتيحت لي فرصة التحدث عن كلمة مقصب، سأتحدث أيضاً هنا عن كلمة قصبة، وجمعها قصبات.

نطالع في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٥٧٦): «وفي رقبته طوق من الذهب الأحمر وثلاث قصبات من الزبرجد». فيعترف لين (ألف ليلة وليلة، ح١، ص٦٠٧، الطبعة الانكليزية) بجهله معنى كلمة قصبات ومع ذلك يخمن إنها تعني: (خرزات أسطوانية الاستطالة): (Oblong cylindrical beads). وأعتقد أن هذا التخمين فاخر بالنسبة لهذا النص، ولكن الكلمة نفسها تعني قنزعة، على الهيئة التي ذكرها لين، لأنني أقرأ في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١١٦): (شاش تساعي معقمر؟) بقصبات زركش (شاش مبروم تسع مرات حول الرأس..».

ويقول برين (رحلات، ص٢١٨ إلخ..) في حديثه عن عمامة عرب القاهرة: «خمار =

الآفاق، فلقد كانت تحمل إلى الأقطار النائية. ويقول ابن بطوطة (الرحلة،

= من الحرير الأسود، المنسوج مخططاً بالذهب، المزركش معظمة بقنازع من نفس الحرير». (انظر الصورة المرقمة ٩٠).

إن كلمة تربة مفسرة في القاموس بالكلمتين اللاتينيتين: ضريح، مقام، Tumulus, sepulchrum وهذا التفسير يعوزه بعض الدقة. فإن كلمة تربة تشير في مصر وفي بلاد البربر إلى:

١ - نوع ضريح كبير، أو بالأحرى إلى هيكل مشيد على جدث، أو معبد أو قبة، فنحن نقرأ في تقرير توشر دي نورنبرك (وصف الرحلات، ص٣٦٨): «وبعد أن اكتفينا بما رأينا، توجهنا إلى مسجد صغير Muschkea غاية في الروعة، وهي تسمى كذلك تربة Turby: إذ هكذا يسمى ضريح أمير دوادار Amirey Dyoderij. ولكن هذا الدوادار هو الذي أمر ببناء هذا المسجد الصغير البالغ الفخامة والبهاء الذي يمكن أن يكتب فوقه كتابات كثيرة». ونقرأ في تقرير هيلفريش (تقرير مختصر واقعي عن رحلات ص٣٩٠): «ينبغي أن نعلم أن السادة الكبار يبنون لأنفسهم خارج المدينة دوراً كبيرة أو كنائس، في الأماكن التي يشاؤون أن يدفنوا فيها بعد مهلكهم، ويوقفون على هذه المشيدات بعض الدخول (الأوقاف Gewizs eynkommen) تكون وسيلة تعيش لجمهرة من الفقراء. وهم يسمون هذه الأنواع من الأضرحة ترباً «Turbe» ونقع على كلمة تربة بهذا المعنى كثيراً لدى المؤلفين العرب في مصر. ففي الكتاب المعنون (حكاية إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب ص٣٧) مسخت كلمة تربة إلى تربر Turbar. ويقول مؤلف هذا الكتاب إنها بناية تشبه المسجد، وهي تضم قبور أعضاء الأسرة الملكية. وسأجعلكم تلاحظون، بصورة عابرة أن الحرف النهائي (h) في هذا التقرير الانكليزي وهو يقابل الحرف (ة) في نهاية الكلمات العربية، قد حُرِّف إلى (r) بصورة متصلة على وجه التقريب، وهكذا بدلاً من Skieh (سقيفة) فإننا نقرأ فيه (Skier) سقيفر، وبدلاً من Nubah (نوبه) Nubar نوبر، وبدلاً من Teskerah (تذكرة) تذكرر Teskerar (ص٤٢)، وبدلاً من Aisheh (عائشة)، Aisher، عايشر (ص٦٩).

وهذه الترب يستفاد منها كخانات وبنادق، لأننا نقرأ في موضع آخر من كتاب هيلفريش (ص٣٨٦): «هذه الدار اسمها لدى المغاربة ( )، وحولها بيوت عديدة =

مخ دي گايانگوس، ص٢٤٦) في معرض كلامه عن وزير الجزائر الملديفية: «وعليه فرجية مصرية عن المرعز»[1].

ويعرب دييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ص٢، مج٣) عن أفكاره في معرض وصف أزياء أتراك مدينة الجزائر على هذه الشاكلة: «إنهم على العموم يلبسون بدل الأزرار رداء آخر من الجوخ الملون، وهو أرجواني اللون عادة (اشكرلاط، اسقلاط، (écarlate)) أو من جوخ لندن، Drap المعمول على طراز مدينة البندقية، الذي ينزل حتى القدمين. وهو واسع فضفاض مفتوح من الأمام. وهذا اللباس لا ياقة له، ويسمى الفرجية Ferja له كُمان واسعان أكثر من سعة كمي اليلك والخفتان Cafetan وJalaco tajetan ذلك لأنهما يغطيان الذراعين، ويلبس أصحاب السمت والوقار وحسن الصيت، هذا الرداء فوق الخفتان، في كل المواسم، أما الآخرون جميعاً فيرتدونه إذا عضهم البرد بنابه، ذلك لأن هؤلاء يطرحونه بصورة عامة على الكتف اليسرى مطوياً أربع طيات، إذا كلكل عليهم الحر أو اعتدل مزاج الهواء، والرحالون (مثلنا في بلادنا)

= يقطنها المغاربة والتجار وبجوارها كذلك بيوت تجارية (Kauhâuser) حيث يقيم التجار الأجانب الوافدون مع القوافل، وهي تحمل اسم تربة. وقد أشاد قواعدها كبراء القوم الذين بنوها ليذكرهم الناس بعد هلاكهم. وفي هذه البنايات يحصل كثير من الفقراء على قوتهم».

٢ – تشير هذه الكلمة إلى مقبرة. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٧٥): «جاء إلى قبر في وسط التربة». وفي رحلة نيبور (رحلة إلى البلاد العربية، ح١، ص٢٠٦) نرى تفسير كلمتي «تربة اليهود»: «قبور اليهود».

(١) توجد كلمة مرعز أيضاً في كتاب ابن بطوطة، مشيرة إلى نوع من النسيج (ص١٢٩، ١٤٠، ٢١٣) ويبدو أنه نسيج من الصوف، لأننا نقرأ في موضع آخر، لدى المؤلف نفسه (ص٩٩) في مقالة عن بلدة ماردين: «وبها تصنع الثياب المنسوب إليها، من الصوف المعروف بالمرعز».

يلبسونه مع المعاطف، وعلى هذه الشاكلة يدرج هؤلاء الناس في المدينة».

ويتحدث داپر كذلك في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مجـ١، ص٢٤٠) عن فرجية Ferezsya أحد سفراء ملك مراكش، الذين قدموا إلى امستردام عام ١٦٥٩، ولكن يذهب هذا المؤلف إلى أن هذه الفرجية كساء كُماه قصيران. والفراجة في القسطنطينية (ذلك لأنها تكتب على هذه الصورة: فراجة) لا تختلف عن الفرجية المصرية. وبوسعكم رؤية وصفها لدى پيترو دلاڤاله في كتابه (الرحلة، ج١، ص١٩٠)، وفي كتاب تيڤنو (رحلة إلى المشرق، ص٥٦) وفي رحلة كورني دي بروي (ص١٣١، الخ). ولكن هذا الرداء يرتدي كذلك في هذه المدينة من قبل النساء لدى بروزهن من دورهن (تيڤنو، ص١٠٦ ودي برين، ص١٣٢). وهذه الحالة غير موجودة، لا في مصر ولا في المغرب.

وقد تسللت كلمة فراجة التركية إلى اللغة اليونانية الحديثة: ڤيرتسيس ويخيل إليَّ أن الكلمة الإيطالية Ferraiuolo ليست إلا التصغير الإيطالي للكلمة فراجه، وإن الكلمة الأسبانية Herreruelo مشتقة من هذه الكلمة الإيطالية.

الفَرْمَلَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر النقيب ليون في (أسفار في الشمال الأفريقي، ص٦) إن كلمة فرملة - وهو يكتبها Farmela تشير في طرابلس الغرب إلى: «صديري له شرائط واسعة من الذهب، وهو مفتوح من الجهة الأمامية ومزود بالأزرار، ولكنه محروم من العرى». وهذا الصدار يلبس فوق سترة أخرى تسمى الصدرية. (راجع كلمة صديرية).

الفَروديّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٥٨، ٥٩) يعرف الفرودية، وهو يصف زي سيدات القاهرة بأنها: «تنحصر بطاقية أو طربوش أو طرحة مربعة تسمى فرودية معمولة من الشاش الموصلي المطبوع أو المنقوش أو من الكريشة. وهي تشد شداً وثيقاً حول الرأس، ومجموع هذه العمرة يدعى ربطة[1] وكان اثنان أو أكثر من هذه المناديل شائع الاستعمال بصورة عامة، منذ عهد ليس ببعيد وذلك لتكوين عمامة سيدة، وما تبرح هذه الزينة الراسية تستعمل في بعض الأحايين لهذا الغرض، ولكن في هذه الحالة تكون هذه المناديل مسواة بشكل يؤلف منه إكليل للرأس عال مسطح بحيث إنه يختلف كثيراً عن عمامة الرجال.

الفروق

لا بد أن تشير هذه الكلمة - التي عبثا انقب عنها في جميع المعاجم العربية والفارسية - إلى نوع عمرة رأس، ذلك لأن ابن بطوطة (الرحلة مخ دي گايانگوس، ص١٩١) يقول، في وصف مدينة Dehli: «ويمشي بين يديه أيضاً النقباء وهم ثلثمائة وعلى رأس كل واحد منهم فروق ذهب وعلى

(١) لا وجود لكلمة ربطة في القاموس. ويقول الكونت دي شابرول كذلك (وصف مصر، ح٨، ص١١٣) إن الربطة تشير إلى جماع عمرة الرأس. وكلمة ربطة تشير أيضاً إلى حزمة وطرد. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح٣، ص١٧٧): فأمر التاجر العبد أن يأتيه بربطة الحرير من صدر الدكان. فأتاه بها وأخرج منها عدة قناعات.

وسطه منطقة ذهب». والآن يتحتم علينا أن نعلم ما إذا كانت هذه الكلمة مغربية أم فارسية، ومعنى ذلك ما إذا كان ابن بطوطة يود الإشارة إلى أن هؤلاء الناس كانوا يلبسون عمرة أم طاقية، واسم ذلك في المغرب فروق. أم أن أهل Dehli يسمون هذا الشيء بهذا الاسم. وبما إنني لم أصادف كلمة فروق في مكان آخر، فليس بمقدوري أن أجزم برأي حول هذا الموضوع.

القَس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ونحن نعلم أن الأتراك في القسطنطينية يسمون الطاقية التي يلبسونها تحت العمامة (فس)، وهذه العرقية تستعير اسمها من مدينة فاس Fez، وبوسعنا مقارنة الوصف المفصل الذي دبجه فيسكيه في كتابه (رحلة في الشرق، ص١٨٣ - باللوحة) - وإذا آمنا بما يقوله نيبور في كتابه: (رحلة إلى بلاد العرب، ص٥٩) فإن الفس يحمل نفس الاسم في بلاد العرب. (ويكتب الرحالة هذه الكلمة: Fâs) ولكن نيبور يعلمنا أن العرب يلبسون عشرة أو خمسة عشر من هذه الفيوس (الطاقيات) مرة واحدة، بعضها مصنوع من نسيج الكتان، وبعضها مشغول من الجوخ الكثاف الموشى بالقطن، والتحتاني منها مطرز بالذهب أحياناً. (ولم أجد هذه الخاصية في مكان آخر). **ومعظم هذه الفيوس مكتوب عليه هذه الجملة: لا إله إلا الله محمد رسول الله**. أو آية من آيات القرآن الكريم. ويؤكد العقيد سكوت في كتابه (يوميات إقامة في مخيم الأمير عبد القادر الجزائري المسمى «اسم لله» ص٥، ٦) إن الطاقية أو العرقية الحمراء المسماة بالفيس Fez تلبسها عساكر امبراطورية مراكش عن بكرة أبيها.

الفشطان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص٥٩) - في معرض حديثه عن شيخ مكة: «وكنت أراه حين ذلك لابساً جبة بيضاء قصيرة من ثياب القطن المدعوة بالفشطان. كان يلبسها في بعض الأوقات». فهل يا ترى يمكن أن تكون كلمة فشطان هي الكلمة التركية فستان؟ إنني لا أجرؤ على الجزم، ذلك لأن هذا الثوب لا يلبسه إلا النساء (راجع معجم منينسكي Meninski ووصف مصر، ج١٨، ص١١٢) ومن جهة أخرى أرى من باب العجائب الوقوع على كلمات تركية تستعمل في مكة في القرن الرابع عشر الميلادي، أي على وجه التقريب قبل غزو العثمانيين لهذا القطر بقرنين.

الفَشْطول

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وكانت عمرة رأس تحمل هذا الاسم في أسبانيا، ذلك لأن پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية)، بعد أن فسر كلمات: (Velo o toca de muger) بـ(عمرونة) قال: «Velo assi وهي فشطول وجمعها فشاطل».

الفِنْجان

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بوصفها تشير إلى شبه عمرة: عصابة Coiffure. ويقول كوپان في كتابه (درع أوروبا، ص٢٢٠) وهو يصف زي سيدات القاهرة: «يعتمر رأس المرأة في القاهرة بقبعة من الكارتون يبلغ

ارتفاعها قدماً واحدة وهي مطلية بطلاء ذهبي أو مرسومة حسب طبقة الأشخاص، وتكون أحياناً مغطاة بأوراق من الفضة، ويخرج من ارتفاع الرأس تحت القبعة جزء من منديل ينساب حتى الجبهة مخفياً كل شعرها الأمامي، (انظر أيضاً المرجع السابق، ص٢٤٨).

وإنني اعترف بعدم وقوعي في موضع آخر على كلمة فنجان، لا عند مؤلف عربي ولا لدى رحالة أوروبي. ومع ذلك فإن كوپان هو جوّابة دقيق الأحكام جدير بكل ثقة واحترام. وهو بالرغم من ضآلة شهرته محل للركون إليه أكثر مما يستحق الأفاقون المحدثون الذين يتمتعون بشهرة واسعة. وفضلاً عن ذلك فليس مما لا يحتمل وقوعه أن تخلع كلمة فنجان على نوع من أنواع الطاقيات. والفنجان هو كأس القهوة (لاحظ صورة الفنجان لدى لين) (المصريون المحدثون، ج١، ص٢٠٥) الذي لو قلبناه رأساً على عقب لشابه بعض المشابهة من ناحية الشكل القبعة Couvrechef التي يصفها كوپان. وإن ما أعرضه هنا مؤيد، كما يخيل إليَّ، بالنص التالي لدارڤيو d,Arvieux في كتابه (رحلة من فلسطين صوب الأمير الأعظم – ص٢١١): (Voyage dans la Palestine vers le Grand Emir, pag. 211 «إن زينة رؤوس نساء البدو هي طاقية من الذهب أو من الفضة – مشكلة على هيئة قصعة صغيرة écuelle أو قدح – gobelet».

لا أقول أن دارڤيو يتحدث عن الفنجان، إذ من المحتمل كثيراً أنه يتكلم عن العرقية ليس غيرها. ولكن حين يقارن رحالة أوروبي نوعاً من العمرة Coiffure بقدح Gobelet أفلا يحتمل كل الاحتمال أن يكون العرب قد طبقوا اسم كأس على عمرة مماثلة؟.

الفُوطة ومصغرها الفُوَيطة[1]

كان سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ج١، ص١٩٥) قد تحدث بكثير من الإسهاب عن الفوطة، وكذلك فعل فريتاگ.

---

(١) إنني أثبت هنا مختلف المدلولات التي وجدت أن كلمة فوطة تدل عليها. وهي لا وجود لها في القاموس، وكذلك مختلف أنواع الألبسة التي تشير إليها هذه الكلمة، الموجودة في النص. فكلمة فوطة تشير ١ - إلى منشفة. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٩١) في معرض حديثه عن ملك Dehli «فإن كان عيد الأضحى أتي السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة بكسر النون وفتح الزاي بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقياً من الدم. وفي موضع آخر (مخ، ص١٤٦) يقول الرحالة نفسه، متحدثاً عن بلغار القولغا: «ويأتي الباروجي وهو مقطع اللحم وعليه ثياب حرير قد ربط عليها فوطة حرير». ونقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٥٧٨): «سفرة مغطاة بفوطة من الحرير».
وكان العبيد يرتدون عادة فوطة، على أوساطهم، حين يتناول السيد طعامه. (راجع ألف ليلة وليلة، ط هابيخت، ح٣، ص٣٠٠). وفي أيامنا هذه يستعمل كل واحد فوطة أو منشفة (Napkin) أثناء تناوله الطعام. راجع لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٢١٢). وفي مصر يستعملون اليوم هذا المثل: «فوطة بحواشي وما تحته شيء» الذي يترجمه برگهارت (الأمثال العربية، رقم ٤٨٢) على هذه الشاكلة: «منشفة لها حواش جميلة ولا شيء تحتها». ويضيف برگهارت: «هذا المثل يعني: كثرة صخب وقلة عمل، اسمع جعجعة ولا أرى طحيناً (Puwithout reality) ويضع المهدون هداياهم التي يقدمونها إلى علية القوم فوق لوحة أو طبق ويغطونها بفوطة أو منديل، مطرز أجمل تطريز».
وتشير كلمة فوطة ٢ - إلى شرشف، شف. فنحن نقرأ في الرحلة إلى فلسطين صوب الأمير الأعظم (ص١٨) لمؤلفها دارڤيو: «وهناك شرشف عظيم من التيل والكتان المرقط بأزرق والأبيض يسمونه فوطة، وهو يستعمل كشرشف تحتاني».
ونقرأ كذلك في تاريخ أبي الحسن الماجن، الموجود في طبعة هابيخت لكتاب ألف ليلة وليلة (ح٤، ص١٧١) إن هذا الرجل تظاهر بالموت فأمر زوجته أن تغطيه =

وكلمة فوطة، الهندية الأصل، كانت تستعمل على رأي الشراح والمعجميين العرب، للإشارة مبدئياً إلى نوع من البز مجلوب من الهند. ولكن بعد ذلك طبقت الكلمة على أنواع مختلفة من الملابس كانت بلا ريب مصنوعة في الأصل من هذا البز. فهي تشير إذن إلى:

١ - نوع من السراويل، أو بالأحرى إلى شقة من البز بحيث أن الأعراب الذين يلبسون السراويل المعهودة يستعملونها لستر عوراتهم وأفخاذهم، ومعنى ذلك مئزر un pagne. فنحن نقرأ في نص من (مقامات الحريري، ص٢٥٤)، وقد سلف لساسي إن ذكره: «واستثفر بفويطة» ومعنى ذلك على رأي الشارح، لبس فويطة أو فوطة صغيرة لف بها وركيه، وشد طرفها في وسطه، بجعلها تمر بين وركيه. يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٠٦) في معرض كلامه عن سكان (مقدشوا) Magadoxo «وكسوتهم فوطة خز يشدها الإنسان في وسطه عوض السراويل فإنهم لا يعرفونه».

ويقول المؤلف نفسه في موضع آخر، متحدثاً عن ملك (هنور) Hinaur في الهند: «ويشد في وسطه فوطة. ويقرر شو في كتابه (رحلات إلى بلاد البربر والشرق، ص٣٢٤، ج١) وقد ذكره دي ساسي، إن النساء في بلاد البربر يخلعن سراويلهن، حين يكن في بيوتهن، ويشددن حول أفخاذهن شقة من البز، تحمل في بلاد البربر وفي المشرق اسم فوطة.

= بالفوطة الحريرية (فانشري على فوطة حرير).

إذن فقد كان القدماء يغطون موتاهم بالفوطة، أي على ما أرى بشرشف. ونستخلص من تعليقة لين (ح٢، ص٣٧٨، ١٧) حول هذا النص إن هذه العادة لم تعد سائدة هذا اليوم. ومن كلمة فوطة استنبط فعل فوّط. فنحن واجدون في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح٢، ص٤٦): «فوّطه في وسطه بفوطة من الحرير مزركشة بالذهب».

وكانت تصنع هذه الفوط من مختلف أنواع البز، ذلك لأنني اقرأ في كتاب ابن بطوطة (مخ، ص٢٥٩) حول سومطرة: «وأخرج من البقشة ثلاث فوط أحداها من خالص الحرير والأخرى حرير وقطن والأخرى حرير وكتان فلبست فوطة منها عوض السراويل على عادتهم». وفي الكتاب المعنون عيني اكبري (عيون الأخبار؟) (مخطوطة فارسية ١٣٩٨ إن البز المسمى فوطة يعتبر من الزركش Les brocarts. والظاهر إن الفوطة اليمانية كانت مشهورة. فعلى الأقل نحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣٦٠): «قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها». ويبدو أن هذا الكساء كثير الاستعمال في بلاد العرب الأصلية، إذ طالما تحدث عنه الرحالون، ولا أتردد في الاعتقاد بأن نيبور في كتابه (وصف الجزيرة العربية،ص٦٠) يعني، بكل ما يستطيع أن يعني، الفوطة حين يذكر (شقه البز المشدودة حول الفخذين، المتدلية حتى الركبتين، التي يرتديها العرب على العموم». وهي الفوطة أيضاً التي يتحدث عنها برگهارت (أسفار في بلاد العرب، ج١، ص٣٣٦)، حين يقول: «لا يلبس الرجال من سواد الشعب عادة في الصيف إلا قميصاً، وحول الفخذين شقة من المشوش الأصفر المشغول في الهند، أو من الكتان الأرقط المخطط المصري، بدلاً من السراويل».

ويبدون أن كلمة فوطة تستعمل أيضاً للإشارة إلى ٢ - نوع من العمامة، إلى شقة بز تلف الرأس لفاً. ولا أتذكر إنني وقعت على هذه الكلمة بهذا المعنى إلا عند المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ج١، ص٦٥ من النص) الذي يخبرنا أن الحاكم بأمر الله كان يلبس أثناء جولاته على جواده، نعلين في قدميه (وفوطة على رأسه).

وتشير كلمة فوطة إلى ٣ - شقة بز توضع على الظهر للتوقي من

الشمس. يقول ابن بطوطة (مخ، ص١٠٩) في معرض حديثه عن مدينة ظفار (وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي، ص١٠٨): «ولباسهم القطن وهو يجلب إليهم من بلاد الهند ويشدون الفوط في أوساطهم عوض السراويل وأكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر».

وختاماً فإن كلمة فوطة تشير إلى - المئزر الذي يشد حول الوسط لدى الدخول إلى الحمام. ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ، ص٩٢) واصفاً حمامات بغداد الفخمة: «وكل داخل يعطي ثلاثاً من الفوطة، إحداها يتزر بها عند دخوله، والأخرى يتزر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده. ويسمى دلا موتري De La Motraye في كتابه (الأسفار، ج١، ص٧) هذا المئزر (أو الميدعة Tablier) (باسمها التركي Esthimale أي: البشتمال)، ويقول إنه معمول من تيل القطن الأزرق أو الأسمر.

الفَوْقانيّة

نستخلص بالبديهة من أحد نصوص تاريخ مصر للنويري نشرناه حول كلمة «بقيار»، ومن نص آخر نحن على وشك إيراده حول كلمة «قبع»، أن الفوقانية في العهود القديمة لم يكن يلبسها إلا القضاة. ولكن بعد الغزو العثماني لمصر لم تبق الحالة بهذا الخصوص على ما كانت عليه. وأعتقد أن كلمة فوقانية تشير إلى شبه «فرجية»، ذلك لأننا بدل الكلمات التي نقرأها في طبعة هابيخت لكتاب ألف ليلة وليلة (ج٢، ص٧١)، وهو النص الذي أورده فريتاگ قائلاً: «وهذا شاشه على الكرسي[1]

---

(١) إن كلمة كرسي كثيرة الوقوع، بهذا المعنى في كتاب ألف ليلة وليلة. وهي تشير هناك إلى مقعد يستعمل بخاصة لوضع العمامة عليه. أثناء الليل. وهذا الأثاث يسمى =

ونمشته[1] وفوقانيته»، نرى طبعة مكناگتن (ج١، ١٧٨) تقول: «وأخذ الشاش والطربوش وأخذ الفرجية». وعلاوة على ذلك، فإننا نطالع في موضع آخر من الكتاب نفسه (ط هابيخت، ج١، ص٣٤)، «وأرخى فرجيته وكانت فوقانية». ولكن إذا كان هناك فرق بين الفرجية والفوقانية، وهذا ما لا يبدو لي متعذر الاحتمال، فأرى من المحتم عليَّ أن أعترف بجهلي بماهية هذا الاختلاف. ولكن استناداً إلى نص النويري الذي ستقرأونه حول كلمة «قبع»، أرى وجهاً للاحتمال بأن الفوقانية هي الجبة. وأياً كانت الحقيقة، فإن الجبة لا تختلف كثيراً، من ناحية الشكل، عن الفرجية.

القُبَع وجمعه الأقباع

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في قائمة الكلمات العربية التي أوردها بريتنباك، في كتابه (وصف رحلة وحج، ص١١٥) وهو الرحالة الذي زار الشرق سنة ١٤٨٣، فسرت كلمة كوبيث Cobeth بكلمة كاپ Cappe (كلوتة، طاقية، عرقية). والواقع أن الكلوتة هي التي تدعى اليوم في مصر طاقية أو عرقية، وهي التي توضع تحت الطاقية المسماة بالطربوش، الذي يحاط بعد ذلك بقطعة من البز، لتأليف العمامة التامة على هذه الشاكلة. وإذا وجدنا في طبعة مكناگتن لألف ليلة وليلة (ج١، ص١٧٢) هذه الجملة:

= كذلك «كرسي العمامة». ويصفه لين مفصلاً في إحدى تعليقاته الجميلة حول ترجمته الانكليزية لكتاب ألف ليلة وليلة (ج١، ص٣٢٥)، وهو يتحدث عن كرسي العمامة كذلك في كتابه (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٧).

(١) راجع حول كلمة نمشة كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٧٣.

«فنظروا شاباً مليحاً بقميص وطاقية كشف من غير لباس» فإن طبعة هابيخت (ج٢، ص٦٣) تورد في هذا الموضع: «وهو شاب مليح مخفف اللباس بقبع كشف وقميص بلا سراويل»[١]. ونقرأ في موضع آخر من نفس الكتاب (ط هـ، ج٢، ص٢٩): «خيطها حرزاً في قبعة، تحت شاشيته». ومعنى ذلك خيطها في القبع الموجود تحت طاقيته أو قبعة. وبعد ذلك (ط هـ، ج٢، ص٦٠): «بقي بقميص وقبع».. وبعد ذلك بقليل، في نفس القصة (ط هـ، ج٢، ص٦٢): «وهو على حالته بقبع خطاي أزرق وقميص إلخ».. وكلمات: «قبع خطاي أزرق» تعني ولا ريب قبعاً أزرق مصنوعاً من بز خطاي، ومعنى ذلك من حرير الصين، لأننا نقرأ كذلك لدى ميرخوند»: تاريخ السلاجقة، ص١١، Morkhond (Historia seldschukidarum): «وإن نفائس مملكة خطاي جامهاي گرانمايه به او بخشيده». «أهداه ثياباً ثمينة، منتقاة من أفخر ملابس مملكة خطاي»: أي مملكة الصين. والنص التالي موجود في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ورقة ١٠٣): «عرضت عليه الوزارة في الدولة المنصورية فأباها وتنصل منها كل التنصل. وبالغ في ردها كل المبالغة. وانتهى حاله في الفصل. إلى أن حضر الدركاه[٢] بباب القلعة وفل طيلسانه وقلع عمامته وفوقانيته. وبقي بقبع ودلق. وهو قائم. فقام الأمراء لقيامه وصاروا حوله حلقة. وهم لا يعرفون موجب فعله لذلك. ثم جاء نائب السلطنة الأمير حسام الدين طرنطاني وهو على هذه الصورة. فتألم. وسأله عن خبره، فقال له: «أنا إنما وصلت من بلدي بمثل هذا الملبوس عليَّ. وأنا اكتسبت بصحبتكم وخدمة السلطان زيادة على ما جئت به وهو هذا

(١) لا معنى لكلمة فل هنا وأعتقد «إن الجملة تكون صحيحة لو قلنا»: وقلع طيلسانه وعمامته وفوقانيته. ولعل كلمة فل هي فل.

(٢) الدركاه بباب القلعة: أو صحن للدار.

الطيلسان وهذه الجبة والعمامة. فإن ضمنت لي على السلطان إعفائي من هذا الأمر الذي طلبني بسببه وإبقائي على ما أنا عليه وإلا فلا أرجع إلى لباسي هذا أبداً وأرجع إلى بلدي بهذه الحالة». فبكى الأمراء وعظموه وألبسه نائب السلطنة قماشة وضمن له صرف الوزارة عنه[١].

وإن جمع كلمة قبع، وهو إقباع، يوجد في مسالك الأبصار (راجع كاترمير، تعليقات ومقتبسات، ج٨، ص٢١٥) وفي (وصف مصر للمقريزي، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٤). وفي موضع آخر (ج٢، مخ، ص٣٦١) يتحدث المقريزي عن سوق الإقباعيين، ولكن في هذه البقعة لا يجود بأي تفصيل عن اللباس الذي فرغنا من الكلام عنه[٢].

القَبْقاب، القُبقاب

القَبقاب أو كما يلفظ عامة في مصر هذا اليوم القُبقاب، هو على رأي لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٦١، ٦٢) السنبك sabot أو المزلج patin الذي يعلو عادة عن الأرض أربع أو ثلاث عقد، وهو مزركش في الأغلب الأعم ومرصع بأصداف اللؤلؤ أو الفضة، إلخ.

---

(١) تشير كلمة قبع في المغرب إلى قبعة البرنس أو القبلار - كما يؤكد ذلك صراحة دابر (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا الشمالية، ص٢٤، مجـ٢)، فهو يكتبها برسم (كوب) Kob. أما دييگو دي توريس فيرسمها في كتابه (قصة الشرفاء، ص٨٦) بشكل (كابان) Caban وأما عن كلمة قبعاً الكلدانية فلم أستطع تقبلها في النص، لأنني حتى الآن لم أعثر عليها لدى أي مؤلف عربي، وارتاب كل الارتياب في لباس العرب حقيقة لهذه العمرة. والكلمة الكلدانية تشير إلى ما يشبه العمامة (راجع قاموس بكستورف Buxtorf). أما القاموس (المحيط) فيفسر القبعة بالبرنس.

(٢) ظهر لدى التحقيق إن الكلمة بالسريانية (قبعو) وبالكلدانية (قبعاً) وبالعبرية (قوبع) - (المترجم).

ويستعمله الرجال والنساء، دائماً وعلى حد سواء، داخل الحمامات، ولكن النساء لا يلبسنه في بيوتهن إلا نادراً. وبعضهن لا يلبسنه إلا لتفادي تجرير ذلاذل أثوابهن على الأرض، وبعضهن يستعملنه لإطالة قاماتهن: أي لإظهار أنهن طويلات القامات. ويقول برگهارت (الأمثال العربية، ر١٤٣) راوياً هذا المثل: بدال مشيك بقبقابك شيلي شراميطك من أكعابك (بدلاً من المشي على القبقاب ارفعي اسمالك عن كعبيك) وتعني الشرموطة في مصر العاهرة.. والقباقيب هي عكاكيز échasses أو بوابيج من الخشب mules de bois ولها من الارتفاع أربع أو خمس عقد، فوقها تدب النساء في الحمامات وتدرج عليها نساء طبقة النبلاء في بيوتهن. ونساء الطبقات الراقية يزركشن قباقيبهن بمختلف القنازع الفضية ويطرزنها ويرصعنها بأصداف اللآلىء».

وبوسعكم رؤية كل هذا النوع الغريب من الأحذية في كتاب «بلون، ملاحظات، ص٢٣٤ (Belon, observations) حيث إحدى النساء تلبس مزلجين يعلوان عن الأرض كثيراً». ويقول كوپان في كتابه، درع أوروبا، ص٢٢٠، في معرض حديثه عن نساء القاهرة: «لهن مزالج تعلو ست أو سبع عقد عن سطح الأرض، ولا يجود صنعها إلا في إيطاليا».

ونجد القباقيب كذلك في سورية. فإن راوولف في كتابه (وصف حقيقي لرحلة، ص٥٠) يعبر عن ذلك بهذه الكلمات: «في البيوت والدروب يلبسون كذلك غالباً أحذية من الخشب (holzschüch) وهي تعلو عن الأرض أكثر من خمسة عشر سنتيمتراً، وهي مقورة تقويراً عميقاً من الباطن، في الوسط، بين القطعتين الخشبيتين اللتين تمسان الأرض، وهي مطلية طلاء جميلاً بعدة ألوان. وتلبسها النساء كذلك».

ونرى من (كتاب كورني دي برين، الرحلات، ص٣٦٢)

Corneille de Bruyn, Reizen إن هذا الحذاء كانت تلبسه كذلك سيدات حلب. ويعطينا هذا الرحالة شكله (ص١٨٩). وما يزال مستعملاً في هذه البلدة حتى أيامنا هذه، لأن ريشتر في كتابه، رحلة إلى الشرق الأوسط، ص٢٦٣ يقول: «النساء في بيوتهن يدرجن فوق المزالج الأنيقة المرصعة بأصداف اللآلىء» (Stelzschuhen) والقباقيب شائعة الاستعمال أيضاً في بلاد العرب. فالأعراب يلبسونها غالباً في منازلهم، كما ذكر ذلك نيبور في كتابه، وصف الجزيرة العربية، ص٦٠ ويعطينا شكلها (اللوحة ٢، أ.ب.س. (A.B.C.)).

ولما كان لهذا النوع من الحذاء ارتفاع يبلغ عدة عقد، فلن يظهر بمظهر الغرابة أن للور Le Lors، بشهادة مؤلف مسالك الأبصار (ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٣٣١) كان يمشي على الحبل وهو لابس القبقاب، فيشده المتفرجين، ذلك لأن فن الرقص على الحبال في مصر وسورية لم يكن قد وصل بعد إلى هذه الدرجة من الكمال العجيب التي بلغها في بلادنا.

ولم أقع على هذا الحذاء لا في المغرب ولا في الأقطار الشرقية. ومع ذلك فيبدو أنه كان شائع الاستعمال في أسبانيا، ذلك لأن بيدرو دي الكالا يترجم كلمات çanco de palo بكلمة قبقاب.

القَبيلة - القَبَلاّر - القَبِلاّر - القَبَنّور

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في اللغة الأسبانية تعني كلمة Capilla القبع، Capuchon. وقد تسللت إلى لغة عرب أسبانية، ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم Capilla de capa بـ قبيلة - وجمعها قبابل. أي قبع المعطف.

ومن Capilla تألفت Capellar أو Capillar - معطف له قبع. ويفسر كوباروفياس (كنز اللغة القشتالية - مدريد - ١٦١١): Capellar بأنه:

(La cubierta a la Morisca, que sacan en los juegos de canas por librea, de marlota y capzllar).

ويبدو أن مغاربة أسپانيا كانوا يلبسون ألـ capellar فوق المرلوطة marlota وإن المؤلفين الأسبان يتحدثون كثيراً عن الـ Marlota y capellar التي كان يلبسها الفرسان العرب. (راجع أغاني الموريسكيين الشعبية، ص٦٠، ١٣٠ - ١٣١، ١٤٧ - وانظر حروب غرناطة الأهلية، ص١٦٢، ١٧٥، ٢٠٠، ٢٣٧). وإذا آمنا بما يقوله شارح قديم للحروب الأهلية (ص١٠٩) فإن كلمة Capellar تشير إلى برنس صغير على الطريقة التركية يشد تحت الذراع اليمنى. وفي كتاب (كنز اللغات الثلاثة) لفيكتور (جنيف ١٦٠٩) كما في (كنز سيزار أودان) (بروكسل ١٦٢٥) نجد كلمة capellar مترجمة بكلمتي: معطف الجندرمة Manteau de gendarme.

وعلى الرغم من ذلك يظهر أن كلمة قبلار كانت تعني في لغة التخاطب العربية في أسپانيا القبع Capuchon وليس المعطف أو الإزار، ذلك لأن پيدرو دي الكالا يترجم capirote vestidura (capuchon) بكلمة قبلار وجمعها قبلارات، ويظهر أن قبيلة كانت شائعة الاستعمال بمعنى المعطف القبعي manteau à capuchon، لأن المؤلف المذكور يترجم cugulla con capilla بقبيلة، وجمعها قبابل.

والأمر في المغرب معكوس. فقبلار كانت تستعمل للدلالة على المعطف المقبع manteau à capuchon إذ يقول دييگو دي توريس في كتابه (قصة الشرفاء، ص٨٦) عن سكان مراكش: «إن ملابس الرؤوساء مشغولة من الحرير، وهم يسمونها capellares - وهي شبه معاطف

طويلة، ولها إقباع capussons أو cabans (راجع كلمة قبع) من الحرير أو الصوف». ويقول مارمول (وصف أفريقيا، ج٢، ص١٠٢، مجـ٢): «إن العمال والرجال من سواد الشعب الآخرين، ولا سيما العساكر المشاة ورماة البنادق والقواسين الخيالة، يرتدون معاطف يسمونها capellares، مصنوعة من الجوخ الأزرق أو من لون آخر فوق اللباس المحتمل أن يكون القفطان». وتقرأ في بحث دابر (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا - ٢٤٠ - مجـ٢) عن أزياء السفراء المراكشيين الذين وصلوا إلى امستردام عام ١٦٥٩: «إن السفير محمد كان يرتدي كرگا قريب الشبه بـ Chanijf (خنيف) السفير إبراهيم الدوك - ولكن كان له من الخلف قبع له قنزعة[1] كما يمكن رؤية ذلك في الشكل المرفق. واسم هذا اللباس Bornouz (برنوس) أو Bornos (برنس) ولكنه كان مقفلاً من الخلف تماماً. ويصنع عادة من شعر الماعز - المرعز - مثلاً - أو من صوف نعجة سوداء - واسمه بالعربية Kalmoouz أو Sjaraba ويسمى الكپوشون Kob- Le capuchon (القبع) ولكن قلما يستعملونه لتغطية رؤوسهم».

ولم أعثر على كلمة Kabbenur قبنور في موضع آخر - وأعتقد أن كلمة Kabba هي الكلمة الأسپانية Capa - ولكنني لا أستطيع تقديم أي تخمين حول المقطع الأخير nur.

القَباء

لو آمنا بما يقوله فريتاگ Freytag لقرأنا لدى الجوهري:

«Tunica virilis exterior. persica: Quae sub axillis per obliquum duplicatur».

---

(١) القنزعة Houppe- Flocon تسمى كذلك شرابة.

وترجمة هذه العبارة: «لباس خارجي للرجال، فارسي الأصل، يطوي تحت الإبط بصورة منحرفة». ولكن لسوء الطالع لم يقل الجوهري كلمة واحدة من هذه الكلمات المزعومة[١].

والرحالة الأوروبي الوحيد الذي أوضح لي ماهية قباء الأعراب هو راولف، الذي جاس خلال الشرق عام ١٥٧٣، فهو يقول واصفاً زيه الذي اصطفاه لنفسه بغية السفر من حلب إلى بغداد (وصف حقيقي للرحلات، ص١٣٣) إنه هو نفسه ورفاقه أوصوا لأنفسهم بادىء الأمر بعمل (أقبية Cabas) طويلة زرقاء (Blawe lange caban)، كانت مقفلة من الأمام بأزرار، ومقورة تمام التقوير في موضع الرقبة، وهي تشبه بعض الشبه ملابس الأرمن (Der Armenier nit ungleich) فعسى أن يكون هذا الثوب هو نفس الثوب الذي تحدث عنه آنفاً (ص٤٩)، في معرض وصفه لأزياء سكان طرابلس: «إنهم يحبون الملابس البديعة الألوان، إذا لم تكلفهم غالياً، وهذه الملابس مقبولة الطول ولها أزرار من الجهة الأمامية». وتحت هذا اللباس الجبة. إذن فالقباء قد احتل مكانة فرجية في أيامنا هذه. (ولا مشاحة أن كوتوفيك حين يكتب في كتابه، رحلة، ص٤٨٧، كلمة Gaba يعني بها العباءة وليس القباء). وعلى النقيض من ذلك هناك نصان من تاريخ اليمن يحملانا على التفكير بأن القباء هو القفطان نفسه. وعلى هذا فإن القفطان يلبس تحت الجبة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب (مخ٤٧٧، ص٢٩٨): «خلع على الأمير - خلعة نبيلة[٢] من أجل

---

(١) لقد صدق دوزي. لا وجود لكلمة قباء في قاموس الجوهري. (المترجم).

(٢) ينبغي إضافة معنى كلمة Magnifique التي تعطي صفة نبيل أحياناً، إلى القاموس. فنحن نقرأ في موضع آخر من تاريخ اليمن (مخ، ص٣٠٣): «أمر لهما بصلة نبيلة». وكلمة نبيل كذلك تؤخذ بمعنى لطيف ورقيق وبمعنى البشاشة. فنحن نقرأ في كتاب المراكشي (المعجب، مخ١٥٤، ص١٢٩): «تلقاه لقاء نبيلاً».

القفاطين القباء». وفي موضع آخر: (ص٣١٩): «خلع على إبراهيم بن المطاهر قفطاناً من القباء الصراصر»[1]. والعلة التي تجعل هذه النقطة وافية الغموض، هو أنه، منذ أكثر من مرتين، لم يعد هذا اللباس يرتدي من قبل العرب. والمؤلفون القدامى لهذه الأمة لا يصفون حاجة كانت معروفة من قبل العموم في زمانهم، والرحالة الأوروبيون لم يستطيعوا أن يصفوا الأشياء التي لم يعد لها وجود أثناء زياراتهم للأقطار العربية.

لقد كان القباء شائع الاستعمال في عهد الرسول ﷺ. فنحن واجدون في صحيح البخاري (ج٢، مخ٣٥٦، ص١٦٧) باباً عنوانه: «باب القباء وفروج حرير نقرأ فيه»: «قسم رسول الله ﷺ أقبية ولم يعط مخرمة شيئاً. فقال مخرمة: «يا بنيَّ انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ». فانطلقت معه. فقال: «ادخل فادعه لي». قال: فدعوته له. فخرج إليه وعليه قباء منها. فقال: «خبأت هذا لك» قال: فنظر إليه فقال: «رضى مخرمة». ويقرر المقريزي (وصف مصر، ج٢، ص٣٥٠)، إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه كانت ملابسهم أيام الدولة الجركسية هي: (أقبية أما بيض أو مشهرة أحمر

(١) كلمة صراصر التي لا وجود لها في القاموس تعني العظيم، ولا يظهر إنها تستعمل إلا في معرض الحديث عن الجمال من النوع المسمى بختي. ويتحتم عليَّ أن أعترف إنني لم أعثر في موضع آخر على كلمة صرصور وجمعها صراصر، بمعنى نبيل، عظيم: Magnifique الذي تعنيه دون شك هنا. ولكنني سأحملكم على ملاحظة إن كلمة عظيم التي لا وجود لها أيضاً في القاموس، إلا بمعنى كبير، تعبر غالباً عن فكرة نبيل، لطيف، رائع، فاخر. فنحن نقرأ في تاريخ اليمن (مخ، ص٢١): «خلع عليه خلعة عظيمة». وفي موضع آخر (ص٦١): «دخل الأمير عبد الله مدينة صنعاء في هيئة عظيمة». وكذلك (المرجع السالف): «عمل هنالك سماطاً عظيماً لم ير مثله». وأخيراً (ص٢٩٨): «فدخل مدينة صنعاء ذلك اليوم في هيئة عظيمة والزمر والطبل معه والأعلام». ويقول المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، ح٢، ص٤٣): «كانت جنازته عظيمة».

وأزرق وهي ضيقة الأكمام على هيئة ملابس الفرنج اليوم)[١]. وبعد ذلك (ص٣٥١) يعلمنا نفس المؤلف أن السلطان المنصور قلاوون أبطل لبس الكم الضيق: (ابطلوا لبس الكم الضيق) وإن ابنه المليك الأشرف خليل أعطى لخاصكيته Khâssékis ولممالكيه «الأقبية الأطلس المعدني»[٢] Des kabâs de satin madini وكانت الأقبية تعمل بصورة عامة من الأطلس كما يظهر. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخـ٢م، ص٤٩): «خلع عليه قباء أطلس وشربوش» وبعد ذلك: «قباء أطلس أسود». وفي موضع آخر (مخـ٢ن، ص٢٦، حوادث عام ٦٨١): «وقف بين يدي السلطان ألف مملوك وخمس مائة مملوك عليهم الأقبية الأطلس الأحمر بالطرز والكلوتات الزركش». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص١٥٩): «وعلى ذلك قباء من الأطلس الأحمر».

وكان القباء كذلك مفرى في بعض الأحيان (المقريزي، وصف مصر، ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٨)[٣]. فنحن نقرأ في تاريخ مصر لابن

(١) إن مخطوطة (ب) ترسم الكلمة مشهرة، وكلمة مشهر لا وجود لها في القاموس، ولكنني أعتقد إنها تشير إلى الجزء الخارجي من الثوب.

(٢) راجع حول كلمة معدني (ص٨٣، موضوع: البغلطاق).

(٣) كلمة (طرز) موجودة في تاريخ أبي الفداء (حـ٥، ص٨٠) وفي نص لابن خلدون منشور من قبل سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، حـ٢، ص١١٨). ولا وجود لها في القاموس. وقد بدل ڤيرس كلمة طرز في هذه النصوص إلى كلمة طرر، في إحدى ملاحظاته على تاريخ اليمن لمؤلفه Butgers (ص١٣٥). وعلى الرغم من وجود كلمة طرز في قاموس Richardson بمعنى حاشية أو حواش مطرزة في ثوب من الأثواب، فلا ينبغي معارضة شهادة قاموس برأي عالم، مهما كان شهيراً، ولكن بنصوص عديدة لمؤلفين كثيرين. وهاهم. وإنني أقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخـ، ص١٢٩): «جبة سوداء بطرز ذهب». وبعد ذلك (ص٢٤٢): «جبة سوداء بطرز زركش». وفي تاريخ الطولونيين للنويري (مخـ٢ك(٢) ص١١): «اسقط أحمد =

إياس (مخ٣٦٧، ص٨٨): «قباء حرير بنفسجي يفرى بقاقم مطرز بطرز

= دعوة الموفق وقلع اسمه من الطرز. فلما بلغ الموفق ذلك أمر بلعن أحمد بن طولون في المنابر في سائر الأمصار». وفي مخطوطة بخط المؤلف النويري (تاريخ مصر، مخ١٩ب، ص٢٥): «خلع الأطلس المعدني بطرز الزركش». وفي موضع آخر: «فخلع على المشار إليه منهم أطلس معدنياً بطرز زركش». وأخيراً (ص١٣٥): «تشريف أطلس معدني بطرز زركش». وفي كل نصوص هذه المخطوطات ترد كلمة طرز وليس كلمة طرر.

وتعني كلمة طرز أيضاً: «أقمشة زركش». فإنني اقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٩): «أحضر الصندوق إلى الديوان السلطاني وفتح واعتبر ما فيه من الذهب حوائص ذهب وطرز زركش». وفي موضع آخر (مخ٢، ص١١٠): «ركبوا بالكلاوات الزركش والطرز الزركش». وفي تاريخ مصر لابن إياس (مخ، ص١٠٠): «ووجد له عند شخص إسكاف بقج فيها طرز زركش وحوائص ذهب وكنابيش ما يعلم لها عدة». وتوجد كلمة طروزات في نفس المفهوم لدى ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گاينگوس ص١٠٧): «فرجية قدسي وتحتها من ثياب مصر وطروزاتها الحسان». (وكلمة قدسي التي لا أعرف أصلها ومعناها موجودة في ثلاثة نصوص أخرى لابن بطوطة)، بوصفها تشير إلى نوع قماش. فنحن نقرأ لدى هذا المؤلف (مخ، ص١٢٩): «ثياباً من الملف والمرعز والقدسي والكمخا». وفي موضع آخر (ص١٣٠): «ثوب قدسي». وأخيراً (١٥٩): «وكان عليه في ذلك الحين قباء قدسي أخضر. وعلى رأسه شاشية مثله». وكلمة طرازات لها نفس المعنى. فإني أقرأ لدى المقريزي (وصف مصر، ح٢، مخ٣٧٢، ص٣٥١): «كلفتات الزركش والطرازات الزركش والكنابيش الزركش».

وسأنشر بهذا الصدد نص المقريزي هذا بتمامه، لأنه من الأهمية في الذروة في معرفة مختلف أنواع الفراء المستعملة في مصر، أيام حكم الدولة الجركسية: «ثم سكن فيه صناع الفراء وتجاره فعرف بهم وصار بهذا السوق في أيام الملك الظاهر برقوق من أنواع الفرو ما يجل أثمانها وتتضاعف قيمها لكثرة استعمال رجال الدولة من الأمراء والمماليك لبس السمور والوشق والقاقم والسنجاب بعدما كان ذلك في الدولة التركية من أعز الأشياء التي لا يستطيع أحد لبسها. وقد أخبرني الطواشي الفقيه الكاتب الحاسب الصوفي زين الدين مقبل الرومي الجنس المعروف بالشامي =

ذهب يلبغاوي عريض (نسبة للسلطان يلبوغا)[1]. وما كان هو قباء سلاي كان البغلطاق (راجع هذه الكلمة).

= عتيق السلطان الملك الناصر الحسن بن محمد قلاوون إنه وجد في تركة بعض أمراء السلطان حسن قباء بفرو قاقم فاستكثر ذلك عليه وتعجب منه وصار يحكي ذلك مدة لعزة هذا الصنف واحترامه لكونه من ملابس السلطان وملابس نسائه. ثم تبدلت الأصناف المذكورة حتى صار يلبس السمور آحاد الأجناد وآحاد الكتاب وكثير من العوام. ولا تكاد امرأة من نساء بياض الناس تخلو من لبس السمور ونحوه. وإلى الآن عند الناس من هذا الصنف وغيره من الفرو شيء كثير».

(١) لا وجود لكلمة سمور في القاموس العربي. ويفسر دي برين (الرحلات، ص١٣٢، الخ)، كلمة سمور Samour بكلمة Zibeline (Sabel) ويذهب المذهب نفسه تيڤنو (قصة رحلة إلى المشرق، ص٥٦): «وفي الشتاء يبطنون فراجيهم بالفرو الثمين، وأصحاب الاقتدار ينفقون عن إرادة وطواعية أربعمائة أو خمسمائة قرش للحصول على بطانة سمور». والكتاب العرب يرسمون هذه الكلمة طوراً بـ(سمور) وتارة بـ(صمور). فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص١٤٥): «والسمور دون ذلك تساوي الفروة منه أربعمائة دينار فما دونها. ومن خاصة هذه الجلود إنها لا يدخلها القمل. وأمراء الصين وكبراؤها يجعلون منه الجلد الواحد متصلاً بفرواتهم عند العنق وكذلك تجار فارس والعراقين». وبعد ذلك (مخ، ص١٤٧): «واجتمع لي من الخيل والثياب وفروات السنجاب والسمور جملة». وفي موضع آخر (مخ، ص١٥٦): «بعثت إليَّ بفروة سمور». وبعد ذلك (ص١٦٠): «أعطاني السلطان فروة سمور تساوي مائة دينار وطلبتها منه لأجل البرد». ونجد في نفح الطيب للمقري (مخ دي غوتا، ص٧٧): «مائة جلد سمور». كذا. (انظر كذلك المرجع السالف ص٤٠). والكلمة مرسومة بـ(صمور) في تاريخ ابن إياس (مخ٣٦٧، ص٣٥، ٤٨، ١٢٣، إلخ).

وكلمة وشق لا وجود لها في القاموس أيضاً. وبتسميتي لها: Le loup- cervier تابعت ري مينسكي Meninski وهي كثيرة الوقوع في كتاب ابن إياس.

وتشير كلمة قاقم بكل تأكيد إلى ما يسمى l'hermine، ذلك لأننا نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص١٤٥): «والقاقم هو أحسن أنواع الفراء. وتساوي الفروة منه ببلاد الهند ألف دينار وصرفها ذنبها مائتان وخمسون وهي شديدة البياض =

ويظهر أن القباء تلقى تسمية الإسلامي، لأننا نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ ١٩ ب، ص١٣٥): «ركب في الموكب بالأقبية الإسلامية والكلوتة والشاش على عادة العساكر المصرية». ويذكر مؤلف مسالك الأبصار، والمقريزي كذلك، راجع: (ملاحظات ومقتبسات، ج٨، ص٢١٣، ٢٩٥) الأقبية الإسلامية، ويعني هذان المؤلفان ولا ريب الأقبية المفصلة على الطريقة العربية، تمييزاً لها عن التتاريات Tatars (انظر المرجع السابق)، وعن السلاريات Selaris وغير ذلك.

وتسمى أحياناً بالأقبية معاطف الفرسان النصارى وذلك من قبل المؤلفين العرب. فنحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣٨٨): «وإذا بالفارس المقدم عليهم لابس قباء أزرق من أطلس - ومن فوقه زردية ضيقة العيون». ويقول المقري، أو بالأحرى ابن سعيد لدى فريتاغ (طرائف عربية، ص١٤٧) إن أقبية عرب الأندلس كانت معمولة من الأرجوان (الأسقلاط) وكانت تشبه أقبية المسيحيين. وإذا لم نكن قد صورنا القباء العربي إلا تصويراً يعتوره النقص، فإننا على العكس من ذلك نعرف معرفة عجيبة صورة قباء الفرس. وإليكم وصفه على لسان شاردان (الأسفار، ص٦٧، ٦٨): «ثوب يسمى Cabai واسع يشبه فستان المرأة ولكنه شديد الضيق من الأعلى، يمر مرتين فوق البطن، ويشد تحت الذراع: الشدة الأولى تحت الذراع اليسرى، والشدة الثانية وهي شدة الفوق، تحت الذراع اليمنى. وهذا الثوب مقور على الهيئة التي يراها عليه في الشكل الجانبي. وله كُمان قصيران، ولكن لما كانا أطول مما ينبغي، فإنهما يثنيان إلى أعلى الذراعين ويزرران حول المعصم. ويلبس

= من جلد حيوان صغير في طول الشبر وذنبها طويل يتركونه في الفروة على حاله. هذا هو الوصف للحيوان الذي نسميه Hermine هو غاية في الدقة.

الفرسان كذلك أقبية على النمط الجيورجي، وهي لا تختلف عن الأقبية الأخرى إلا بكونها مفتوحة من جهة البطن ولها أزرار وقياطين. وبالرغم من أن هذا الثوب ضيق حول الوسط، فإنه يربط في هذا الموضع بحزامين أو ثلاثة أحزمة فوقية، مطوية طيتين، عرضها أربع أصابع، فاخرة نظيفة، وهذه الحالة تجعل الثوب يبرز فوق البطن جيباً واسعاً قوياً، حيث تصر الأشياء الثمينة فتكون في حرز حريز من جيوب أعالي سراويلاتنا.
والوصف التالي، الذي يقدمه تيفنو في (ذيل رحلة إلى المشرق، ص١٧٣) مفصل تفصيلاً أوفى: «إنهم يلبسون فوق ملابسهم سترة يسمونها قباء Caba معمولة عادة من تيل القطن الناعم للغاية، الملون باللون الأحمر والأصفر والأخضر أو بلون آخر على هوى اللابس، وهو ناعم الملمس حتى ليكاد يشبه الأطلس. وهذه السترة القطنية المزركشة تهبط حتى منتصف الساق. وهي مقورة كل التقوير من الأمام، وينساب الجانب الأيمن على البطن تماماً، ويجري ليستقر تحت الإبط بمعونة شرائط، ويمتد الجانب الأيسر فوقاً حتى يتصل بالجانب الأيمن بقياطين، وينفرد قيطان واحد بعدم الارتباط بشيء البتة، ولكنه يتعلق بالقياطين الأخرى. وهكذا تدع هذه الأشرطة البطن مستوراتٌ مضغوطاً للغاية، لأن هذا اللباس يمس الجسم مباشرة حتى الوسط الذي هو غاية في الضيق، ومن موضع الوسط يأخذ في الاتساع بحيث يبدو وكأنه ناقوس من الأسفل، ويستدير كما لو كان هناك دائرة من حديد، وهذا بفعل القطن المحصور فيه. وكما هذا الثوب عرضهما عرض الذراع تماماً، ولكنهما أطول من الذراع كثيراً، ولذلك يطويان لئلا يفلت المعصم من هذا الطوق. وبعضهم يلبسون هذه الأقبية مقفلة بدون أزرار حول المعصم، ولكن الذين ينشدون الراحة يضعون فيها أزراراً، والكثيرون من الفرس والأرمن يفضلون هذه السهولة التي تعلموها من الفرنج، وهذه الحالة

تقفل الكم تماماً في موقع المعصم، وتحول دون دخول الهواء. وتكون هذه الأقبية في العادة معمولة من التيل الملون بلون واحد فقط، وفي حالات كثيرة يتخذها أصحاب المقامات العالية من الأطلس أو الزربافتة Zerbaft، وهي زركش فارس، وبعضهم يختارها في الصيف من الأليجة Aledgia وليس من القطن». ويقول تيڤنو بعد ذلك (نفس المرجع، ص١٧٥): «يجب أن يكون معك دائماً خادم لعقد قياطين القباء: لذلك فإن معظمهم لا يعقدون إلا شريطاً واحداً ويرسلون بقية الشرائط على رسلها. - ولأجل أن تبقى الأقبية نظيفة على الدوام، فإنهم يتجردون منها حال استقرارهم في منازلهم ويبدلون كل يوم قباء، وكل عشرة أشهر يرتدون مجدداً أحد هذه الأقبية التي سبق لهم ارتداؤها، إذا ظنوه نظيفاً، لأنهم لا يتذكرون رويتهم له. ويثمنون الإنسان بنظافته وجمال ثيابه». راجع أيضاً تاڤرنييه (الأسفار، ج١، ص٦٢٩) الذي يكتب كلمة القباء هكذا: Cabaye. وانظر فريزر، (رحلة إلى خراسان، ص٦٩). وهو يرسم كلمة القباء هذا الرسم: Kabba. ومن الاسم المفرد (قباي) الفارسية ألف الهولنديون كلمتهم: Kabaai، تلك الكلمة التي يستعملونها للإشارة إلى رداء البيت: Robe de chambre.

القُرْطق

يقول القاموس (ط كلكتا، ص١٣٣٠): «لبس معروف معرب كُرْتَه». وعلى ذلك فإن كلمة كَرْتَه أو كُرْتَه تشير في اللغة الفارسية، طبقاً لمذهب قاموس ريچاردسون Richardson إلى: «سترة قصيرة أو قميص، وهذه السترة تسبل على الكتفين وتنساب حتى وسط الجسم». ويبدو أن الكلمة الفارسية كرتي لها نفس المعنى، وإن مصغر الكلمة كرتك يشير إلى

«قميص يلي الجسم مباشرة، وله كمان يصلان إلى المرفقين». وطالما تغنى الشعراء العرب بقراطق حبائبهم ومحظياتهم وجواريهم؛ راجع مثلاً بيتا أورده (ابن خلكان، ج١، ص٣٦٤). وعلاوة على ذلك فإننا نعلم أن الفرس كانوا يلفظون قديماً الهاء بقوة أشد من لفظهم لها في أيامنا هذه؛ وإن العرب يقابلون هذا الحرف أو هذا الصوت بقافهم.



القُرْق

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير لدى عرب الأندلس إلى صندل قاعدته الداخلية من الفلين، وكلمة قرق تقابل كلمة alcorque الأسبانية. وإن أصل هذه الكلمة غامض، لديَّ، والكلمات التي تستعمل في العربية لتعيين كلمة liége – فلين، والتي ستقرأونها، لا وجود لها في القاموس. ويقول كوباروڤياس في كتابه: (الكنز، مدريد، ص١٦١١) حول كلمة الكورنوك :aicomoque (aicomoque, cortîche, cortîch, Alcala) «ويطلق عليها اللاتين اسم suber وهي نوع من الأشجار الفلينية تشبه شجرة السنديان بمتانة عودها وصلابة خشبها وتشبه أيضاً بثمرها وأوراقها شجرة البلوط القرمزية الدائمة الخضرة، وتختلف عنها بقلة أغصانها وبكثافة قشرتها، التي غالباً ما تنسلخ عنها لتعاود الطبيعة إكساءها مجدداً».

وكلمة al dorque كلمة عربية الأصل، كانت تستعمل غالباً لوصف شخص بالعري أو بسوء الهندام نسبة إلى ما أشرنا إليه حول انسلاخ قشرة الشجرة، ليصنع من هذه القشرة نوع من النعال للنسوة الصغيرات، وهو الموضوع الذي كتب عنه الدكتور لاگونا Laguna أشياء جميلة كثيرة، في تعليقاته على Diosc. lib. 1, cap. 121. ومن كلمة dorque جاءت كلمة

cirque ومنها اشتقت الكلمة corcho «الفلين» في (نعال خشب الفلين المصنوع من شجرة الفلين).

ودخلت أداة التعريف العربية «ال» على كلمة corque لكي تصبح alcorque' وهي، كما سبق إن قلنا، نوع من مداس للقدمين صنع نعله من خشب الفلين». (ترجمة لويس رومانوس).

المَقرونة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير، حسب مذهب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٨) إلى نفس المادة التي تشير إليها كلمة شوبر، أي إلى الطرحة التي تضعها النساء البدويات على الرأس. وتختارها الكواعب النواهد حمراء، وتصطفيها العجائز الفواني سوداء.

القَشّاب

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم دونباي (ص٨٢) هذه الكلمة بـ: Indusium sine manicis ولعلها نفس الكلمة التي يكتبها هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٥) على هذه الصورة: Keséb (كزب)، ويقول المؤلف أن هذا الكزب هو قميص من الصوف بلا كمين، ويلبس بدلاً من القفطان. انظر اللوحة ١٦ من الكتاب المذكور. ويتحدث لمبرير Lempriere في كتابه (رحلة إلى مراكش، ص٣٩) عن الكاشوف Le cashove الذي يرتديه الرجال والنساء من البدو في مراكش. ويقول هذا الرحالة عن هذا الكاشوف القشاب «إنه ثوب طويل غليظ محروم من الصباغ يشد

حول الوسط. وتلبسه النساء بشكل يؤلفن منه كيساً فوق الظهر، يحملن فيه أولادهن». ولعل هذه الكلمة ليست عربية الأصل، وسأحملكم على ملاحظة إن كلمة Kusabo تعني لدى المندنكو Mandingos - أهل مالي - كساء أو معطفاً.

راجع (قواعد لغة المندنكو، ص٤١): Macbrair, Grammar of the Mandingo language.[1]

القُفّاص

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويترجم بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة Guante بكلمة قفاص، والجمع قفافيص، ويترجم كلمات Calçado cosa de Guantes بكلمتي: ملابس القفاص، وGuante بكلمة قفاص. ويفسر كانيس Canes كذلك في قاموسه، ج٢، ص٢٠٤ (Diccionario) كلمة Guantes بكلمة قفز (كذا). وقد جعلتنا الكلمة العربية نفسها نفكر في إنها قفاز على هيئة شبكة، قفاز مشبك. ذلك لأن كلمة قفص، وهي الكلمة الموجودة في القاموس بمعنى Reticularis وCavea avis تعني، على سبيل المثال، سلة معمولة من أغصان النخلة (خوص السعف) المبروم برماً شديداً (برگهارت، الأمثال العربية، ر٣١٠، لين ألف ليلة وليلة، ج٢١ ص٢١٠، النويري، تاريخ مصر، مخ٢، ص٣٣). وكلمة

(١) قال دوزي في كتابه: (تكملة المعاجم العربية، ح٢، ص٣٤٨) ما يلي: «لقد ظننت سابقاً إن هذه الكلمة هي من لغة الماليين Mandingos وكنت متوهماً، ذلك لأن Macbrair يقول (٣ - ٢٩٧) إن هذا اللباس يحمل لدى هذا الشعب اسم دوريكي.

قفاز، ولعلها نفس الكلمة، تعني فزاعة épouvantail معمولة من قطع الخشب الخفيفة (برگهارت، ر١٤٥). والواقع أن پيدرو دي الكالا يفسر كلمتي مونابلا ارمادورا بكلمة قفاص، وجمعها قفافيص. وتعني مانوپلا Manopla كما نعلم، قفازاً حديدياً، أو جلدياً.

القَلْصة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة الأسبانية كالزاس، التي تسللت إلى لغة عرب الأندلس، ذلك لأن پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يفسر كلمة كالساس Calças بكلمة قلصة، وجمعها قلصات، ويفسر كلمات: Calçada cosa de calças بكلمتي ملابس القلصات. ونحن نعلم إن كالزا calza تعني سروالاً، بنطلوناً: Chausses, pantalon.

وكلمة قلصات لها في مالطة نفس المعنى. (راجع ڤاسيلي في كتابه قويميس مالطي، مجـ١، ص٤٠).

القَلَنْسُوة، القُلَنْسية

يقول لين (ألف ليلة وليلة، جـ١، ص٢٢٣ الطبعة الانكليزية) هذه الحاجة موصوفة بصورة غامضة من قبل المعجميين العرب، بحيث إنني لا أستطيع الحصول على فكرة دقيقة محددة عن شكلها.

هذه الكلمات من أعظم العارفين بأخلاق وعادات العرب، يجب دون ريب أن تسقط القلم من يدي، والأتعس من ذلك إن هذه الكلمة، حسب علمي، لم يذكرها أي رحالة أوروبي قدر له أن يزور الشرق في أية

حقبة من الحقب، بالإضافة إلى أن تنقيباتي الخاصة لدى المؤلفين العرب عادت تجر أذيال الفشل. ومع ذلك فيخيل إليَّ، بالرغم من أنني لا أعرض كل ما أعرض بوصفه واقعة ليس إلى نكرانها من سبيل، إن هذه الكلمة تشير إلى الطاقية التي توضع تحت العمامة (شقة البز)، وهي مرادفة لكلمة طربوش، الطربوش المستعمل في هذه الآونة. وإليكم صورة كيفية وصولي إلى هذه النتيجة.

قبل كل شيء، سأحملكم على ملاحظة عدم وجود كلمة أخرى في اللغة العربية، حسب علمي، بمقدورها أن تعين الكلوتة (الطاقية، العرقية) التي تحاط بشقة من البز لتأليف أو تكوير العمامة التامة على هذا المنوال. وعلى ذلك فهناك أسانيد كثيرة تثبت أن العرب القدامى لم يكونوا يضعون الكلوتة تحت العمامة. وفضلاً عن ذلك، فإن الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة، مخـ دي گايانگوس، ص١٥٢) يقول، في وصفه لعاصمة الامبراطورية البيزنطية: «ودخلت مع الرومي الذي عينه الملك للركوب معي إلى مانستار يشقه نهر وفيه كنيسة فيها نحو خمسمائة بكر عليهن المسوح ورؤوسهن محلوقة عليها قلانس اللبد ولهن جمال فائق وعليهن أثر العبادة». وبعد ذلك (نفس المرجع)، يقول ابن بطوطة في الباب المعنون ذكر الملك المترهب جرجيس (الملك الامبراطور) جورج المترهب: «فإذا بهذا الملك ماشياً على قدميه وعليه المسوح وعلى رأسه قلنسوة لبد».

وأرى من المحتمل كل المحتمل أن الرهبان والراهبات في القسطنطينية كانوا يلبسون القلانس. ويقول الرحالة المذكور أيضاً في مادة قبشاق **Le Kiptchak** حيث النساء ملكات[1] (ورقة ١٤١): «وربما

---

(١) تذكروا قصيدة شاعر فرنسا الجميلة، المعنونة: **(La nostalgie)**.

كان مع المرأة منهن زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها ولا يكون عليه من الثياب إلا فروة من جلود الغنم وفي رأسه قلنسوة تناسب ذلك يسمونها «الكلا»». ويترجم الزمخشري: «مقدمة الأدب Zamakhschari (Lexicon» «Arab. Pers., part. 1, pag. 62) قلنسوة بكلمة (كلاه)».

ونجد في موضع آخر لدى ابن بطوطة (مخ، ص٨٣): «نزع شاشيته عن رأسه وهم يسمونها الكلا». وكلمة (كلا) الفارسية الموجودة في هذه النصوص تشير إلى الكلوتة Calotte أو الطاقية أو العرقية (راجع تعليقة لانگليس Langlès على رحلات شاردان: Voyages de Chardin وكلمة شاشية لها نفس المعنى).

وأخيراً فإن المؤلفين العرب طالما ذكروا أن الأولياء أو الرهبان في الشرق يلبسون القلنسوة. وعلى ذلك فإن عمارة هؤلاء الناس تنحصر غالباً في طاقية بسيطة أو كلوتة (Bonnet ou calotte).

يقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ، ص١١٢) في معرض حديثه عن قديس أو ولي جبل (لمعان): «وعليه مرقعة وقلنسوة لبد». ويخبرنا النويري (تاريخ مصر، مخ٢)، في حوادث سنة ٦١٠، عن موت ولي من أولياء الله الصالحين. فيقول (ص٢٢): «وكان لا يلبس غير الثوب الخام وقلنسوة من جلد الماعز».

وهذه الأدلة التي عرضتها الآن يمكن أن نضيف إليها أن المسلمين يلبسون غالباً طاقيتين أو كلوتتين (طاقية وطربوشاً إلخ)، وإن ابن بطوطة (مخ، ص١٢٠، ١٢١) يقول، متحدثاً عن الفتيان الأخية (راجع لين، رحلة ابن بطوطة، ص٦٨، ٦٩): «وعلى رأسهم قلانس بيض من الصوف بأعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض أصبعين. فإذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد قلنسوة

ووضعها بين يديه وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى الزردخاني وسواه حسنة المنظر»[(١)].

(١) هذا ما تأخذه كلمة قطعة من معنى معظم الأحوال. (راجع النويري - تاريخ مصر، مخ١٩ب - ص٢٤ وألف ليلة وليلة، ط مكناگتن، ج٢، ص٤٦). وكلمتا تقطيع وجمعها تقاطيع ومقطع لهما نفس المعنى. ونقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص٢٠٤) خمس تقاطيع سكندري (خمس قطع أقمشة اسكندرانية). وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١١١): «جاء بمقطع حرير، جاء بشقة حرير».
وكلمة زردخاني موجودة كذلك في نصوص أخرى لابن بطوطة، تحت رسم زردخانة. فهو يقول (مخ٢١٩)، في معرض كلامه عن بعيرين: «وجعلت لهما جلتين من زردخانة مبطن بالكمخا». (وكلمة جلة تعني بردعة، إذ يقول ابن بطوطة في موضع آخر (مخ، ص١٤٩): «وفرسها مجلل بجلل حرير مزركش بالذهب».
راجع كذلك نص رحلة في السودان لهذا المؤلف، مترجم في الصحيفة الآسيوية، س٤، ج١، ص٢٠٨.
وأعتقد إنني واجد هذه الكلمة العربية في اللغة الأسبانية - برسم Zarzahan. والواقع أن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمة Zarzahan بكلمة زردخان. وبمعونة الكلمة الأسبانية أيضاً نستطيع تفسير الكلمة العربية. ويرى كوب روڤياس حول كلمة carçahan في كتابه (كنز اللغة القشتالية × مدريد ١٦١٠) إن كلمة Zarrzahan أو كلمة Zarzalian تعني نوعاً من الحرير الفاخر، من صناعة المغاربة وهو شبيه بالتفتة (الحرير الرقيق).
وما دامت قد أتيحت لي فرصة التحدث عن اسم قماش مفسر باللغة الأسبانية، فسأقول كذلك بعض الكلمات عن كلمة عربية أخرى ليست مفسرة لنا باللغة الأسبانية فحسب، وإنما هي مشتقة من هذه اللغة، وكانت قد ترجمت ترجمة سيئة. هذه الكلمة هي كلمة تليس التي أعالجها. فنحن نقرأ لدى ابن بطوطة (مخ، ص٢٨٢): «يصلحون أسقيتهم ويملأونها بماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح». وهناك نصوص أخرى لابن بطوطة تبرهن إن ترجمة أصلان لهذا النص سليمة لا غبار عليها. وهكذا يقول في موضع آخر (مخ، ص٩٥): «طرحت هنالك أياماً مستورة العورة بقطعة تليس». ويضيف ابن بطوطة (مخ، ص٨٠) عن العزاء =

ويسمح للقلنسوة أن تميل أحياناً إلى أحد الجوانب أو إلى الوراء، كما هي حالة الطربوش المستعمل حالياً في سورية. ونقرأ في كتاب ملتقى الأبحر (مخ١٢١١ - ص١٦٤): «ويحل للنساء لبس الحرير ولا يحل للرجال إلا قدر أصابع كالعلم. ويلاحظ على ذلك شارح مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج٢، ص٢٥٨) هذه الملاحظة: «وكذلك إذا كان في طرف القلنسوة لا بأس به إذا كان قدر أربع أصابع». وبعد ذلك (ص٢٥٩): «وفي القنية تكره التكة المعمولة من الإبريسم وهو الصحيح وكذلك القلنسوة وإن كانت تحت العمامة». ومن كلمتي طرف القلنسوة

= والحداد بمناسبة وفاة ابن ملك ايذج: Idhadj فيقول: «فوجدت مشور دار السلطان ممتلئاً رجالاً وصبياناً من المماليك وأبناء الملوك والوزراء والأجناد وقد لبسوا التلاليس وجلال الدواب وقد جعلوا فوق رؤوسهم التراب والتبن».

ونستخلص من هذا النص إن كلمة تليس لا بد إنها تشير إلى نوع من الأقمشة. والواقع إن دونباي في كتابه (النحو المغربي العربي) يترجم كلمة تليس بـTaoes variegatus، والكلمة العربية ليست سوى تحريف للكلمة الأسبانية terliz وهي بالفرنسية treillis وترجمتها الحرفية: «نسيج ثلاثي الخيوط». وقد فرغنا من رؤية أن الكلمة العربية تليس تعني بساطاً غليظاً مختلف الألوان. واجد الكلمة الأسبانية Terliz مستعملة بنفس المعنى في الأبيات التالية المنسوبة إلى فيليب الرابع.

«هل رأيت في نفس المكان حيث كان التليس مطرزاً
كالندى بأشعة الشمس إضاعة الريف لونه الأخضر؟»

وفضلاً عن ذلك فإنني إذ اشتق كلمة تليس من كلمة terliz لا أخمن تخميناً أعرضه، وإنما هي واقعة محسوسة: ذلك لأن پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يترجم كلمات: Terliç texido a tres lizor بكلمة تليس وجمعها تلاليس.

وفي مصر الحالية يطلق اسم تليس على كيس أسود، أو مرقط برقطات بيضاء وسوداء - وهو معمول من شَعْر الماعز الذي يستعمله القرويون لحمل قمحهم إلى السوق (راجع برگهارت - الأمثال العربية - ص٦٨ - ٩٧) - ومن هناك يطلق على مكيال حنطة.

في الفقرة الأولى ينبغي أن نفهم، إن لم أكن متوهماً، الطرف المرفرف من هذه الطاقية. ومن الكلمات الأخيرة في الفقرة الثانية التي تعني في مذهبي: وإن كانت القلنسوة مغطاة تماماً بالعمامة ومحجوبة بها، يبدو أنها تؤيد رأيي في أن كلمة قلنسوة لا تدل على شيء آخر غير الطاقية أو الكلوتة أو العرقية (القلنسوة) التي توضع تحت العمامة.

وكانت القلنسوة شائعة الاستعمال في الأندلس، على الأقل أيام دولة بني أمية، ذلك لأنني اقرأ في تاريخ الأندلس للنويري (مخ، ص٤٧٨): «وأشار الحاجب بانتزاع قلنسوة شنشول عن رأسه فانتزعت». ولم أجد هذه الكلمة في مفردات بيدرو دي الكالا. وما يسميه الأقباط اليوم قلاسوة أو قلوسية، لا يمت مطلقاً إلى عمارة الرأس بنسب ولكنها عصابة عرضها أربع عقد وطولها قدم، وهم يرسلونها تحت العمامة، وتتدلى على الظهر. (راجع لين، المصريون المحدثون، ج٢، ص٣٥٤).

القميص

يلبس الشرقيون القميص فوق السروال، وليس تحت السروال، كما هي عادة الأوروبيين، وقميص الرجال في مصر معمول من التيل (البندقي، ألف ليلة وليلة، ط هابيخت، ج٢، ص٦٢)، أو من الكتان، أو من القطن، أو الشاش الموصلي، أو من الحرير أو من الحرير والقطن المخططين، ولكن هذه القمصان جميعاً بيضاء لا تشوبها ألوان أخرى (لين المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩) أما قمصان النساء فمشغولة من الحرير (ألف ليلة وليلة، ط مكناگتن، ج١، ص٨٧٤ - رحلات ڤنسان لبلان المشهورة، ج٢، ص١٣٩):

«Les voyages fameux du Sieur Vincent Le Blanc».

ومن القطن الرفيع الخيوط للغاية (منتگازا - قصة رحلة من أورشليم - ص٩٠):

«Mantegaza, Relatione del Viaggo di Gierusalemme».

ومن الكتان - ومن الشاش الموصلي - ومن الحرير والقطن - وأخيراً من الكريشة الملونة وأحياناً السوداء (لين، ج١، ص٥٦). «أما قمصان الأغنياء فهي مزركشة الحواشي والفتحات عادة ومطرزة بالحرير تطريزاً يدوياً بالأبرة» كما يقول كوپان Coppin في كتابه (درع أوروبا، ج١، ص٢٠٠).

ونحن نقرأ في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٦٠٠): «قلعت أثوابها وأتت في قميص رفيع مطرز بطرز من الذهب». وفي موضع آخر (ج١، ص٨٢٨): «وعليها قميص بندقي رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ورأس الكمين مكتوب عليه هذه الأبيات». (لم يذكر المؤلف الأبيات - المترجم). والفقهاء يحللون للرجال أن تكون عرى وأزرار قمصانهم من الحرير (مجمع الأنهر، القسطنطينية، ج١، ص٢٥٩).

أما عن هيئة القميص، فله كمان واسعان للغاية، يهبطان إلى المعصم، ويتدلى القميص إلى منتصف الساقين (كوپان ولين، راجع كتابيهما القيمين).

ويقول دانديني (رحلة من جبل لبنان، ص٤٥): في وصف أزياء سكان طرابلس الشرق «إن قمصانهم وكذلك ستراتهم، لا ياقة لها، وهي معمولة من القطن الأبيض. وبعض القوم يلبسون قمصاناً زرقاء ذات أكمام مفرطة في الاتساع، بحيث يرى الراؤون كل أذرعتهم عارية. ونهاية هذه القمصان غير مشقوقة مطلقاً، وهي على الأقل تبدو مخيطة حتى النهاية

بوصفها خارج السراويلات، ولهذا السبب يجعلونها واسعة فضفاضة». ويقول دارڤيو (مذكرات ج٦، ص٤٢٥ - ٤٢٦). في معرض حديثه عن نساء حلب: «إنهن يرتدين سراويلات طويلة مثل الرجال، ويلبسن فوقها قميصاً طويلاً عريضاً من الشاش الموصلي المخطط المرقط، أو من نسيج آخر، لا يختلف في شيء عن نسيج أقمشة قمصان الرجال». ويظهر من كتاب (پيترو دلاڤاله، رحلة من تركيا ص٧٥٠، راجع ج١، من فارس، ص١٦١): «إن قمصان النساء في بغداد كانت في العادة من الحرير الملون، وكانت لها أكمام مفرطة في السعة والطول». ويقول أوليڤييه، رحلة إلى الامبراطورية العثمانية ومصر وفارس، ج٤، ص٣٢٧ في معرض وصفه لأزياء نساء هذه العاصمة: «إن القميص الذي هو فوق السراويلات - مصنوع من الشاش الموصلي المطرز بالحرير الملون بلون الذهب، وهو مفتوح من الأمام، مثل قميص الأوروبيين».

ويقول شاردان (الرحلات، ج١، ص٧٠): في كلامه عن النساء الفارسيات: «إن القميص المسمى Camis الذي ربما جاءت كلمة Chemise منه، مفتوح من الأمام حتى سرة (البطن)».

ويخبرنا هوست (أخبار من مراكش وفاس، ص١١٤ - ١١٥): «إن قميص المغاربة له كمان مفتوحان، وكل كم من هذين الكمين يبلغ طوله أحياناً خمس أذرع، ويعلقان غالباً فوق الظهر، بحيث أن الذراعين تظلان حينئذ مكشوفتين. وحول العنق يكون هذا القميص دائماً وأبداً مطرزاً بالحرير الأصفر». وقمصان التيل التي يرتديها المغاربة قد أتى على ذكرها (دييگو دي توريس - قصة الشرفاء، ص٨٥) ودييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر - ص٢٧ - ٢٨، مجـ٢)، ومارمول (وصف أفريقيا، ج٢، ص١٠٢، مجـ٢).

وإذا لم أكن متوهماً - فإن كلمة قميص هي الاسم الوحيد للباس

المذكور في القرآن الكريم. وهذا الملبوس كان يلبسه محمد ﷺ (عيون الأثر، مخـ ٣٤٠ - ص١٨٨) وكان يصنع من القطن.

ويظهر أن الشرقيين كانوا يعلقون أهمية كبرى على ألا تكون أكمام القمصان مفرطة في الفضفضة والاتساع، ذلك لأن ابن إياس (تاريخ مصر، مخـ ٣٦٧، ص٧٤ - ٧٥) يخبرنا - في حوادث عام ٧٩٣: «وفي شوال نادى الأمير كمشبغا نائب غيبه أن لا امرأة تلبس قميصاً بأكمام. وكانوا قد أفحشوا في ذلك حتى خرجوا عن الحد».

ويقص علينا السيوطي (حسن المحاضرة، مخـ١١٣، ص٣٤٨) نفس الواقعة بالشكل التالي: «وفي سنة ثلاث وتسعين أمر كمشبغا نائب الغيبة أن منع النساء من لبس القمصان الواسعة الأكمام وشدد في ذلك».

ويسمى La chemise de nuit (قميص الليل)، قميص النوم. راجع ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١٩٢) والشكل الموجود في الترجمة الانكليزية، بعناية لين (ج١، ص٣٠١).

ونحن نعلم أن كلمة قميص قد تسللت إلى اللغات الرومانية[1].

---

(١) يقول كتاب عيون الأثر: (قميصاً صحارياً وآخر سحولياً). وليس بمقدوري إقرار أي نوع من القماش كان يرد من مدينة صحار Zohâr ولكن كلمة سحوليّ تشير بالتأكيد إلى قماش من القطن الأبيض، ذلك لأنني اقرأ في كتاب «مراصد الاطلاع» (مخـ٢٩٥): «سحول بالضم وآخره لام قرية من اليمن يحمل منها ثياب قطن بيض تسمى السحولية». وينبغي إضافة هذا المعنى من الصيغة الرابعة لكلمة فحش إلى القاموس. فنحن نقرأ في موضع آخر من كتاب ابن إياس (ص١٣٣): «أفحش في حقه».

القمطة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويفسر الكونت دي شابرول هذه الكلمة في كتابه (وصف مصر، جـ١٨ ص١١٣)، على هذا المنوال: «قطعة من الشاش الموصلي تلف عدة لفات حول طربوش (النساء المصريات): وهي تتألف من جزئين. والجزء الفوقاني منهما أحمر أو من لون صارخ فاضح: وجماع العمارة يشكل حول الرأس شبه وسيدة ناتئة تزين باللآلىء وتزركش بالأحجار الكريمة.

القِناع، المِقْنع، المِقْنعة

تشير كلمات قناع ومقنع ومقنعة إلى: نوع من القماش (شال) يضعه الجنسان على الرأس. (مقارنة مع عصابة وكوفية). ونجد في صحيح البخاري (ج٢، مخ٣٥٦، ص١٦٨) باباً معنوناً «باب التقنع» حيث نقرأ ما يلي: «وقال ابن عباس: خرج النبي ﷺ وعليه عصابة دسماء». وقال أنس: «عصب النبي ﷺ على رأسه حاشية برد».

وفي حكاية مروية في الكتاب نفسه، عن عائشة، نقرأ: «فقال قائل لأبي بكر: «هذا رسول الله ﷺ مقبلاً متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها».

وقد رأينا آنفاً، في نص من رحلة ابن جبير (حول كلمة خرقة) إن الأقنعة كانت تؤلف جزءاً من ملابس البدو.

ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص١٤٣) في مادته عن بلغار الفولغا: وعلى رأس الوزيرة والحاجبة مقنعة حرير مزركشة

الحواشي والجوهر ملبساً بهما[١]. وفي موضع آخر (ص١٥٦): تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة وعلى رأسها مقنعة. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٨٢٠): كان الغلام نائماً (وكان على رأسه مقنع مروزي أزرق). وفي موضع آخر (ح٣، ص١٦١) ألبست افاقة عشاقها ملابس النساء وقالت للعاشق الأول (القاضي): يا سيدي اخلع ثيابك وعمامتك والبس هذه الغلالة الصفراء واجعل هذا القناع على رأسك حتى نحضر المأكول والمشروب وبعد ذلك تقضي حاجتك. فأخذت ثيابه وعمامته ولبس الغلالة والقناع.

والفرق بين القناع والمقنع كائن، حسب مذهب المعاجم في أن المقنع ليس له سعة القناع[٢].

---

(١) إن كلمتي ملبساً بهما موجودتان كثيراً فيما يقفو، بعد الكلمات: «وبيد كل واحدة منهن (الجواري) عمود ذهب أو فضة أو يكون من عود ملبساً بهما»، حيث تمثل معنى مضاداً، وحيث لا علة تدعو لاستعمال هذه التثنية. وعلى هذا فلا يمكن وقوع هذه التثنية، في النص برمته، إلا اللهم في الجملة التي تدور حول الوزيرة والحاجبة. ولعل هاتين الكلمتين قد عثر عليهما أحد النساخ في هامش النسخة التي كان ينسخها، فأدرجها خطأً في موضع لا يلائمها. وفضلاً عن ذلك، فإنني أعتقد أن كلمتي «ملبساً بهما» قد أضافهما ابن بطوطة ليشعر القارىء بأن المقنعة كانت تستعمل لباساً للرأس وعمرة لهؤلاء النساء، وليست خماراً. وفي نص آخر يقول بوضوح: «إن نساء بلغار الفولغا لا يلبسن الخمار». والكلمة التي تعني مزيناً مزركشاً التي يجب أن تسبق (والجوهر) وكذلك المسمى الآخر، قد حذفهما النساخ.

(٢) لعل هذا المقنع المذكور قد صنع من الملحم. راجع كلمة جبة. أما عن كلمة مروزي فبوسعنا استشارة ابن خلكان (وفيات الأعيان، ح١، ص٤). ولم يدرك لين (ألف ليلة وليلة، ح٢، ص٢٢٢، الترجمة الانكليزية) معنى مقنع في هذه الفقرة. ولو ترجمنا كلمة قناع في هذه الفقرة بكلمة Voile خمار، لأخطأنا:

١ - لأن المرأة لا تلبس الخمار وهي في بيتها، ولدى حضور احتفال، ٢ - لأن =

وكلمة قناع (وربما كذلك كلمة مقنع وكلمة مقنعة) تشير كذلك إلى: خمار وجه تستعمله النساء. ويصفه لين (ألف ليلة وليلة، ح١، ص٢١٠) على هذه الشاكلة: «القناع قطعة من الشاش الموصلي له طول ذراع أو أكثر، وله أقل من ذلك للعرض، ويوضع شطر منه فوق الرأس، تحت الإزار، ويتدلى سائره، من الأمام، حتى الوسط، وهو يغطي الوجه بتمامه. وطالما رأيت نساء عربيات، ولا سيما نساء الوهابيين، وهن واضعات أخمرة من هذا النوع، وكانت تصنع من الشاش الموصلي الملون، وهي تخفي الملامح والقسمات جميعاً، ولكنها مصنوعة صنعاً مخلخلاً لئلا تحول بين النساء وبين رؤيتهن مواقع أقدامهن في الطرقات». وكان القناع يصنع أحياناً من الحرير (مقارنة مع ألف ليلة وليلة، ط مكناگتن، ح٣، ص١٧٧) ويزركش بالذهب. فنحن نقرأ في (ألف ليلة وليلة ط مكناگتن، ج٣، ص١٧٦): قل له: «أعطني القناع الذي عندك مرسوماً[١] بالذهب فإن ما عنده في دكانه أحسن منه فاشتره يا ولدي بأعلى ثمن».

وينبغي إضافة جمع قناع أقنعة إلى القاموس، وهو موجود في نص ابن جبير، الذي نشرته حول كلمة خرقة. ويقول: (پيدرو دي الكالا، مفردات أسبانية عربية): «أقنعة، قناع «Toca de muger o tocado»»

= السياق يقضي، في هذه الفقرة إحلال قناع محل عمامة، وأخيراً ٣ - لأن العاشق الثالث (الوزير) قد دعي إلى لبس غلالة زرقاء وطرطور أحمر. وعلى ذلك، وكما رأينا سالفاً، تشير كلمة طرطور إلى لباس رأس بصورة يقينية جازمة.

(١) إن كلمة مرسوم تعني مزركشاً. فنحن نقرأ في رحلة ابن جبير (مخ٣٢٠، ص٤٦): لابساً ثوب سواد مرسوماً بذهب. وكلمة مرسوم تعني كذلك مزركشاً بالذهب. فنحن واجدون في الكتاب المذكور (مخ، ص٨٣): خلعتان من الدبيقي المرسوم البديع الصنعة.

ونجد لدى مؤلف فارسي (ميرخوند تاريخ السلاجقة) مقنعة مستعملة كجمع مقنع. ونقرأ فيه: «جهت دختران سراي مقنعه وامتعه كه مناسب ايشان بود خر يده: «وقد اشتريت لنساء السراي مقانع وأشياء أخرى تناسبهن».

وكانت كلمة قناع مستعملة أيضاً في أسبانيا (مقارنة دوزي، تاريخ بني عباد، ج١، ص٦١، س٦). ومن هنا ألف الأسبان كلمتهم الكينال Alquinal.

القوج

يبدو من نصي كتاب ألف ليلة وليلة، اللذين أوردهما فريتاگ، إن هذه الكلمة تشير إلى شبه عمارة تلبسها النساء مع العصابة، أو العصبة. ويعتقد فليشر (كتابه، ص٣٩) إنها الكلمة الفارسية سرغوج، المحذوف منها مقطع سراً، إذ يقول هذا العالم الجليل: «حذف مقطع جذري من الكلمة». ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أحل محلها كلمة أقرب أصلاً منها. ويقول فليشر كذلك: «والمصريون الذين سألتهم قالوا إنهم يجهلونها». ويتحتم عليَّ أن أعترف بأنني لم أجد كلمة قج لدى أي مؤلف آخر. وإذا كانت كلمة قوج تشير إلى ما تشير إليه كلمة سراغوج، وفي اللغة العربية سواقوج، فهي عمارة امرأة مسبلة من جهة على الجبين مغطية الشعر، ومتدلية حتى الكتف اليسرى. (كاترمير، تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ص٢٣٦)[1].

(١) إن كلمة سراقوج، التي يتحدث عنها كاترمير في هذا الموضع، تشير بصورة خاصة إلى طاقية تترية، ولهذه العلة لم أتقبلها في كتابي. فإنني اقرأ مثلاً في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص٢٥٣): كان صاحب سيس قد اعتمد ما يقتضي فسخ الهدية التي وقع الاتفاق عليها في سنة ست وثلاثين عند اطلاق ولده ليفون وقطع الهدايا ـ

الكَبّوت

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة الأسبانية Capote، التي تسللت إلى لهجة عرب الأندلس ولهجة المغاربة، DES Magrebins ذلك لأن بيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية وعربية) يفسر كلمة Capote بكلمة كبوت، وجمعها كبابيت. ويفسر كانيس: Canes (نحو، ص١٧١) كذلك كلمة كبوت بهذه الكلمات: معطف بلا كُمين Capote sin mangas.

ويقول داپر في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، مجـ١، ص٢٤١) إن كلمة كبوت Kabbout تشير إلى نفس اللباس الذي تشير إليه كلمات Sant à Brra (راجع كلمة سنتبر).

الكُجّة

يقول جان جاك شلتنس، في قاموس فريتاگ:

«Pila maior, quae fit ex complicato panniculo».

«إنها كساء مصنوع من عدة خرق متنوعة». ولم أصادف مطلقاً هذه الكلمة، ولم ألاحظ أي تعليق عليها من قبل شلتنس على نسخة گوليوس التي استعان بها هذا العلّامة، والموجودة حالياً في مكتبة ليدن[1].

= المقررة عليه وخالف الشروط من أنه لا يجدّ ذنباً ولا يحصن قلعة. وصار لا يطالع بخبر صحيح كما تقرر معه. ثم لم يقتصر على ذلك إلى أن صار يلبس الأرمن السراقوجات ويخيف بهم القوافل ويدعي أنهم من عسكر التتار».

(١) الكجة: لعبة للصبيان، يأخذ الصبي خرقة فيدورها كأنها كرة، ثم يتقامرون عليها (المعجم الوسيط). (المترجم).

الكُرْزية وجمعها الكرازي، الكرسية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقول الرحالة العربي الأندلسي ابن جبير (الرحلة، مخ٣٢٠، ص٤٨) إن أمير مكة كان معمماً بكرزية صوف بيضاء رقيقة. ونحن نقرأ في الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ٢٤، ص٤٢): قال: كنت ببغداد بمدرسة الشيخ الإمام أبي حامد الغزالي فجاءه رجل كث اللحية على رأسه كرسية فدخل المدرسة وأقبل على الشيخ أبي حامد فسلم عليه فقال: «ممن الرجل؟» فقال: «من أهل المغرب الأقصى» ويقول مارمول: (وصف أفريقيا، ح٣ مجـ٤ وص٤، مجـ١) في معرض حديثه عن بربر ولاية حيحه Héha أقصى بلدان مراكش الغربية: «إنهم لا يضعون الطواقي ولا القبعات على الرأس، ولكنهم يشدون عصائب من الصوف يسمونها كرزية Cursias وهي واسعة سعة جريدة النخل، وطويلة فيلفون بها الرأس خمس أو ست لفات، باعتبارها عمامة (Como tocas) وأجمل هذه العمائم مزركش بالحواشي القطنية، وهي مصبوغة بالحنة، ولها شرائط وقياطين مبرومة تتدلى على الجوانب بمثابة هدبات» ويقول داپر (وصف حقيقي لأقاليم أفريقيا، مجـ١، ص٢٤٠) في معرض وصفه أزياء سفراء مراكش، الذين وفدوا إلى امستردام عام ١٦٥٩): «كان لباس رأس أحدهم ينحصر في طاقية (Een muts) تدعى في اللغة العربية كرزية Kurzya، وهي مصنوعة من قماش صوفي غليظ، ولكنها لم تكن مكورة حول الرأس بشكل أنيق، كما تكور العمامة عادة بأناقة، وهو الطراز السائد لدى المغاربة، ومع ذلك فإن بعض سكان هذا القطر يلبسونها معمولة من نسيج القطن الرفيع ومكورة حول الرأس، ويسمونها حينذاك Sied أو Sjed (شد).

وأعتقد أن هذه الكلمة لم تكن معروفة الاستعمال إلا في أسبانيا

والمغرب وأعترف أن ابن جبير يستعملها أثناء حديثه عن أمير مكة، ولكن هذا التخريج ما زال بعيداً عن إثبات إن هذه الكلمة كانت مستعملة في بلاد العرب، وإلا لكان الرحالة العربي الأندلسي قد خلع على هذا اللباس الذي رآه في قطر آخر الاسم الذي كان يحمله في وطنه.

ونجد لدى شارح عربي أندلسي للحريري (المقامات، ص٢٥٥) وهو الشريشي جمع كرزية كرازي. وكلمة كرزية لا مشاحة في أن أصلها غير عربي وأعتقد إنها بربرية ذلك لأننا في المفردات البربرية لمؤلفها ڤنتير (رحلة هورنمان وح٢ ص٤٤٩) نجد أن كلمة تركرزيت Terkerzit تعني عمامة. فإذا بترنا المقطع (تير) ter تبقى لدينا كلمة كيرزيت Kerzit وهي مماثلة كل المماثلة لكلمة كرزية العربية، فإذا خلعنا على هذه الكلمة الصيغة العربية، حصلت لدينا كلمة كرزية.

الكرك

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة التركية كرك أو كورك، ويحسبها كاترمير (صحيفة العلماء، ١٨٤٣، ص٧٢) من بين الكلمات التي لم يتبنها المتبنون في مصر، إلا بعد احتلال هذا القطر من قبل العثمانيين. والواقع إنني لم أجد هذه الكلمة لدى مؤلف عربي سابق على غزو السلطان سليم لمصر. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص٩٠) كرك سمور.

ويقرر پوكوك في كتابه (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٧) إن الكرك Kerlki كان في مصر شبه فرجية وكان يختلف عن هذا اللباس الأخير بأن كمية مقدودان بشكل آخر – وبأن الكيريكي Keriki لم يكن يرتدي في الحفلات الرسمية، وكان هذا الثوب يعمل من الحرير.

ويعلمنا فريزر (أسفار إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، الخ، ج٢، ص١٠٢): «إن شيوخ بدو المنتفك لا يتميزون عن أتباعهم إلا بكرك مبطن بالفرو[١]. أو بسترة وثوب من الجوخ أو من الأرجوان الأنعم الأزرق إلخ..» (الأسقلاط - الأشكرلاط).

الكِساء

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن هذه الكلمة تشير بصورة عامة إلى لباس، ولو لم يكن لها إلا هذا المعنى الغامض، لما قبلتها في كتابي.

ولكن كلمة كساء لها معنى آخر أيضاً، فهي تشير إلى ما تشير إليه كلمة حيك (راجع هذه الكلمة). ويجزم داپر جزماً قاطعاً في كتابه (وصف حقيقي دقيق لأقاليم أفريقيا، ص٢٣٩، مجـ٢) إن الحيك يسمى أيضاً كساء Kissa في المغرب. ونحن نعلم أن من كلمة كساء تألفت الكلمة الأسبانية alquicer وAlquicel، التي حتى المعاجم الحديثة تفسرها بما يلي: «لباس مغربي على هيئة Manteau معطف»، وكذلك تشرحها بما يأتي: «قماش كانت تصنع منه أغطية المائدة». وإليكم ما يقول كوباروڤياس (كنز اللغة القشتالية، مدريد، ١٦١١) حول كلمة Alquicel «غطاء سرير (شرشف) أو أي شيء آخر، وهي منسوجة، دون خياطة، وتستعمل غطاء سرير (ملاءة شرشف). وهذه الكلمة مشتقة من فعل Queseye (كسا) التي تعني التغطية والألباس. هذا ما يقوله دييگو دي أوروبا: ويقول الأب كولدي إن كلمة quicel تشير إلى معطف (إزار) موريسكي (Capa morisca) وهناك آخرون

(١) لعله يقصد الفروة (المترجم).

يقولون أن Quise تعني في اللغة العربية مقعداً Siège (Asiento) وعلى هذا فإن كلمة Alquizel تعني حينئذ غطاء المقعد (La couverture du siège). ولكن قبل كل شيء ينبغي تصويب أوريا Urrea، ذلك لأنه متعمق في فقه اللغة العربية». وتمثل لنا الأغاني الأسبانية القديمة في معظم الأحيان الفرسان العرب مرتدين الكساء Alquicel (راجع مجموعة أغاني الموريسكيين الشعبية، ص١٣، ٣٥، ١٦٤). ويتحدث مارمول عن الكساء أو Alquicel، ويجزم بأنه معطف من الصوف الغليظ. ويقول (وصف أفريقيا، ج٢، ص٣، مجـ ٩) في معرض حديثه عن البربر في حيحه: «لباسهم الاعتيادي ينحصر في الأكسية Alquicels. وهي تشبه أغطية المنام، المصنوعة من الصوف التي تستعمل للتدثر بها، ولكن هذ المعاطف أنعم وأرق، وتبطن بها الأجسام[1]، وبعد ذلك (ج٢، ص٣٨، مجـ ٤) يقول على وجه التقريب نفس الشيء عن سكان سيكسيوا Secsiúa وهي سلسلة من الجبال في مملكة مراكش.

ويقول في موضع آخر (جـ٢، ص١٠٢، مجـ ٣) عن سكان مدينة فاس: «أما أناس الطبقة المتوسطة الذين لا يستطيعون توفير العِباء لأنفسهم (Cazaqes Sayos) فيكتفون بارتداء هذه الكسى التي يلتفون بها». ويتحدث دييگو دي توريس (قصة الشرفاء، ص٣٢٧) عن جاكيت يسمونها Alquicel ويقص علينا كاداموستو في كتابه (الملاحة، ص٩٩،

---

(١) إن فعل Batanar الذي نجده في هذا النص، والذي تستعمله عدة قواميس أسبانية قديمة وحديثة، وقد استشرتها، لا تعطي إلا معنى واحداً لا يلائم الموقف هنا، فهو يعني الالتفاف بشيء (راجع مارمول، ح٢، ص٩ مجـ٣ ص٣٢، م ح٣)، وهو مشتق من الفعل العربي بطّن الذي يبدو أن عرب الأندلس قد استعملوه بهذا المعنى. (بيدرو دي الكالا) مفردات عربية، يقول حول كلمة Batanar Aoriste (نبطن، بطنت، بطن).

١٠٠) إن الزناغة (صنهاجة) Les Sinhadjah كما يلفظ العرب الكلمة، يرتدون معاطف بيضاء يسمونها Alchezeli. وأعتقد أن al هي الأداة العربية، وi، إذا لم أكن متوهماً، جمع إيطالي لنهاية جمع كلمة في لغة المندنكو (Lo). راجع: (ماكبرير قواعد لغة المندنكو، ص١٣)[١] .Grammar of the Mandingo Language

فإذا بترنا الأداة ونهاية الجمع فإننا نحتفظ بـCheze-Kesé: كيزيه، التي هي ولا ريب الكلمة العربية (كساء).

وكلمة كساء بهذا المعنى مؤنثة - فنحن نقرأ للمقري أو بالأحرى لابن سعيد (لدى فريتاگ، طرائف عربية، ص١٤٨ و١٤٩): قال لابنه: «اعط هذا الشاب كساك الغليظة يزيدها على ثيابه. فدفع كساءه إليَّ. ولما قمنا عند الصباح وجد الصبي متنبهاً ويده في الكساء».

ونرى في تعليق دي گايانگوس على هذا النص (تاريخ السلالات المحمدية في الأندلس، ج١، ص٤١٣) إن مخطوطة المقري التي يتملكها هذا العالم تذكر كلمة بردة هنا بدل كلمة كساء. والواقع أن المعطف الكبير المسمى بردة، لم يكن ليختلف كثيراً عن الكساء.

وإليكم أمثلة أخرى حول كلمة الكساء مأخوذة بمعنى معطف. يقول ابن خاقان (مطمح الأنفس) مخ سان بطرسبورك ر٧٧٦، ص٥٢): قال محمد ابن إسماعيل، كاتب المنصور: «سرت بأمره لتسليم جسد جعفر إلى أهله وولده، والحضور على إنزاله في ملحده، فنظرته ولا أثر فيه، ولا عليه شيء يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين».

ويعد مؤلف الكتاب المعنون الحلل الموشية (مخ٢٤، ص٩) من بين هدايا يوسف ابن تاشفين: «سبعمائة كساء بيض ومصبوغة».

---

(١) المندنكو زنوج سودانيون أسسوا امبراطورية مالي القوية عام ١٢٣٠م.

لذلك أرى أن كلمة كساء بهذا المعنى لم تكن مستعملة إلا في الأندلس والمغرب.

الكَف وجمعه الكُفوف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المراد.

وكلمة كف تشير إلى اليد، ومن هذا نجم أن كفوفاً تستعمل للتعبير عن القفافيز. ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٣١): «وكان الملك لابس كفوف من جلد السرداق». أما كلمة سرداق التي يترجمها م. تورنس Torrens. بكلمات «حيوان مفترس» une bête de proie (a beast of prey) فيخيل إليَّ إنها تشير بالتأكيد إلى حيوان يستعمل لصنع الأفرية، وأعتقد أن لها نفس المعنى في هذا النص لابن خلدون (تاريخ الأندلس، مخ، ١٣٥٠، ج٤، ص١٢): «وعشرة أفرية من غالي جلود الفنك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية».

وهذه الكلمة وكلمة قفاص (عدا الصفحات السالفة هما، حسب علمي، الكلمتان الوحيدتان اللتان تستعملان للتعبير عن القفافيز: Des gants وهي جزء من الملابس، نادر الوجود كل الندرة في الشرق.

الكَلْفَه، الكَلْفَتاه، الكَلُوتَه

لقد سبق لكاترمير إن كتب في (تاريخ السلاطين المماليك، ج١، ق١، ص١٣٨) و(تعليقات ومقتبسات، ج١٣، ص٢٧١) ملاحظات غاية في الأهمية ونفوذ البصيرة وثقوب الرأي وصحة الأحكام، حول هذه الكلمة، وبرهن على إنها: «طاقية تؤلف هيكل العمامة»، وعلاوة على

ذلك فإنها نفس كلمتنا: كالوت Calotte. وهذا الجنس من الطاقية لم يكن يلبسه إلا رجال الطبقة الرفيعة.

وإنني اقرأ لدى المقريزي (تاريخ مصر، ج٢، مخ٣٧٢، ص٣٥٠): «كان من الرسم في الدولة التركية إن السلطان والأمراء وسائر العسكر إنما يلبسون على رؤوسهم كلوتة صفراء مضربة تضريباً عريضاً ولها كلاليب بغير عمامة فوقها. وتكون شعورهم مضفورة مدلاة بدقوقة وهي في كيس حرير أما أحمر أو أصفر».

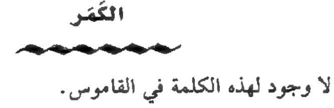
وبعد ذلك بقليل (ص٣٥١) يعلمنا المقريزي إن السلطان الملك الأشرف خليل: «يدل الكلفتات الجوخ والصفر ورسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بكلفتات الزركش».

وسأحملكم مرة على ملاحظة إن هذه الكلمة تؤلف كذلك في حالة الجمع كلاوات، لأنني اقرأ في نص من تاريخ مصر للنويري (مخ٢، ص١١٠): «أنعم عليهم وشملهم بالخلع السنية بالكلاوات الزركش». وفي مجلد آخر مكتوب بخط المؤلف (مخ١٩ب، ص٢٩): «فركبوا بالكلاوات الزركش».

الكُمّة

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص١٦٩٠) إلى أن الكلمة هي: (القلنسوة المدورة).

الكَمَر



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويعلمنا المقريزي (وصف مصر، ج٢، مخـ٣٧٢، ص٣٥٠) إن الأمراء والجنود والسلطان نفسه، في أيام حكم السلالة التركية، مرتداهم (من فوق القباء كمران بحلق وإبزيم).

نرى مما تقدم إذن أن كلمة كمر الفارسية قد تسللت إلى اللسان العربي، وإن (كمران) المقريزي هو مثنى كمر في اللغة العربية. ويقول لين (ألف ليلة وليلة، ج٢، ص٦٠٠) إن الحزام الذي يحتوي على حافظة النقود يدعى عادة بالكمر.

المِكْمَرَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكننا نجد في كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص٤٢٧): «وقد أرسلت إليكم ملحفة ومكمرة». ويذهب لين في تعليقه على هذا النص (ج٢، ص٦٠٠) إلى «إن المكمرة تشير إلى نفس ما يشير إليه الكمر». وقد فرغنا من التحدث عن هذه الكلمة.

الكِمّع

يذهب القاموس (ط كلكتا، ص١٠٨٦) في تفسير هذه الكلمة إلى أنها القباء نفسه.

الكَنْبوش وجمعه الكَنابيش

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس بالمعنى المنشود.

ويترجم پيدرو الكالا (مفردات أسبانية عربية) كلمة Antifaz كنبوش،

كنابيش، وإن كلمات Toca de muger و Velo de muger يعبر عنهما نفس التعبير في كتابه. ويترجم دونباي Dombay (قواعد ولغة المغاربة العرب، ص٨٣) كلمة Velum بكلمة كنبوش. فهذه الكلمة إذن تشير إلى صنف من الخمار تلبسه نساء الأندلس والمغرب. ولا يخالجني أدنى ريب بمماثلة هذه الكلمة للكلمة الأسبانية Cambux التي تشير، حسب مذهب هيروسم فيكتور (في كتابه كنز اللغات):
(Tesoro de las tres lenguas, Genève, 1609).

إلى «قناع أو خمار أو نقاب يغطي الوجه». وتذهب المعاجم المحدثة إلى أنه: «منديل رأس أو عمارة رأس صغيرة من البز تحفظ بها رؤوس الأطفال». وهي توازي كذلك الكلمة الأسبانية التي تشير، حسب رأي فيكتور، إلى كلمة Antifadz ذاتها، أي أنها خمار يوضع على الوجه[1].

المِكْوَر، المِكْوَرة، المِكْوار

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٦٥١) هذه الكلمات بأنها العمامة.

الكُوفيّة والجمع الكَوافي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وإليكم باديء الأمر ما يقوله لين (ألف ليلة وليلة، ج١، ص١٣٠): «الكوفية منديل مربع يلبس فوق الرأس، له من الطول ذراع، ومثله من العرض، وهو من ألوان مختلفة، ولونه أحمر غامق أو ضارب إلى الدكنة

(١) مذا نستنتج من كل هذا الكلام، هل الكنبوش هو الخمار فحسب، أم هو بخنق المولود، الذي ذكره المتنبي؟ (المترجم).

أو من اللون الأخضر الزاهي ومن الأصفر المرقط أحياناً ترقيطات واسعة وأحياناً ضيقة، وعلى طول النهايتين المتقابلتين له هدابات كثيرة مؤلفة من شرائط وقنزعة. وأشيع شكل من الكوفية مؤلف من القطن، وهناك نوع آخر من القطن المشوب بالحرير، ونوع ثالث من الحرير المكفت بالذهب. وهذه الكوفية يلبسها في هذه الآونة الوهابيون وبعض قبائل البدو. ولكن الوهابيين يلبسون النوع الأول من الكوافي فقط، لأنهم يرون أن الملابس المصنوعة كلاً أو جزءاً من الحرير أو الصوف محرمة من قبل الشريعة. وكان هذا اللباس منتشراً في القديم بين سكان المدن. ويلبسه الرجال بوجه خاص، وتطوى هذه الطرحة بصورة منحرفة وتوضع فوق الطاقية، بهيئة تتدلى منها على الظهر الزاويتان المثنيتان، والزاويتان الأخريان على الجبهة. وهناك قطعة من الصوف، أو عمامة تلف على العموم حول الطرحة، وفي بعض الأحيان يتعمد بعضهم إبراز الزوايا، أو إظهار الأقسام المتدلية على الجبين، وتعقص هذه الزوايا في أعلى نقطة من العمامة. وسكان المدن يلبسون عادة العمامة فوق الكوفية». وبوسعكم مقارنة هذه التفاصيل بتلك التي هيأها لنا فيسكيه Fesquet في كتابه (رحلة إلى الشرق، ص١٨٥ : Voyage en Orient) الذي يكتب الكلمة Couffie أو Caffieh.

وكان السلاطين المماليك في مصر يلبسون الكوفية (تاريخ السلاطين المماليك) وفي عهد تلفيق ألف ليلة وليلة، كانت النساء تلبس هذه العمرة. فنحن نقرأ في هذا الكتاب (ط مكناگتن، ج١، ص٣٣٣): خلعت بعض ثيابها وقعدت في قميص رفيع وكوفية حرير». وفي موضع آخر (ج١، ص٤٥): «كوفية بألف دينار». بعد ذلك (ج١، ص٥٩٦): «على رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة»[1]. ويرى لين

(١) يفسر هابيخت في قويميسه - بصدد الجزء الثاني من طبعته لألف ليلة وليلة - دق -

(ألف ليلة وليلة، ج١، ص٦١٤) إن النساء كن يلبسن الكوفية مثلما يلبسن اليوم الفرودية أي بلف الطرح حول الرأس، بحيث إنها تؤلف عمامة صغيرة.

ويكتب برگهارت الكلمة Keffie فيخطىء قليلاً (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٧). وإليكم كلماته: «يضع جميع البدو على الرأس عمامة». (يفسر برگهارت الكوفية بالعمامة، فيعطي للقارىء فكرة زائفة عن هذا النوع من لباس الرأس)» أو طرحة، مصنوعة من القطن، أو من القطن والحرير، بدلاً من طاقية الأتراك الحمراء - وتسمى هذه العمامة كوفية، وهم يلفونها حول الرأس بحيث إن جانبٌ منها يتدلى إلى الوراء، وإن الجانبين الآخرين يهبطان أمام الكتفين، وبهاتين الزاويتين يغطى الوجه، لوقايته من أشعة الشمس ولحمايته من الريح الحارة، وتجنبيه المطر، أو لإخفاء ملامحه وقسماته، إذا لم يشأ الإنسان أن يعرفه أحد. والكوفية صفراء، أو صفراء وخضراء». ونحن نقرأ بعد ذلك في كتاب برگهارت (ص١٣١): «إن طرحة الرأس أو الكوفية، ذات الخطوط الصفراء والخضراء، التي يستعملها الرجال، هي شائعة الاستعمال بين كافة قبائل شمال مكة».

= المطرقة بقطع صغيرة من الذهب أو الفضة Paillettes d'or ou d'argent وإن كوفية أو خلعة (ط (Habicht) ح٢، ص٤٦) مؤلفتان برمتيهما من قطع صغيرة من شيء غريب مضحك، ولكن كلمتي دق المطرقة، أو دق فقط، دلالة على الزركش. فإنني اقرأ في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٥٤) إنه وجد لدى أحد الكبراء: «خمس مائة صندوق من دق دمياط وتنيس برسم كسوة جسده». ونحن نعلم أن دمياط وتنيس كانتا مشهورتين بمصانع الزركش. وقد رأينا في موضع آخر من الفقرة الأولى من ألف ليلة وليلة، التي أتينا على ذكرها في النص، إن الكوفية فيه كانت تعمل من الحرير، ومن الفقرة الثالثة إنها كانت مطرزة بالذهب، وهذا كله يفسر دق المطرقة!

وما دام بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج٢، ص١٥٩) يقول: «إن أعراب الصحراء يتميزون بكوافيهم، أو بعمرتهم الحريرية والقطنية، فإنني لا أتردد عن التفكير بأن كيرپورتر (أسفار إلى جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة، ص٢٩٢، ٢٩٣، ج٢ إلخ) يتحدث عن الأعراب الزبيديين في العراق العربي قرب بغداد: «بعمرة الرأس تتميز أقدار الرجال لدى الأعراب». والكوفية هي هي أو تكاد تكون كذلك لدى كل الأعراب بصورة عامة، وهي تتألف من شقة بز صفراء أو حمراء ملفوفة حول الجبين بمثابة عمامة طويلة ومدببة تسقط على الصدر. وأحياناً يمرر طرف منها فوق الذقن، وحين تسقط هذه الشقة من البز فوق الكتف فهي تخفي كل الإخفاء العنق والقسم الأسفل من الوجه».

ويقول الرحّالة فريزر (رحلة إلى كردستان وبلاد ما بين النهرين، إلخ، ج١، ص٢٢٨) عن أعراب بغداد: «إن عمرة رأسهم ليست أقل غرابة. فهي ليست عمامة، كما يفكر الكثيرون، إنما هي على العكس من ذلك لا تشبه العمامة أي شبه. وهذه العمرة تنحصر في نوع من الطرحة الحريرية الكثيفة النسيج، وهذه الطرحة مخططة بخطوط متلألئة براقة، صفراء وحمراء، في حين أن لحمة الأطراف مبرومة على هيئة حبال رفيعة، بمثابة حاشية بالغة الطول. وبعد أن تطوى شقة البز على هيئة مثلث، توضع على الرأس، كما هي العادة الموجودة لدى العجائز الأيقوسيات تماماً، بحيث يتدلى طرفان إلى أمام الكتفين، أما الطرفان المضاعفان فيطرحان على الظهر». (مقارنة الجزء الأول).

وقد رأينا حول كلمة طاقية في نص للمقريزي إن جمع كلمة كوفية هو (كوافي). ولا أعتقد أن أحداً تسول له نفسه أن يخلع على كلمة كوفية أصلاً عربياً. أما أنا فأعتقد إن كلمة الكوفية ليست إلا كلمة Cuffia

الإيطالية، وCofia الأسبانية، وCoiffe الفرنسية وCoifa البرتغالية. وافترض كذلك أن الشرقيين قد استعاروا هذه الكلمة من الإيطاليين الذين كانوا يمارسون التجارة في الموانىء المصرية والسورية في القرون الوسطى، وهم الذين كانوا ينقلون الصليبيين.

ولعل الأتراك قد نحتوا كلمة أسقوفية (كوفيتهم) من نفس الكلمة الأوروبية - وسأحملكم على ملاحظة أن كوتوڤيك Cotovic في كتابه (رحلة، ص٤٨٩، Itinerarium) قال في معرض كلامه عن الفتيات اليهوديات في الشرق: «إنهن معتمرات بالكوافي الفضية أو الذهبية، يتخذنها كزينة، إذا كن في مقتبل العمر، أما المسنات منهن فيلبسنها للمحافظة على هندام الشعر من جهة وعلى السمت والوقار من الجهة الأخرى».

اللَبيبة

يقول الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٩٣): «اللبيبة ثوب كالبقيرة» (راجع كلمة إتب).

اللِبْدَة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بمعنى طاقية، عرقية، كلوتة. ويقرر لين ((المصريون المحدثون، ج١، ص٤٥) إن كلمة لبدة تشير إلى طاقية من اللباد الأبيض أو الأسمر، التي يلبسها الرجال في القاهرة تحت الطاقية الأعظم المسماة بالطربوش. (إذن فهي نفس الشيء، من حيث الاستعمال، كاستعمال الطاقية لدى الأشخاص من الطبقة المترفهة). ونجد في القاهرة أُناساً في حالة فظيعة من الفقر والإدقاع بحيث إنهم لا

يلبسون طربوشاً ولا عمامة، فيكتفون باللبدة وحدها: La libdeh ونقرأ في رحلة إلى الشرق (ص١٨٣) لمؤلفها فيسكيه Fesquet: «لا يضع الفقراء المملقون في مصر على رؤوسهم إلا لبدة، وهي نوع من الطربوش الأبيض أو الأسمر، مصنوع من الصوف المقصور».

اللّباس وجمعه الألْبِسة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد.

ونحن نعلم أن كلمة لباس تستعمل لدى أعراب كافة الأقطار بمعنى Vestitus l'habillement الملبوس. ولكن لهذه الكلمة في مصر معنى لا يوجد في الأقطار الأخرى، فهو يشير إلى سروال (Un caleçon) تبان. ويحدث في كثير من الأحيان أن ترد في نسخة من كتاب ألف ليلة وليلة كلمة سراويل وفي النسخة الأخرى كلمة لباس، فيحملنا هذا الوضع على الاعتقاد بأن هاتين الكلمتين مترادفتان. فنحن نقرأ مثلاً، في طبعة مكناگتن (ج١، ص١٧١): «وكانت من غير لباس». في حين أن طبعة هابيخت (ج١، ص٦٠) تكتب: «وكانت بلا سراويل». وبعد ذلك طبعة مكناگتن (السالفة) تعرض: «حل لباسه». وطبعة هابيخت (السابقة) تقول: «قلع سراويله» ونقرأ في موضع آخر من طبعة مكناگتن (ج١، ص١٧٢): «وهو بلا لباس» وفي طبعة هابيخت (ج٢، ص٦٢): «وهو بلا سراويل». وبعد ذلك في طبعة مكناگتن (الماضية) نقرأ «من غير لباس». وفي طبعة هابيخت (ج٢، ص٦٣) نطالع: «بلا سراويل».

ونقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخـ٣٦٧، ص٢٣٤، حوادث سنة ٨١٥): «القوة على مزبلة خارج المدينة وهو عريان مكشوف الرأس ليس عليه غير اللباس». ونطالع في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٦٠٤):

«حلت لباسي وربطت محاشمي بحبل وأمسكته لجاريتين وقالت لهما: «جرا الحبل. فجرتاه فغشي علي - وقطعت ذكري وبقيت مثل المرأة»[١].

وفي موضع آخر (ط مكناگتن، ح٢، ص٧٨): «قلع البدلة ورماها على ظهر البغلة إلى أن بقي بالقميص واللباس فقط»[٢]. وبعد ذلك (ط مكناگتن، ح٢، ص١٠٦): «فقامت زوجة الوالي ونزعت عنها ما كان عليها من الصيغة وثياب الحرير وألبستها لباساً من الخيش وقميصاً من الشعر وأنزلتها في المطبخ»[٣]. وقد نشر برگهارت (الأمثال العربية، ر٦) المثل المحدث التالي: «إذا كانت العمائم تشتكي الفسه ايش يكون حال الألبسة؟»[٤]. ويضيف قائلاً: «إن هذا المثل يستعمل عندما يتذمر

(١) سيلحظ المستشرقون بسهولة علة إضرابي عن ترجمة هذه الفقرة!

(٢) تشير كلمة بدلة إلى: الملبوس الرائع الجديد. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص١٢٢): «أرسلتها إلى الحمام وألبستها بدلة». حيث لين (ح١، ص١٩٤) يترجم New apparel وحيث طبعة هابيخت (ح١، ص٣١٠) تقدم هذه الكلمات: «ألبستها من أفخر ملبوس». ونجد في موضع آخر من نفس الكتاب (ط مكناگتن، ج١، ص٣٤٨): «اشترى لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش». وبعد ذلك (ج١، ص٤٢٥): «بدلة لباس تركية مزركشة». وفي لفيف من فقرات أخرى توجد كلمة بدل مستعملة بنفس المعنى. وعبثاً نبحث عن هذه الكلمة في القاموس.

(٣) إن كلمة صيغة ومصاغ ومصوغ تشير إلى زراكش الذهب لا سيما تلك التي تستعملها النساء. فنحن نقرأ في كتاب النويري (تاريخ مصر، مخ٢، ص١٧٠): «ومعها جارية تحمل القماش والمصاغ». (مقارنة حكاية هذه الواقعة في تاريخ السلاطين المماليك، ح١، ص٢٤٧). وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٢٤٥): «الأموال والقماش والمصوغ».

(٤) معنى هذا المثل البذيء: «إذا كانت العمائم تشتكي من الفساء، فما حال التبابين؟» (المترجم).

سكان القاهرة من الاضطهاد في حين أن الفلاحين لديهم أسباب أقوى لجعلهم متذمرين». وألبسة جمع لباس، وهو السروال الذي يلبس تحت السروال الأكبر (Under the great trousers).

ويفسر الكونت دي شابرول في (وصف مصر، ح١٨، ص١٠٧) كلمة لباس بكلمة Culotte d'été لباس الصيف المصنوع عادة من الخام. وبعد ذلك (ص١١٢) يقول: «اللباس هو الكالسون Calecon التبان أو تبان الصيف Culotte d'été المصنوع من خام الكتان أو القطن». وكذلك يقول لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٣٩): «إن اللباس يشير إلى كالسون واسع (تبان) من الكتان أو من القطن». والكالسون يتجاوز الركبة قليلاً أو يصل حتى كعب القدم، ولكن الكثرة الكاثرة من الأعراب لا ترتدي التبان الطويل، لأن ذلك محرم بأمر رسول الله. وحتى أيام الحملة الفرنسية على مصر كان تبان النساء يسمى كذلك باللباس، ولكن في أيامنا هذه لا يحمل هذا الاسم الشنتيان». (راجع لين، ج١، ص٥٦).

ويخبرنا هليفريتش (تقرير موجز واقعي عن الرحلات، ص٣٩٣): «إن رجال القاهرة كانوا يلبسون في عهده، تباناً طويلاً عريضاً، مصنوعاً من الكتان الأبيض، يتدلى حتى يكاد يلامس الحذاء». ويتحدث غليوم ليتكوف (رحلات برية في القرن التاسع عشر، ح١، ص١٧١) عن تبابين نساء القاهرة الكتانية.

وتحدث كاترمير (كتابه القيم الذي سيرد ذكره، ح١، ق١، ص٥٨، ٥٩) عن كلمة فتوة وتعابير كأس الفتوة وسراويل الفتوة ولباس الفتوة، وذلك في إحدى تعليقاته النفسية، حول تاريخ السلاطين المماليك، وهو الكتاب الذي أدى أجل الخدمات لعلم فقه اللغة العربية، وقد صدر في أوروبا على شكل شروح. ولكنني مستغرب مع ذلك من هذا العالم الجليل لأنه لم يلحظ، في معارضته لنص المقريزي، الذي ترجمه، مع بيت أبي

الحسين الجزار، إن كلمة لباس هي مرادف لكلمة سراويل، وأتعجب مرة أخرى من ترجمة كاترمير كلمة لباس بكلمات Robe de dessus رداء فوقاني، وهو المعنى الذي لم يخطر ببال كلمة لباس مطلقاً. وفضلاً عن ذلك فإن النصين التاليين لابن بطوطة جديران، إذا لم أكن متوهماً، بتوضيح تعبيري لباس الفتوة وسراويل الفتوة، وهما متماثلان. يقول المؤلف (الرحلة، مخـ دي گايانگوس، ص٨٤) في معرض وصف شيراز: «وخلع عليه جميع ما كان عليه من الثياب، وهي أعظم كرامات السلطان عندهم. وإذا خلع ثيابه كذلك على أحد كانت شرفاً له ولابنه وأعقابه يتوارثونه ما دامت تلك الثياب أو شيء منها وأعظمها في ذلك السراويل». وفي موضع آخر (ص١٢٤): «وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ ولباس الفتوة عندهم السروال كما تلبس الصوفية الخرقة». ويدل لباس الفتوة (تبان الفتوة)، يقال أيضاً ببساطة: «الفتوة». فنحن نقرأ مثلاً في تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص١٤٦): «وفي هذه الليلة حضر الخليفة إلى خيمة السلطان (بيبرس) وألبسة الفتوة بحضور من يعتبر حضوره في ذلك».

ويستمل مذيل أعمال المكين Elmacin، وهو يروي نفس الواقعة (لدى كاترمير ص٥٩)، تعبير «لباس الفتوة».

اللِثام

يقول لين (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٤٨٥): «اللثام هو قطعة بز يغطي بها البدو في معظم الأحيان الجزء الأسفل من الوجه. واللثام يمنع كثيراً معرفة العربي من قبل عربي آخر يروم أن يجعل منه ضحية الثأر أو

الانتقام La vendetta وهو وسيلة للتنكر لا يستعملها عادة إلا العرب الذين يقطنون الصحراء». وحين أرادت الأميرة بدور أن تنتحل شخصية زوجها أخذت ملابسه: «ضربت لها لثاماً» (ألف ليلة وليلة، ط مكناگتن، ج١، ص٨٧٨). ونقرأ في موضع آخر من الكتاب الذي ذكرته (ط مكناگتن، ج٢، ص٥٩): «وإذا بالملك امرأة ضاربة لها لثاماً». وبعد ذلك (ج٢، ص١١٧)، في معرض الحديث عن سيدة لا تريد أن يعرفها الناس: «وهي ضاربة لثاماً». فلما كشف ذلك الملك اللثام عن وجهه وإذا هو جارية كالشمس الضاحية في السماء الصاحية ذات حسن وجمال «وهذا النوع من الخمار كان يحجب من النساء الجزء الأسفل من الوجه كما يغطي نفس الجزء من الرجال» ويقول المعتمد (في الخريدة، مخـ المكتبة الملكية في باريس، رقم ١٣٧٥ - ص١٤٦):

. . . . «وقبلت ما تحت اللثام من اللمى»

وإن سلالة المرابطين Morabites قد استعارت اسمها من (الملثمين) ومن أولاد الملثمة، من العادة التي درج عليها المرابطون بوضع اللثام تحت النقاب. راجع (البكري، ص٦٣، ج١٢ - تعليقات ومقتبسات لكاترمير) إذ نرى من تعليق هذا العالم الشارح كاترمير، إن العادة ما تزال باقية حتى أيامنا هذه لدى الطوارق والتيبو: «Les Touarics et les Tibbo».

اللِحاف

تشير كلمة لحاف، مثل كلمة ملحفة، إلى كساء واسع للمرأة. ويقرر ابن جبير (الرحلة مخـ٣٢٠، ص٢٠٠) إن الصقليات (التحفن اللحف الرائقة) وقد احتفظن، أيام الدولة النورماندية، بالزي الإسلامي. ويخبرنا النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص١٥٦) إن الطوارق

يلفون رؤوسهم بخمر زرق تسمى El Khaaf اللحاف. ولا يساورني أدنى ارتياب في أن كلمة El Khaaf هي تحريف للكلمة العربية لحاف، أو اللحاف، إذا أضفنا أداة التعريف.

المِلْحَف، المِلْحَفة

كانت تشير كلمة ملحفة في القديم إلى إزار رجل. ويقرر كتاب عيون الأثر (مخ ٣٤٠، ص١٨٩) إن الرسول ﷺ ترك فيما ترك، وهو يجود بنفسه، ملحفة مورسة (مصبوغة بالورس).

وقد رأينا آنفاً، بصدد كلمة خرقة، بفضل نص من رحلة ابن جبير، إن الملاحف هي ملابس البدو. ويقول ابن بطوطة (الرحلة مخ دي گايانگوس، ص١٧) عن البجاة في مدينة (إيذاب): «وهم سود الألوان يلتحفون ملاحف صفر». ويستعمل كتاب شرقيون آخرون كلمة ملاحف أيضاً عندما يريدون الإشارة إلى الأزر التي تستعملها الشعوب المنعتقة من الهمجية. والواقع أن النقيب ليون (أسفار في الشمال الأفريقي، ص١٥٥) يؤكد أن الأزر المخططة المرقطة التي يرتديها أهل السودان تدعى Melhaffi Zaberma.

ولكن كلمة ملحفة كانت تستعمل في المغرب والأندلس للإشارة إلى الخمار الكبير أو الإزار الذي تتحجب به النساء في الشرق، حينما يبرزن من منازلهن والذي أطنبت في الحديث عنه بصدد كلمة إزار. ويقول الرحالة المغربي ابن بطوطة (الرحلة مخ، ص٨٣) في معرض حديثه عن نساء شيراز: «ويخرجن ملتحفات متبرقعات فلا يظهر منهن شيء». ويقول دييگو دي توريس (قصة الشرفاء، ص٨٦) بحزم وصراحة، إن الثياب التي ترتدي في مراكش Liçares ليسارس (الأزر)

تسمى في غرناطة Almalafas الملاحف[1]. وقد قرأنا هذا النص بصدد كلمة إزار، ورأينا فيه أيضاً أن مارمول يتحدث عن الملاحف أو الأزر Melhafas o lizares ويقول دييگو دي هيدو (خطط مدينة الجزائر، ص٢٧، مجـ٢): «ترتدي النساء العربيات في مدينة الجزائر فوق القميص نوعاً آخر من القمصان، على ثلاث هيئات[2] أي ملحفة تشبه شرشف المنام» (Que es a manera de una sabana). إلا أن هذا الأخير مربع، وأن الـ Malaxa الملحفة عرضها ثلاث أذرع، أو ثلاث أذرع ونصف الذراع، وطولها ثمان أو تسع أذرع، وهن يلففن أجسامهن بها فوق القميص».

ويصور لنا سرفانتس Cervantes في كتابه (أقاصيص نموذجية Novelas Exemplares حـ١، ص١١) إحدى بطلاته وهي مرتدية على الطراز البربري ملحفة Almalafa من الأطلس الأخضر مرصعة بالذهب (راجع كذلك كوباروڤياس، كنز اللغة القشتالية، مدريد ١٦١١) حول

---

(١) تذكروا أن عبودية ثماني سنوات في مدينة الجزائر حملت سرفانتس حملاً على ملاحظة أزياء الأفارقة.

(٢) سبق لنصوص دييگو دي هيدو ودييگو دي توريس وكوباً روڤياس أن أوردها كاترمير (ملاحظات ومقتبسات، ص٦٥٤). وتعني كلمة ملحفة كذلك غطاء. راجع المقريزي (لدى سيلفستر دي ساسي، طرائف عربية، حـ١، ص٣٥ من النص) وهو يتحدث عن غطاء (ملحفة من اللامرتبة). وكذلك كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، حـ٢، ص٤٢٧). وكانت مدينة بعلبك مشهورة بصنع هذه الملاحف (ابن بطوطة، مخ دي گايانگوس، ص٣٠). وكلمة لحاف لها نفس المعنى (ألف ليلة وليلة ط مكناگتن، حـ١، ص٨٢). وتستعمل كلمة ملحفة أيضاً في التحدث عن غطاء (أوجل) يوضع فوق ظهر الحصان. فنحن نقرأ لدى ابن خلدون (تاريخ الأندلس، مخ ١٣٥٠، حـ٤، ص١٢): «ثمانية وأربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير المذهب».

كلمة ملحفة. وقد حرم فيليب الثاني على نساء غرناطة ارتداء الملاحف (مارمول، حكاية المغاربة، ص٣٦، مجـ١).

المِلفّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويذهب ابن جني (شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص١٠٣) إلى أن هذه الكلمة تشير إلى قطعة بز تضعها النساء على الوجه، توقيا للخمار من الدهن الذي يدهن به شعورهن. وإليكم كلمات الشارح: الغفارة: كل ما توقي به المرأة الخمار من الدهن. ويقال له الغفار والصقاع والملفة.

اللِفاع

لا يمكن لهذه الكلمة أن تحتل محلها في هذا الكتاب إلا بمعنى ملحفة، وهو المعنى الذي يخلعه عليها القاموس. وفضلاً عن ذلك فإن اللفاع معنى يتسم بسمة العموم، ذلك لأن القاموس (ط كلكتا، ص١٠٨٨) يفسره هكذا: الملحفة أو الكساء أو النطع أو الرداء وكل ما تتلفع به المرأة. والواقع أن هذه الكلمة تشير إلى كساء واسع للمرأة. وإن ابن خاقان في كتابه (تاريخ بني عباد، حـ١، ص٤٥) يعبر عن الموضوع باستعمال مجاز فيقول: فأضحت ولها بالتداعي تلفع واعتجاز (في معرض وصف حالة الخراب التي آل إليها قصر الزهراء). (أي أنه بعد أن تمتع ما تمتع بالجمال والبهاء واللألاء والإشراق والعزة والمجد) أصبح هذا القصر في يوم من الأيام أنقاضاً فوق أنقاض، وقد التف بالخرائب كما تتلفع المرأة بالأزار والعمرة. ومعنى ذلك أن القصر أنهار انهياراً شاملاً. والمؤلف يقارن البناية المخربة بامرأة متلفعة بإزارها

الفضفاض وبتاج رأسها، بحيث أصبح من الاستحالة بمكان تمييز أحد أجزاء جسمها.

المَجون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

على أن هذه الكلمة المشتقة من فعل مجن (Durus, crassus fuit) تشير، حسب تقرير المقريزي (راجع آنفاً ما دار من الكلام حول كلمة جوخة) إلى ثوب له كُمان وهيكل قصار، وهو مفصل من الجوخ، دون بطانة داخلية، ولا بطانة خارجية.

المِرْط

يقول القاموس (ط كلكتا، ص٩٧٠) عن المرط أنه (كساء من صوف أو خز). ويقول التبريزي (شرح الحماسة، ص٥٠٤) ما يقارب هذا القول. ويقول الجوهري: «المروط وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها». ويقول ابن جني كذلك في (شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص٢٤٩): والمرط شبه كساء تلبسه نساء الأعراب وتأتزر به». ويقرر النووي (تهذيب الأسماء، ص٣٣) إن الرسول ﷺ كان يرتدي أحياناً (مرطاً أسود من شعر أي كساء).

ولكن يبدو بالبداهة من بيت مذكور في الحماسة (ص٥٧٩) مستشهد به الجوهري (ج١، مخ٨٥، ص٥٢٠) والشارح ابن خاقان (لدي ڤيرس، حول ابن زيدون، ص٤٠، ١٣٧) إن كلمة مرط تعني كذلك نوعاً من التبان، السروال.

ألمار

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٩٤٨) هذه الكلمة بأنها (كساء صغير له خطوط مرسلة وأزار الساقي (الساق) من الصوف المخطط).

المز أو المزد

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تحريفات من الكلمة التركية مست. ويذهب الكونت دي شابرول في (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٩) إلى أن: «حذاء المصريين يتألف بادىء ذي بدء من المست Mest، وهو نوع من الجواريب معمولة من السختيان المراكشي، الذي يغطي القدم بتمامها ونحن نقرأ لدى لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٢): «بعض الناس يلبسون كذلك الخفاف (Inner shoes) المشغولة من السختيان المراكشي الأصفر اللين الناعم الملمس، مع بطانة نعلية من نفس الجلد» ويسمونه «المز» أو بصورة أصح «المزد» وهو تحريف للكلمة التركية المست.

المسح

إن جمع هذه الكلمة هو مسوح. ويعرض گوليوس كلمة مسوح بوصفها مفرداً، ولكنني أعتقد أنه متوهم. فنحن نقرأ في أساطير بيدبا (ص١٢): «ألقى عليه مسوحة وهي لباس البراهمة». وبعد ذلك (ص٣٠): «فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك وهي المسوح السود». وفي الشرح التاريخي لابن بردون على قصيدة ابن عبدون (مخـ، ص٧٥): «ثم انخلع من ملكه ولبس المسوح

وساح في الأرض». وفي رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص١٥١، ١٥٢): «وأكثر هؤلاء الملوك إذا بلغ الستين أو السبعين بنى مانستارا ولبس المسوح وهي ثياب الشعر وقلد ولده الملك واشتغل بالعبادة حتى يموت». وفي موضع آخر (ص١٥٢) يقول نفس المؤلف أن «الراهبات في بيزنطية يلبسن المسوح (عليهن المسوح)». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن) إن درويشاً قال: «لبست مسحاً أسود». ونستخلص من فقرة خاقان (مطمح الأنفس، مخ سان پطرسبورگ، ص٧٦) إن المسوح في أسبانيا كان يرتديها العبيد النصارى». وإنه كان لباساً لا شأن لتفصيله، ولعله كان يشبه بعض الشبه كيس العبريين[1]. وكان يرتديه الرهبان بصورة خاصة وكذلك العبيد. ونستنتج بالإضافة إلى ذلك من فقرة للمقري (تاريخ الأندلس، مخط دي غوتا، ص٣٦٥) إن المسح كان لباس الحداد. فإن هذا المؤرخ يجزم بارتداء القيان للمسوح

---

(١) تشير كلمة مسح كذلك إلى قماش من شعر الماعز أو من شعر الحمير - يستعمل لحياكة العباء. يقول راولف في كتابه (وصف حقيقي للرحلات، ص١٣٢ و١٣٣)، واصفاً هذا الزي لدى إزماعه السفر من حلب إلى بغداد: «لباس يلبس فوقه لباس آخر يغطي كافة الملابس، وهو معمول من المسكة: المسوح، وكان شائع الاستعمال لدى المغاربة والبربر. ويعمل غالباً من شعر الماعز وأحياناً من شعر الحمير. وهذا اللباس ضيق لا أكمام له، وقصير لا يصل إلى الركبتين، وهو يختلف عن بعضه. والفاخر منه مشغول برقة، خصوصاً المعمول بصورة مخططة بخطوط سوداء أو بيضاء، وكذلك المرقط، وبعضه الغليظ للخيم، ويستعمل أثناء الأسفار في الصحارى وتتخذ منه العدول التي توضع على ظهور الحمير والبغال لحفظ علف هذه الحيوانات، ومنه يشد في رقابها كما تعمل منه حقائب للصيد. وهذه الأكياس تعود بذاكرتنا إلى عدول العبريين.

ونذكر بهذه المناسبة الإصحاح (٣٧) من سفر التكوين من الكتاب المقدس وغيره. (فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحاً على حقويه وناح على ابنه أياماً كثيرة).

بعد وفاة المنصور، فيقول: «لبس قيان المنصور المسوح والأكسية بعد الوشي والحبر والخز»[١].

المَسُومي

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولكن في أحد كتب برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٧) نجد ما يلي: «هناك أنواع مختلفة من الكسى، من الأزر الناعمة الرقيقة بإفراط، من العباءات الخفيفة الهفهافة المشغولة من الصوف الأبيض، المعمولة في بغداد، وهي تحمل اسم المسومي Mesoumy قائمة الكلمات العربية المدرجة في نهاية الكتاب».

المُقّلة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بمعنى عمامة.

ويقرر لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٧) إن «العلماء كان من عادتهم ارتداء عمامة غاية في السعة وعلى هيئات مختلفة، وتسمى مقلة، وبعض الذين ينتمون إلى هذه الطبقة ما يبرحون يلبسونها حتى يومنا هذا. ويتحفنا لين بصورة هذه العمامة».

---

(١) لا أدري كيف أغفل المؤلف قصيدة أبي العتاهية المسوحية - التي مطلعها:
رحن بالوشي وأقبلن عليهن المسوح   كل نطّاحٍ من الدهر له يومٌ نطوح
(المترجم).

المَمْطر، المِمْطر، المِمْطرة

إن المراد، كما يشير إلى ذلك أصل الكلمة، ثوب يرتدي للتوقي من المطر. وهو معمول من الصوف، وينص القاموس (ط كلكتا، ص٦٥٨) على ما يلي: «المَمْطر والمِمْطر والمِمْطرة ثوب صوفي يتوقى به في المطر».

المَلاءَة، المُلاءَة، المِلاية

لا وجود للصيغة الأخيرة في القاموس.

وقديماً كان هذا النوع من المعطف لا يلبسه إلا الرجال، ذلك لأننا نقرأ في كتاب الأغاني (لدى كزگارتن طرائف عربية، ص١٣٠) إن المغنية الشهيرة عزة الميلاء كانت قد اكتسبت لقبها الميلاء، على رأي بعضهم لأنها كانت تلبس الملاء وتتشبه بالرجال. والواقع أن الهيئة التي يخيل إلينا إن الرجال كانوا يرتدون وفقها هذا الثوب، والتي ما يبرحون يتبعونها حتى يومنا هذا، ليست مخلة كثيراً باحتشام المرأة وحيائها. فنحن نقرأ في كتاب لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٤٥): «إن هذا الثوب نوع من المعطف الأزرق والأبيض ويدعى ملاية، ويلبس هذه الملاية كذلك بعض الرجال وعلى الأخص بعض النساء». وسنأتي على وصفها التفصيلي عند التحدث عن زي النساء، والرجال يطرحونها على الكتفين، أو يلفون بها الجسم. وجاء في (وصف مصر، ج١٨، ص١١٠): الملاية شقة من القماش القطني المخطط بخطوط زرقاء وبيضاء، طولها ثماني أقدام وعرضها أربع أقدام، وتستعمل استعمال المعطف (الإزار) أو استعمال جبة كبار رجال الكهنوت Camail». ولا

يساورني هاجس ريب في أن پوكوك يتحدث عن هذا اللباس (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٧، ٣٢٨) حين يقول: وهي عادة سارية على وجه التقريب بين الأعراب والمحمديين المولودين في هذا القطر في ارتداء إزار أبيض أو أسمر، وفي الصيف يتخذونه من القطن الأبيض والأزرق، ونصارى الريف يتبعون على الدوام هذه العادة. وهم يغطون الذراع اليسرى بإحدى الزوايا، ويطرحون الثوب إلى الوراء، ويجعلونه يمر تحت الذراع اليمنى ثم فوق الصدر وعلى الجسم ويرمي سائره على الذراع اليسرى، بحيث يجعلونه يتدلى على الظهر. والذراع اليمنى تبقى مكشوفة، بغية استعمالها بحرية. وحين يشتد الحر وهم على ظهور خيولهم، يسبلون الإزار على السرج، بحيث إنه لا يغطي إلا البطن الأسفل، وقد لاحظت قرب الفيوم شباناً يافعين خصوصاً من سواد الشعب، لم يكونوا يرتدون إلا هذا المعطف أو الإزار».

ويخبرنا هورنمان في كتابه (مذكرات حول رحلة من القاهرة إلى مرزوق، ص٢١) إن الملاية يلبسها الرجال في سيوه. ويقول الرحالة: «إنها شقة كبيرة مخططة بخطوط زرق وبيض، وإنها تطوى وتطرح على الكتف» والملاية أو الملاية النسائية تنتسب إلى أسرة الأزر الكبيرة أو المعاطف الواسعة، التي تستر بها النساء الجسم كله (مقارنة مع كلمة شوذر وحبرة وإزار وملحفة). ويذهب لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٦٦) إلى «إنها نوع معطف يشبه من ناحية الكل الحبرة، ويتألف من شقتي قطن منسوجتين تربيعات زرقاء وبيضاء، أو على هيئة خطوط مائلة منحرفة، مشوبة باللون الأحمر في كل طرف. وعلى العموم فالقوم يرتدونها ارتداءهم للحبرة، ولكنهم في بعض الأحيان يلبسونها لبسهم للطرحة». ويضيف لين إلى ذلك معلقاً: «هناك نوع ملاية أفخر وأبدع، وهو مصنوع من الحرير، وله أنواع متعددة، ولكنه قلما يلبس في يومنا

هذا. والشقتان اللتان تتألف منهما الملاية مخيطتان معاً، كالشقتين اللتين تتألف منهما الحبرة». (قارن من ناحية هيئة ارتداء هذا الملبوس، هذا الكلام بالرسم (ص٦٥) في كتاب لين).

ويذهب هورنمان (مذكرات إلخ، ص٢٢) إلى «إن النساء في سيوه يلبسن الملاية» التي يلففن بها الرأس ويسلبنها على هيئة الإزار.

ويخبرنا برگهارت (أسفار في البلاد العربية، ج١، ص٣٣٩): «إن نساء مكة يلبسن ملاية من الحرير المخطط بخطوط بيض مجلوبة من المصانع الهندية». ويرى رويل (رحلة إلى الحبشة، ج١، ص٢٠١) إن: «نساء مدينة مصوع يرتدين شقة كبيرة من بز القطن، هي في العادة مخططة بخطوط زرق وبيض، وتدعى ملاية، وهي تغطي عادة الذراعين في أعلى الجسم».

وهذا النوع من الإزار الكبير أو المعطف شائع الاستعمال أيضاً في الجزيرة، لأن بكنگهام (أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج١، ص٣٤٤) يقول، في معرض حديثه عن نساء ماردين: «إن المحمديات والعيسويات يسترن أنفسهن بشقة من البز ذي التربيعات الزرقاء تستعمل في مصر وتضفي مظهر الفقر على اللباس بأكمله». وبعد ذلك (ص٣٩٢) يعلمنا الرحالة نفسه إن نساء ديار بكر «يلبسن أحياناً معطفاً من القطن فيه تربيعات زرقاء، مثل المعطف المرتدي في معظم أنحاء سورية ومصر». وعلاوة على ذلك فيقال اليوم ملاية بدلاً من ملاءة، مثلما يقال عباية بدلاً من عباءة، ومراية بدلاً من مرآة (برگهارت، الأمثال العربية، ر٤٩ إلخ»[1].

---

(١) تشير كلمة ملاءة كذلك إلى غطاء. فنحن نقرأ في الكتاب المعنون مجمع الأنهر (ط القسطنطينية، ج٢، ص٢٥٩): «وكذا لا بأس بملاءة حرير يوضع في مهد الصبي =

المَلُّوطة

لقد لاحظ فليشر: وأحسن الملاحظة، إن هذه الكلمة ليست إلا كلمة (ملوطة) التي أحالها الأقباط إلى (ملوتة). ونرى من تعليق لين (ألف ليلة وليلة، ج١، ص٤٨٥) إن المعنى بكلمة ملوطة هو الجبة، وكذلك يراد بها اللباس الفوقاني الواسع، الذي كان يلبس فوق الفرجية. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج٢، ص٤٤٦): «ملوطة من الحرير» ويعلمنا الأمير رادزيڤيل Radzivil (زيارة أورشليم، ص٣٠). إن لباس المماليك التحتاني كان يدعى مرلوتة Marlotta وكان له كمان مفرطان في السعة.

وهذا الثوب كان شائع الاستعمال أيضاً في أسبانيا، وذلك لأن پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية يترجم كلمات: Cugulla de abito de frayle: بكلمة ملوطة[1] وجمعها ملاليط، وفي اللغة العربية، التي يتخاطب

= لأنه ليس بلبس». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص١١١): «أرخوا عليه ملاءة من الحرير». وبعد ذلك (ج١ - ص٢٦١) نقرأ أن امرأة طاعنة في السن وسيدة شابة تبارزتا، فأحرزت المرأة الشابة النصر، وطرحت العجوز أرضاً: «فأقبلت الجارية ورمت عليها ملاءة من الحرير رفيعة وألبستها ثيابها وأعتذرت لها». وفي موضع آخر (ج١، ص٨٢٠): «اضطجع رجل لابس قميصاً ومقنعاً: ثم تغطى بملاءة من حرير». وبعد ذلك (ج١، ص٨٢١) نقرأ كذلك في نفس القصة: «وكشفت الملاءة عن وجه قمر الزمان». وبعدئذ (نفس المرجع): «وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها». وأخيراً (ص٨٢٧): «وشالت ملاءة الحرير عن وجه قمر الزمان».

(١) يقول كوباروڤياس (كنز اللغة القشتالية، مدريد ١٦١١) حول كلمة Cogulla «معطف الراهب الملحق به قبع على هيئة مغزل، وينتهي بلسان، وهذا القبع يشبه إقباع رهبان شارترو والرهبان الكبوشيين. وهو في اللغة اللاتينية كوكولا Cuculla. ومع ذلك =

بها سكان شبه جزيرة أسبانيا، كانت تشير كذلك إلى الجبة، لأن بيدرو دي الكالا يقول مباشرة بعد المادة المذكورة: Cugulla assi أي جبة، وجمعها جباب.

ويفسر المؤلف المشار إليه كذلك كلمات سايا دي موخير Saya de Muger (تنورة امرأة) بكلمة ملوطة، وجمعها ملاليط. (وقد قلت آنفاً، ص٨٧ إنني أرى أن كلمة بلوط وكلمة بلوطة ليستا سوى تحريف لكلمة ملوطة). والواقع أن المؤرخين الأسبان القدماء يصورون لنا الفرسان والسيدات المغاربة مرتدين الملاليط في معظم الأحيان. وهم يتحدثون عن ملوطة زركش Marlota de brocart كان يلبسها ملك غرناطة (حروب غرناطة الأهلية، ص٣٥) «Guerras civiles de Grenada».

وعن ملوطة من المخمل فاخرة رائعة بإفراط مطرزة بالذهب كان يرتديها فارس مغربي (المرجع السالف، ص٣٦)، وعن ملوطة من الحرير الأملس حمراء اللون (مجموعة أغاني المنتصرين، الموريسكيين، ص٣٢): «Romancero de Romances Moriscos» وعن ملوطة خز ثلاثية الطبقات، كانت تلبسها ملكة غرناطة (حروب غرناطة الأهلية، ص٧١)، وعن ملوطة من الدمقس، كانت ترتديها سيدة مغربية (المرجع السالف، ص٧١).

وقد حرم فيليب الثاني على النساء المغربيات ارتداء الملاليط Marlotas. (مارمول، ثورة المنتصرين، الموريسكيين، ص٣٥، مج)،

= فإنني أرى أن (المعطف) Cugulla الذي ذكره بيدرو دي الكالا لا قبع له - لأنه يقول مباشرة بعد المواد المذكورة في النص Cugulla con capilla Cuculle avec un capuchon (معطف مقبع) قبيلة، وجمعها قبابل، وهذا يبرهن، إذا لم أكن متوهماً، إنه حينما يقول كلمة Cugulla لوحدها، فإنه يـ ـ بذلك: «معطفاً لا قبع له».

انظر كذلك Marmol Rebelion de los Moriscos (مجموعة أغاني الموريسكيين، إلخ، ص١٣، ٣١، ٣٥، ٤٠، ٤٣، إلخ).

ونحن نعلم أن كلمة مرلوطة Marlota ما برحت مستعملة في أسبانيا.

ويبدو أن هذا الملبوس كان يرتدي في مالطة أيضاً، ذلك لأننا نجد في ڤاسالي، اللغة المالطية، مجـ٤٥٥) كلمة ملوط ومؤنثها ملوطة - والجمع ملاليط وملوطات - ولكن يخيل إلينا إننا نجعل هذا اليوم معنى هذه الكلمة في هذه الجزيرة، لأن المعجمي يضيف «نحن نجهل المعنى»:
«Car le lexicographe ajoute: desideratur significatio».

المُوزَج

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي الكلمة الفارسية موزة - التي تسللت إلى اللغة البيزنطية (متكساكيون - متكساكين) وهي في اللغة السريانية (موقو). وتشير إلى (جزمة Une bottine) راجع: فليشر:
(de glossis Habichtiainis, pag. 92 et 1, Allgemeine Literatur- Zeitung 1843, Ergânzungsblâtter, col. 134).

ملحق جريدة عامة عن الأدب لسنة ١٨٤٣.

النِجاف

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٢٣٠) هذه الكلمة بأنها المدرعة. (راجع هذه الكلمة).

النِخاف

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص١٢٣١) هذه الكلمة بأنها الخف. والظاهر إنها نفس الكلمة مضافاً إليها الحرف المساعد (ن).

المَنْدل

يذهب القاموس إلى أن المندل هو الخف كذلك.

المَنْدِيل

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس، بالمعنى المراد. وهي تشير إلى Le turban:

١ • العمامة (شاش، عمامة) فنحن نقرأ في أسفار أوليارنوس (رحلات إلى موسكوفيا وبلاد التتار وفارس، ص٨١١): «إن طواقي الفرس وتدعى Mendils مناديل، في اللغة الفارسية، وعمائم في اللغة التركية (كلمة دلبند فارسية، وليست تركية) هي مصنوعة من القطن أو من قماش حريري آخر ناعم رفيع الخيوط له ألوان مختلفة، وهم يلفونها عدة لفات، ولها من الطول ثماني أو تسع أذرع ولها طيات وثنيات خفيفة مخيطة ومقصبة بالذهب. وطواقي رجال الدين الفرس، وخصوصاً الحفاظ، هي خالصة البياض، ومثلها مثل سائر ملابسهم الناصعة البياض. وبعضهم يلحقون بمناديلهم قنزعة من الحرير تتدلى على ظهورهم، أو فوق أكتافهم، ويبلغ طولها نصف ذراع. والسادة، أي أولئك الذين هم من سلالة الرسول، والذين يزعمون أنهم أعقابه ووارثوه، لهم قنزعة من الحرير الأخضر في عمائمهم. وهذا المعنى

الذي كان لكلمة منديل في فارس، ما زال يجري على أقلام الكتاب العرب. وقد سلف لي أن قلت حول كلمة عمامة، إن لبس العمامة حول الرقبة كان علامة على الخضوع والولاء، وإن المتظاهرين بهذه الشارة كانوا يشهدون على أنفسهم اعترافهم بالمتسلط القاهر وتفويضه حق الحياة أو الموت (الإحياء والإماتة!). فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخـ، ص٣٧): «شاهد الغلبة فخرج إلى السلطان وفي عنقه منديل». وفي كتاب ابن إياس (تاريخ مصر، مخـ٣٦٧، ص١٤٩): «نزل من القلعة هو وبقية النواب وأخذوا في رقابهم مناديل وتوجهوا إلى تمرلنك يطلبون منه الأمان». وقلت كذلك حول كلمة عمامة، إن العمامة تستعمل لصر النقود فيها. وعلى ذلك، فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٨٧): «تذكر إن منديله وقع في القبر وفيه جملة من الدراهم». وكلمة منديل تشير كذلك إلى:

٢ • حزام (منطقة). يقول ابن بطوطة، (الرحلة، مخطوطة دي گايانگوس، ص٩٧) عن مماليك الجوهريين في تبريز: «عليهم الثياب الفاخرة وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير». ويقول الرحالة نفسه في معرض كلامه عن الملك هرمز (ملك هرمز؟ ص١١٥): «وهو مشدود الوسط بمنديل». وفي تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٤٦) نجد: «وهو مشدُود الوسط بمنديل»، . ونقرأ في كتاب مارمول (وصف أفريقيا، حـ٢، ص٣، مجـ٤) وهو يتحدث عن بربر حيحه HEHA، في المغرب الأقصى من مملكة مراكش: «يتمنطقون على جلودهم العارية بمناديل (Con unis mandiles) من نفس القماش (الصوفي) الذي يغطيهم من موقع الحزام حتى وسط الأفخاذ».

● استطراد للمؤلف حول المنديل:

إن كلمة منديل تعني كذلك Un mouchoir (منديلاً، محرَمة) فنحن نقرأ في عيون الأثر (مخ٣٤٠، ص١٨٩) إن الرسول ﷺ كان لديه (منديل يمسح به وجهه). وفي رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص١٤٤): «وبكت ومسحت على وجهها بمنديل كان بين يديها». وفي تاريخ مصر لابن إياس (مخ٣٦٧، ص٢٨٨): «فلما سمع ذلك وضع منديله على وجهه وبكى». وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص١١٢): «حط منديله على وجهه وبكى ساعة». وفي موضع آخر (ح١، ص١١٢): «فرميت لها تحت الفراش المنديل الذي فيه الدنانير». ويلاحظ لين (ألف ليلة وليلة، ح١، ص٤٢٤) بهذه المناسبة، الملاحظة التالية: «هناك عادة سائدة بين الأعراب هي أن يهدوا نقوداً مصرورة في زاوية منديل مطرز». وفي موضع آخر (ح١، ص٦٠٧) يصف لين منديل الشرقيين على هذه الشاكلة: «المنديل على العموم مستطيل الشكل، وله حاشيتان مطرزتان بالحرير الملون المكفت بالذهب، والحاشيتان الأخريان محرومتان من هذه الزركشة». ونقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح١، ص٥٦٨): «منديل مطرز» وبعد ذلك (نفس المرجع): «منديل أبيض» وفي موضع آخر (ح١، ص٥٧٢): «منديل أحمر».

ويربط الشرقيون المنديل بالحزام. (اللوحة ١٥، الصورة ٣، في كتاب هوست، أخبار من مراكش، وبكنگهام، أسفار في بلاد ما بين النهرين، ج١، ص١٥٢). والعادة نفسها كانت سائدة بين الفرسان المسيحيين في أسبانيا (مجموعة أشعار الموريسكيين قصة السيد Le Cid).

وإذا أعطى أحدهم المنديل إلى آخر فهي إشارة العفو. فنحن نقرأ في ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٢٧١): «فقال أخي أراد الأمان فأعطاه منديل الأمان». (راجع تورنس، الليالي العربية، ج١، ص٣٣،

ولين، ج١، ص٤٣٤). وفي موضع آخر (ج١، ص١٧٥): «فقال الشاب»: «العفو يا أمير المؤمنين. أعطني منديل الأمان ليسكن روعي ويطمئن قلبي». فقال له الخليفة: «لك الأمان من الخوف والإحسان». وفي تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٧٦): «فجاء الملك الصالح إسماعيل بعساكره إلى القدس وصحبته الأفرنج». فأرسل إلى شيخ الإسلام عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام بعض خواصه بمنديله وقال له: «ادفع إليه منديلي وتلطف به واستر له وعده بعودة إلى مناصبه. فإن أجاب فأتني به وأن خاشنك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتك» وكلمة منديل تعني:

- **منشفة**، طرحة. فتحن نقرأ في كتاب ابن بطوطة (الرحلة، مخـ، ص١٠٨): «فأخذها (الثياب) وربطها في منديل وجعلها فوق رأسه وانصرف». وفي تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٣١): «كان يرسل - حلواً ورغيفاً في منديل مختوم». وفي ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ح٢، ص٢٥٥): «فجائتني بكوز من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر ملآن ماء ممزوجاً بالمسك الأذفر وهو مغطى بمنديل من الحرير الأخضر.

- **ميدعة**. راجع النص الذي نشرته من النويري حول كلمة بقيار. وتستعمل كلمة Mandil الأسبانية في المعنى نفسه. وأخيراً تشير هذه الكلمة إلى الخامات بصورة عامة. فنحن نقرأ في تاريخ مصر لابن إياس (مخـ٣٦٧، ص١٠٦): «وتزايدات الأقوال بأنه مسموم وأن زوجته خوند سعادات قد سمته في منديل عما يقال». ويوضح الأمر ابن بطوطة (مخـ، ص٩٥) فيقول: «سمته في منديل مسحته به بعد الجماع».

حول السادة الوارد ذكرهم في الصفحة ٣٣٥ من هذه الترجمة، قال المؤلف:

«إن ما يقوله أورلياريوس غير مطبق في أيامنا هذه، لأن الفرس يلبسون اليوم طاقية من جلد النعاج عالية ضيقة سوداء. وقد رأى كيربورتر في جورجيا وفارس وأرمينيا وبابل القديمة (ج١، ص٤١٥) عمائم كانت تلبس قديماً في فارس، في رسوم شيهل ستون (قصر الأعمدة الأربعين)».

المُنَسْرِيَّة



لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر هوست في كتابه (أخبار من مراكش، ص١١٩) أن نساء مراكش يلبسن ١ - القميص ٢ - القفطان ٣ - يلبس بعضهن فوق هذا الثوب منسرية Ueberzug أو ميدعة Surtout من تيل الكتان الرقيق. وأخيراً ٤ - الحيك Le haïk. وقد تأيد هذا المذهب من قبل گرابر دي همسو في كتابه (المرأة إلخ، ص٨٢) المكتوبة فيه الكلمة Monsoria ويكتبها دونباي (النحو المغربي العربي، ص٨٢) منصورية، ويترجم الكلمة بأنها indusium.

النَّشير

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٦٦٧) هذه الكلمة بأنها المئزر. (راجع الكلمة).

المِنْشَف

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وقد سبق لنا أن رأينا آنفاً (حول كلمة مئزر) إن الصيغة المؤنثة لهذه

الكلمة هي منشفة، وهي موجودة في اللغة العربية، وإن مؤلفين من مصر يستعملونها بمعنى Torchon, serviette منشفة.

وفي أسبانيا كانت تشير صيغة المذكر منشف إلى نوع من عمرة الرأس، ذلك لأن پيدرو دي الكالا (مفردات أسبانية عربية) يفسر كلمة الميزر Almaizar بكلمة منشف، وجمعه مناشف.

راجع عن كلمة الميزر Almaizar كلمة مئزر.

النص راس

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويرى دونباي (النحو المغربي العربي، ص٨٣) إن هذا التعبير يعني طاقية يستعملها الملاحون: Galericulus nautarum, un petit bonnet dont se servent les matelots: وكلمة نص ربما تكون تحريفاً وتشويهاً لكلمة نصف، لأن الناس في المغرب، وكذلك في مصر (راجع لين، المصريون المحدثون، ج٢٢، ص٤١٩) ينطقون هذه الكلمة الأخيرة على هذه الصورة (راجع النحو، ص١١). إذن فإن كلمتي نص راس تعنيان بالحرف الواحد: نصف الرأس.

النِطاق

إنني أحيل القارىء إلى ما قيل عن هذا النوع من اللباس من قبل العلامة سيلفستر دي ساسي (طرائف عربية، ح٢، ص٣٠٣، ٣٠٤). ونحن نقرأ في شرح الحماسة للتبريزي (ص٣٨): «وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر، ويسمى البخاري (الصحيح، ح٢، مخ٣٥٦، ص١٦٨) هذه المرأة: ذات النطاقين، ويشرح لنا لماذا منح اللقب هذا لابنة أبي بكر،

وذلك بالكلمات التالية: «فجهزناهما أحب الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكأت به الجراب ولذلك كانت تسمى ذات النطاق».

المِنْطَق، المِنْطَقة

تشير هاتان الكلمتان إلى الحزام، ولكنه دائماً حزام من الذهب أو الفضة. فإننا لن نقرأ أبداً عن منطق أو منطقة من الجلد أو من القماش، أياً كان نوع القماش. وبالرغم من تحريم التحلي بالذهب أو الفضة على الرجال، فإن الشريعة قد أحلّت لهم التمنطق بمنطقة من الفضة أو الذهب. فقد روى في ملتقى الأبحر (مخـ١٢١١، ص١٦٤): «ويجوز للنساء التحلي بالذهب والفضة ولا يجوز للرجال إلا الخاتم والمنطقة وحلية السيف». ويلاحظ شارح (مجمع الأنهر طبعة القسطنطينية ح٢، ص٢٥٩) على هذه الكلمات الملاحظة التالية: «والفضة أغنت عن الذهب لأنهما من جنس واحد». ومن كلمة منطق تألف فعل تمنطق. فنحن نقرأ في رسائل ابن الخطيب (مخـ١١، ص٢١): «قد تمنطقوا فوق الأقبية الديباجية».

النعل

لقد سبق لهامر برسكنال في (كتاب ڤيينا السنوي، ج٦٩) إن برهن بصورة مقنعة للغاية إن كلمة نعل تعني صندلاً، خفاً une sadale وليس أنواعاً أخرى من الأحذية. وبوسعكم مشاهدة شكل الخفاف العربية في كتاب نيبور (وصف الجزيرة العربية، اللوحة ٢). وحين يتحدث في كتابه (يوميات جولة في المشرق، ص٤٧٨، ج٢) عن بدو صحراء مصر، نقرأ ما

يلي: «يمشون حفاة الأقدام، ولكنهم في مناسبات أخرى يلبسون النعال المصنوعة من جلود الجمال الفجة، وهم يربطونها بشراكين يمر الأول منهما على وسط القدم، والآخر بين الإبهام والسبابة من القدم. وقد اشتريت فردتين من هذه النعال في السويس من غلام عربي صادفته محتذياً من شاكلتها، ولكنها كانت ترد من الحجاز وكانت مزركشة تفوق زركشة النعال العادية». ويخبرنا برگهارت (أسفار في البلاد العربية، ج١، ص٣٣٦) إن: «رجال مكة يلبسون نعالاً بدلاً من الأحذية. وأفخر النعال تلك الواردة من اليمن، حيث يبدو ازدهار كل أنواع الصناعات الجلدية».

ويظهر أن نعل الرسول ﷺ أو خفه (صندله) كان من أنفس المخلفات المباركة. فنحن نقرأ في تاريخ مصر للنويري (مخـ٢، ص٥١ و٥٢): «ومما حكاه أبو المظفر أيضاً، قال: «كنت عنده بخلاط. فقدم النظام بن أبي الحديد ومعه نعل النبي ﷺ. فأخبرته بقدومه. فأذن بحضوره. فلما جاءه ومعه النعل قام ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبله ووضعه على عينيه وبكى. وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جراية وقال: «يكون في الصحبة نتبرك به ثم عزم على أخذ قطعة من النعل تكون عنده. قال بعد ذلك: «لما عزمت على ذلك بت متفكراً وقلت: «إن فعلت هذا فعل غيري مثله فيتسلسل الحال ويؤدي إلى استئصاله. فرجعت عن هذا الخاطر وتركته لله. وقلت: «من ترك شيئاً له عوضه الله خيراً منه». ثم أقام النظام عندهم شهوراً ومرض وأوصى لي بالنعل. ومات وأخذته بأسره. ولما اشترى دار قايماز النجمي وجعلها دار حديث ترك النعل فيها ونقل إليها الكتب الثمينة وأوقف عليها الأوقاف».

وفي عام ٧١١ نجد نعل الرسول ﷺ في دمشق، ذلك لأننا نقرأ في مجلد آخر من تاريخ النويري (مخـ٢، ص٥٧): «أخرج الخطيب جمال الدين القزويني المصحف الكريم العثماني ونعل النبي ﷺ». وبعد ذلك

(ص٥٧) «وسقط المصحف الكريم والنعل المكرم النبوي إلى الأرض والصناجق ثم رفعت وأعيدت إلى البلد». وقد حدث ما توقعه الملك الأشرف وخافه، فإن نعل الرسول ﷺ أصابه ما أصاب المخلفات المباركة الأخرى فقد شمله التقسيم.

ونحن واجدون في تاريخ مصر لابن إياس (مخ٣٦٧، ص٤٢٩) أن قطعة من نعل الرسول ﷺ كانت بحوزة أحد قضاة مصر عام ٨٤٣.

ويظهر أن العرب القدامى قد استعملوا هذا المثل «هي النعل زلت بي». راجع ڤيرس (ابن خاقان عن ابن زيدون، ص٢٨، وتعليق العالم الناشر، ص٩٦).

ويقول المصريون في أيامنا هذه «تأخذ من الحافي نعله» أي تدمره كلياً (برگهارت، الأمثال العربية، ص١٦٢)[1].

النقاب

إننا حتى هذه اللحظة لم نقع على أية حكاية تصلح لتعيين خمار المرأة الذي كان يحدث فيه نقبان في موضع العينين. على أن خماراً أو برقعاً أو حجاباً أو نقاباً من هذا النوع لا بد أن يكون معروف الاستعمال سابقاً، وذلك لأن الرحالين قد تناولوه في كتبهم. وعلى هذا فإن فعل نقب في اللغة العربية و(پوشي) في اللغة العبرية يعني كل منهما Perforavit في اللغة اللاتينية. فمن الطبيعي كل الطبيعي، والحالة هذه، أن تستطيع كلمة نقاب التعبير عن هذه الكلمات: «Velum cui sunt foramina».

---

(١) لا تعني كلمة حاف حافي القدمين فحسب، بل معنى الحفاء أي الوجى، وهو وجع القدمين من كثرة المشي.

والواقع إن ابن جني يؤكد الأمر بصورة قاطعة، في قوله: (شرح ديوان المتنبي، مخ١٢٦، ص٢٢٠): «النقاب أن تعمد المرأة إلى برقع فتنقب منه موضع العين». ونحن نقرأ في قصة (رحلة ڤان خيستلا، ص٢٣): «إن نساء الريف يضعن أمام وجوههن شقة قماش لها ثقبان تستطيع أن تنظر منهما». ويقول بلون كذلك في كتابه (ملاحظات، ص٢٣٣): إن مظهر القرويات الأعرابيات والمصريات هو نقاب من أقبح ما وجد من أنقبة: ذلك لأنهن يضعن على عيونهن حجاباً من تيل القطن الأسود أو لون آخر يتدلى على وجوههن حتى الأذقان، فكأنه كمامة آتية من الطبقة العليا أو كأنه عثنون صغير، ولكي ترى النساء طريقهن من خلال هذا الحاجز المنسوج، يحدثن نقبين في موضع العينين، بحيث إنهن في هذه اللبسة المضحكة يشبهن أولئك الذين يتصارعون يوم الجمة المقدس في روما أو في مدينة افنيون (عاصمة البابا القديمة في فرنسا). (مقارنة مع پيترو دلاڤاله، الرحلة، ج١، ص٣٣٠). ويقول الأمير راديزڤيل (زيارة أورشليم، ص١٨٧): في معرض حديثه عن بنات الريف: «ينحصر نقابهن في قطعة من تيل القطن مفتوح فيه نقبان في موضع العينين (Foraminibus pro oculis excisis) والريح ترفع بسهولة هذا النقاب، فلا تبقى هناك صعوبة تحول دون رؤية وجوههن». ونقرأ في الكتاب المعنون (قصة رحلة في مطلع عام ١٦١٠، ص٢٠٩): إن نساء الريف يسترن وجوههن بقطع من البز، شاه منظرها من منظر! Beastly clouts ولهذه الخمور نقوب أمام العيون «Se courvent le visage de pièces d'étoffes horribles à voir» وفي قصة كوپان، درع أوروبا، ص٢١٩: «تتبرقع بنات الموسرين بأنقبة حريرية حمراء، وأما بنات الفقراء فلا يتبرقعن إلا بالتيل الأبيض أو الأزرق، وهذان النوعان من الخرق لهما فتحات صغيرة أمام العيون لتستطيع الإناث المتبرقعات بها أن يمشين في طريقهن».

وهذا النوع من النقاب كانت ترتديه نساء البدو في مصر أيضاً. فنحن واجدون في قصة هيلفريتش (تقرير واقعي موجز للرحلات، ص٣٨٧): «إنهن يبرقعن وجوههن بقطعة من القماش المفتوح فيها ثقبان، ليستطعن رؤية مواقع أقدامهن». ويقول روجيه في كتابه (الأرض المقدسة، ص٢٠٨) في معرض حديثه عن نساء البدو في سورية: «يضعن على وجوههن قطعة من قماش مثقوبة في موضع العينين». ويخبرنا الرحالة الأندلسي ابن جبير أن النساء الصقليات: (انتقبن بالنقب الملونة). وكان المرابطون يضعون النقاب فوق اللثام، بحيث لا يستطيع الناظر إليهم أن يرى منهم إلا محاجر عيونهم. ويبدو أن هذا النقاب لديهم كان عصابة Bandeau (انظر البكري، في ملاحظات ومقتبسات، ج١٢، ص٦٣٣)، كاترمير - العلامة المترجم.

النُقْبة

النقبة شبه سروال المرأة أو تبانها، وهي مزودة بمجرى لإمرار القيطان فيه، وهذا اللباس ليس له هيئة التبان ولا تغطى به الأفخاذ. (راجع التبريزي شرح الحماسة، ص٦٨٢ لدى فريتاگ). ويذهب الزمخشري: (Lexicon Arab. Pers:, part. I, pag. 62) مقدمة الأدب، إلى أن هذه الكلمة تعني منطقة (ميان بند).

النَقيّة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقرر برگهارت (ملاحظات على البدو والوهابيين، ص٢٩) «إن النساء لدى البدو يغطين نصف الوجه بخمار ملون لوناً غامقاً، يدعى نقية Nekye وهو يشد بصورة يغطي معها الذقن والفم».

النَمِرة

لا بد أن هذه الكلمة تشير إلى شبه برد، ذلك لأننا نقرأ في الباب المعنون باب البرود والحبرة والشملة، للبخاري (الصحيح، ج٢، مخـ٣٦٦، ص١٦٨) الحديث التالي: قال أبو هريرة: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر». فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه. فقال: «ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم». فقال: «اللهم اجعله منهم». ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله: «ادع الله أن يجعلني منهم». فقال النبي ﷺ: «سبقك عكاشة!!».

المُنَيَّرة

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ويقص علينا ابن بطوطة (الرحلة، مخـ دي گايانگوس، ص٢٢٥) إنه لدى وقوعه أسيراً بأيدي كفرة الهند غدا مديناً بحريته لشاب هندي. ويضيف قائلاً: «فأخذت الجبة التي كانت عليَّ وأعطيتها إياه وأعطاني منيرة بالية عنده وأراني الطريق». والصفة منير، التي مؤنثها منيّرة، تعني فيما تعنيه Grossier ما هو غليظ، في معرض الحديث عن جلد. لذلك أرى أن منيرة، حين نأخذها من جهة الوصفية، تشير إلى نوع كساء غليظ.

الهَدُون

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

وهي تشير في المغرب إلى كساء من الصوف (دونباي، النحو المغربي العربي، ص٨٣).

الهِمْيان

يبدو أن هذه الكلمة لا تستعمل إلا في معرض الحديث عن منطقة تتخذ لصر النقود. فنحن نقرأ في رحلة ابن بطوطة (مخ دي گايانگوس، ص٤٧): «وكان في وسطه هميان فيه ذهب». وفي كتاب ألف ليلة وليلة (ط مكناگتن، ج١، ص٢٦٧): «وجلس أخي وهو طائر من الفرح بالدنانير ثم صرها في الهميان». وهناك بيت لأبي بكر بن اللبانة (تاريخ بني عباد، ج١، ص٧٠) يبرهن برهنة واضحة على أن كلمة هميان تعني بصورة خاصة منطقة توضع فيها الدراهم. فهذا الشاعر يزور مولاه القديم في سجنه، ألا وهو المعتمد ملك إشبيلية، العاثر الجد، فيشده لرؤيته رازحاً في الأغلال، فتطير نفسه شعاعاً وينبعث بهذا البيت (البسيط):

غلطت بين همايين عقدن له وبينها فإذا الأنواع أشتات

فالشاعر يقارن بين همايين الأمس وأغلال اليوم.

وربما كان هذا الهميان من الجلد.

الوسطانية

لا وجود لهذه الكلمة في القاموس.

ولعلها كساء يشبه التحتانية والفوقانية (راجع هاتين الكلمتين). ويقول ابن بطوطة (الرحلة، مخ دي گايانگوس، ص٢٥٩) في حديثه عن سومطرة: «اخرج ثلاثة من الثياب مختلفة الأجناس يسمونها التحتانية من جنس الفوط».

الوِشاح

يذهب المعجميون العرب إلى أن الوشاح هو منطقة عريضة من الجلد، مزركش بالأحجار الكريمة تلبسه النساء. (ضع مقايسة مع تعليق دي گايانگوس تاريخ السلالات المحمدية في أسبانيا، ج١، ص٤٠٩) ونحن واجدون لدى المتنبي (الديوان، مخ٥٤٢، ص٨٢) البيت التالي (الوافر):

ترفع ثوبها الأرداف عنها فيبقى من وشاحيها شسوعا

لفهم هذا البيت ينبغي أن نتذكر أن العرب يحبون كثيراً لدى النساء ضخامة الإعجاز. فكلمة ثوب تشير هنا إلى الإزار الكبير الذي ترتديه النساء في الشرق لدى شخوصهن من منازلهن. والشارح الواحدي يفسر كلمة وشاحين على هذا المنوال: يريد بالوشاحين قلادتين تتوشح بهما المرأة. ترسل أحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر. ولكن هذا الشرح لا يشفي غليلي.

والشعراء العرب يستعملون تعبير ذات الوشاح للإشارة إلى المرأة. فهناك بيت لابن حمديس الصقلي (في أخبار الملوك، مخ٦٣٩، ص١٦٨) يروى على هذه الصورة (السريع):

قم هاتها من كف ذات الوشاح

وتذهب المعاجم العربية إلى أن هذا النوع من الحزام لا تتمنطق به النساء ومع ذلك فنحن نقرأ للفتح ابن خاقان في كتابي (تاريخ بني عباد، ص٤٤) في معرض الحديث عن فتى: وقد توشح وكأن الثريا وشاحه. وفي موضع آخر من قلائد العقيان، (مخ٣٠٦، ص٨٤): «ملوك لم يتوشحوا إلا بالحمائل». انظر كذلك أبا الفداء (ج٢، ص١٧٩) وراجع

حول الجمع أشاح العالم الشارح في طرائف عربية لسيلفستر دي ساسي، ص٣٩٠، تعـ (٦٨).

الوِقاية

يفسر القاموس (ط كلكتا، ص٥٤٩) السيدارة بالوقاية تحت المقنعة والعصابة. إذن فالوقاية شبه طاقية. وفي لب الألباب (ص٢٧٥) تفسر كلمة وقاية بكلمة مقنعة.

اليلگ

لا وجود لهذه الكلمة التركية الأصل في القاموس.

ونحن نقرأ بعد مادة الصديري في بحث الكونت دي شابرول (وصف مصر، ج١٨، ص١٠٨). «اليلك مشدّ corset آخر، أو صدرية أخرى، للمماليك، وهو واسع، قصير وله كمّان في غاية الطول والفضفضة». فهو، دون أدنى ريب، الصدارى Gilet القصير ذو الكمين الذي جاء على وصفه بوكوك Pococke في كتابه: (وصف الشرق، ج١، ص٣٢٧ اللوحة ٥٨) (Beschrijving van het Oossten, M) واليلك يلبسه كذلك سكان بلاد البربر في طرابلس، ذلك لأننا نقرأ في الكتاب المعنون (قصة إقامة عشر سنوات في طرابلس الغرب، ص٣) (narrative of a ten years, residence at Tripoli in Africa): «كان الوزير الأول يرتدي يلكاً، أو سترة من الأطلس القرمزي، المطرز بالذهب من جانب الصدر، وهذا الثوب بمثابة صدرية، شائلة من الأمام والوراء وهو يرتدي بإدخال الرأس من فتحة تقور من الجهة العلوية».

(انظر كذلك المرجع السابق، ص٣١، ٣٨).

ويفسر الكونت دي شابرول (ص١١٢) اليلك، في معرض حديثه عن أزياء النساء، بأنه «ثوب يلبس فوق القميص، وهو مفتوح من الأمام، وله كمان ضيقان».

والوصف التالي للمؤلف لين (المصريون المحدثون، ج١، ص٥٨) فيه تفصيلات أطول وأعرض، إذ يقول: «وهم يرتدون فوق القميص والشنتيان سترة طويلة تسمى اليلك، مصنوعة من أنفس أقمشة الشنتيان. وهي تكاد تشبه قفاطين الرجال، ولكنها تضغط الجسم والذراعين ضغطاً أشد، وكذلك فإن كمي اليلك أطول، وهو مفصل بشكل يسهل تزريره من الجهة الأمامية، من الصدر حتى الحزام، أو إلى أسفل من ذلك، في حين أن القفطان يصلب على الصدر وهو كذلك مفتوح من الجانبين، من الخصرين إلى الأسفل. وعلى العموم فإن اليلك مفصل بشكل يسمح بكشف نصف الصدر، ولكن نصف الصدر هذا مغطى بالقميص، ومع ذلك فإن كثيراً من السيدات يلبسنه أوسع في هذا الجزء من الجسم. ووفقاً لهندام الساعة السائد المستحسن، يجب أن يكون طوله كافياً لملامسة الأرض، بل يجب أن يكون أطول من ذلك ثلاث عقد أو نيف». قايس هذه الصورة الخطية بالشكل المرسوم في كتاب لين، ص٥٧، واللوحة ٢٦ في مصور رحلة أوليڤييه: L'Atlas du voyage d'Olivier.

بلا عنوان

إن الكلمات التالية موجودة لدى مؤلفين أوروبيين ومن المحتمل كل الاحتمال أنها غير موجودة في المعاجم، ولكنني لم أستطع معرفة كيفية كتابتها باللغة العربية:

Konfil. يرى باناني (الرحلة، ج٢، ص١٠ من الترجمة الهولندية) إنها طاقية تلبسها النساء في مدينة الجزائر وفي مدينة تونس، وتسمى كونفيله.

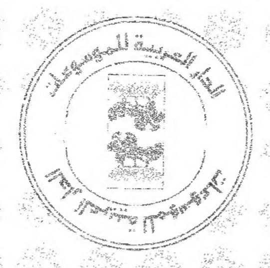
Lartia. يرى دييگو إنها البناقة نفسها. راجع ص٩٠ من هذا الكتاب والتعليق.

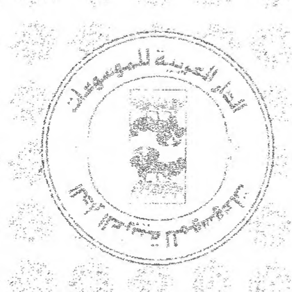
Mugannes موكان. هي النيف، كما يعتقد دابر. راجع ص٨٨ من هذا الكتاب.

Wischt. (بيشت). يقول وايلد (وصف جديد لرحلة أسير مسيحي، ص٢٠٤) وهو الذي عاش فترة طويلة في الشرق، خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، والذي هو أهل لكل ثقة، لأمانته ودقة أحكامه وتشعب تفاصيلها، إن كلمة بيشت (Wischt) تعني ثوباً يلبسه الفلاحون المصريون. ويضيف قائلاً: «سواد الفلاحين أردياء الملابس، فهم يرتدون كساء

فضفاضاً واسعاً أزرق اللون، أو أسوده، ويسمى (الجلباب). ولهذا الرداء ردنان واسعتان للغاية. وفوق هذا اللباس يثنون بمعطف آخر. يحمل اسم (بيشت Wischt) أو (بردة Burthe). ولديهم كذلك عادة حمل الخناجر في الأحزمة».

فهرس المحتويات





إن الاقتراح الوارد من الشعبة الثالثة من المعهد الملكي للبلاد المنخفضة، في جلستها المنعقدة في ١٦ كانون الأول ١٨٤١ صيغ على هذه الشاكلة:

«تأليف بحث مستكمل الشروط عن الألبسة، سواء تلك التي كان يرتديها الجنسان من العرب في مختلف العهود وفي مختلف الأقطار، أو تلك التي ما انفكوا يلبسونها حتى الآن، بحيث تبرز على هذه الصورة كل قطعة من قطع ملبوساتهم، وذلك بعد توطئة عامة، على أن تتبع الطريقة الهجائية في الحروف العربية، وعلى أن تذكر معالم الشكل، ونوع النسيج، وخاصية الاستعمال»...

وقد رست الجائزة المقترحة على الاجابة، التي فاز بها دوزي، في جلسة الشعبة، المنعقدة في ٢٠ تشرين الثاني ١٨٤٣.

س.أ. دن تكس

السكرتير الدائم للشعبة الثالثة بالمعهد الملكي في البلاد المنخفضة




ISBN 978-9953-563-38-1
9 789953 563381